عُلُوُّ الهِمَّةِ عِنْدَ النِّسَاءِ

تأليف
فضيلة الشيخ
محمد بن عبد الملك الزغبى

مكتبة سلسبيل
٢٤٥٢٢٩١٩ ٠١٠٦٧٦١٢١٩

١٨٦٠٣

علو الهمة عند النساء

تأليف

محمد عبد الملك الزغبي

٢٤٥٢٢٩١٩ ٠١٠٦٧٦٦١٢١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

علو الهمة عند النساء

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَةٌ

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/١٥٩١٠

حقوق الطبع محفوظة للناشر ولا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو نسخه بأي طريقة ، ولا يسمح بترجمته إلى اى لغة إخرى دون الحصول على إذن خطى مسبق من الناشر.

٢٤٥٢٢٩١٩ ٠١٠٦٧٦١٢١٩
جمهورية مصر العربية

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا، و من سيئات أعمالنا، من يهدِه اللهُ؛ فلا مضلَّ له، و من يُضلل؛ فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده و رسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[1] [الأحزاب ٧٠-٧١]

---

(١) الحديث صحيح: أخرجه أبو داود في «سننه» (٢/ ٥٩١-٥٩٢) - كتاب النكاح (٦) باب (٣٣) - ح - (٢١١٨)، والترمذي في «سننه» (٣/ ٤١٣-٤١٤) كتاب النكاح (٩) باب (١٧) - ح - (١١٠٥)، والنسائي في «المجتبى» (٦/ ٨٩) كتاب النكاح (٢٦)، وابن ماجه في «السنن» (١/ ٦٠٩-٦١٠) كتاب النكاح (٩) - ح - (١٨٩٢)، وعبد الرزاق في «المصنف» موقوفًا (٦/ ١٨٧-١٨٨) - ح - (١٠٤٤٩)، وأبو داود الطيالسي (ص٤٥) - ح - (٣٣٨)، والدارمي في «سننه» (٢/ ١٤٢) كتاب النكاح، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ١٤٦) كتاب النكاح، وأحمد في «المسند» (١/ ٣٠٢-٣٩٣)، ورواه مسلم بنحوه مختصرًا في «صحيحه» (٢/ ٥٩٣) كتاب الجمعة (٧) باب (١٣) - ح - (٤٦/ ٨٦٨)، وغيره. =

= فوائد:
أ- خطبة الحاجة هذه سُنة، يقول الصنعاني: وقوله: «في الحاجة» عام لكل حاجة، ومنها النكاح، وقال أبو إسحاق: في كلِّ حاجة، وفيه دلالة على سنيَّة ذلك في النكاح وغيره، ويخطب بها العاقد لنفسه حال العقد، وهي من السنن المهجورة، وذهبت الظاهرية إلى أنها واجبة، ووافقهم من الشافعية أبو عوانة، ولكن الصحيح عدم الوجوب. انظر: «سبل السلام» (١٣٠٣-١٣٠٤) - ح - رقم (٩١٥).
ب- قولنا: «نستهديه» ليست في الحديث، ولم ترِد في ذلك أي رواية على حدِّ علمي.
جـ- قولنا: «نشهد» بصيغة الجمع لم يأت في الحديث، بل الثابت الإفراد، وذلك لأنَّ الشهادة من أعمال القلوب، والتي لا يجوز فيها الإنابة، فقد جاءت في الحديث بلفظ: «أشهد أن لا إله إلا الله...».
د- وقوله: «في خطبة الحاجة من النكاح وغيره» ليست من قول ابن مسعود اكما وهم بعض العلماء، وإنما هو من قول أبي إسحاق السبيعي، وقد وضحت في رواية أبي داود الطيالسي (ص٤٥) - ح - (٣٣٨)، ثم قال شعبة: قلت لأبي إسحاق هذه في خطبة النكاح أو في غيرها، قال في كل حاجة، والبيهقي (٧/ ١٤٦).
هـ- الذي يأتي بهذه الخطبة هو ولي الزوجة، وليس أحد الجالسين أو المدعوين وإنما يأتي بها افتتاحًا لإنكاح وليته إلى زوجها. وانظر: «صفة خطبة النبي ﷺ» (٦٣) لأخينا الفاضل عمرو سليم - حفظه الله -.
قلت: والذي أراه أن الأمر يختلف من شخص لآخر، فيقول شيخنا الإمام الصنعاني رحمه الله في «السبل» (٣/ ٩٧٩) شرح - ح - (٩١٥): «و غيره، ويخطب بها العاقد بنفسه حال العقد وهي من السنن المهجورة»، وقول الإمام الصنعاني هو الراجح عندي بخلاف ما قاله غيره، وليس هذا محل بسط الكلام فيها، والله المستعان.
قلت: وقد ذهب بعض العلماء أن لفظة: «و كل ضلالة في النار» شاذة، تفرد بها عتبة بن عبدالله، أخرجه بهذا اللفظ النسائي (٣/ ١٨٨)، وابن خزيمة (ح ١٧٨٥). وقد روى هذا الحديث إبراهيم بن عبدالله الخلال، والحسين المروزي عن ابن المبارك، عن سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، ولم يذكروا هذه الزيادة.
وكل من روى هذا الحديث لم يذكر هذه اللفظة كالتالي:
أ- أخرجه مسلم (٨٦٧)، وابن حبان، والبيهقي، وابن ماجه (٤٥) من طريق عبدالوهاب الثقفي.
ب- ومسلم أيضًا (٨٦٧) من طريق سليمان بن بلال. =

= جـ- وأحمد في «المسند» (٣/ ٣١٠) من طريق مصعب بن سلام.
د- وأحمد أيضًا من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري.
و- وابن خزيمة: من طريق أنس بن عياض (١٧٨٥).
هـ- وأحمد (٣/ ٣٣٨): من طريق عبدالله بن الوليد العدني. جميعهم عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر.
ز- وأحمد (٣/ ٣٧١)، ومسلم (٨٦٧) من طريق وكيع عن سفيان به.
قلت: ثم وقفت على قول لشيخنا الإمام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٩/ ١٩١) حول هذه اللفظة فقال: «و لم يقل - أي رسول الله ﷺ -: وكل ضلالة في النار، بل يضل عن الحق من قصد الحق، وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه فلا يعاقب، وقد يفعل بعض ما أمر به فيكون له أجر على اجتهاده، وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الأمر مغفور له. وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يرد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم، وإذا اتقى الرجل ربه ما استطاع دخل في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. .» اهـ.
قلت: ومما قد يعكر قولنا السابق وقول شيخنا ابن تيمية:
أ- ما رواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص٢٤) بسنده.
أخبرنا أسد عن سفيان بن عيينة، عن هلال الوزان، قال: أخبرنا شيخنا القديم عبدالله بن عكيم، عن عمر t أنه كان يقول: «أصدق القيل قيل الله، وإن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ وإن شر الأمور محدثاتها، ألا وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار». وسنده حسن ولله الحمد على ذلك.
ب- قلت: واستدلال شيخنا ابن تيمية بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، يمكن الاستدراك عليه بقولنا:
١- مقصود الآية كما قال الحافظ ابن كثير (١/ ٣٤٢-٣٤٣): «أي إن تركنا فرضًا على جهة النسيان أو فعلنا حرامًا كذلك أو أخطأنا، أي الصواب في العمل جهلًا منا بوجهه الشرعي» اهـ.، ويقول القرطبي رحمه الله (٢/ ١٣٤٦): «يعني إن جهلنا، أو أخطأنا يعني: إن تعمدنا، ويقال: إن عملنا بالنسيان والخطأ» اهـ.، وله كلام (٢/ ١٣٥٢) فانظره.
قلت: وقول الحافظ ابن كثير الراجح عندي، لأدلة مذكورة في تفسيره فانظره.
فيكون مقصود الحديث: كل ضلالة بعلم مسبق، مع قيام الدليل على صاحب الضلالة، فهذه الضلالة بهذا المعنى في النار، ولا خلاف في ذلك، والنقيض إذا كانت هذه الضلالة بجهالة، وبهذا يتم التوفيق بين الآية والحديث، والله أعلم.
=

ثم أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمدٍ ﷺ، و شرَّ الأمور محدثاتها، و كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة(١).

فهذا كتاب طيب مبارك أسميته «علو الهمة عند نساء الأمة» سائلًا الحق سبحانه أن ينفع به نساء الأمة جميعًا من الأمهات، والأخوات والبنات، وأن يجعله في ميزان حسناتي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين . . .

كتبه المؤلف

محمد عبد الملك الزغبي

مؤلف مساهم برابطة العالم الإسلامي برقم (٤٩٣/ب)

عضو العلاقات العامة العربية برقم (١١٦٦)

دراسات عليا بالدراسات الإسلامية برقم (١١٠)

= ٢- قلت: في لفظ الحديث: «و كل ضلالة في النار» فالمقصود هنا الضلالة، وليس صاحبها ؛ ولذا فإن لشيخنا العلامة الألباني قاعدة تقول: «ليس كل من وقع الكفر منه، وقع الكفر عليه» فقد يفعل الإنسان الكفر، ولكن لا يُكفر ؛ لوجود شبهة ما عنده، مع أن الكفر مذموم على الدوام. . والله أعلم» اهـ. وقال الحافظ ابن حجر «الفتح» (١/ ١٠٥) = - ح - (٢٩): «مراد المصنف (خ) أن يُبين أن الطاعات كما تسمى إيمانًا كذلك المعاصي تسمى كفرًا، ولكن يطلق عليها الكفر ولا يراد المخرج من الملة» اهـ.

و هذا اجتهادي في هذه المسألة، ومن وصل إلى أحسن من هذا فليتبعه ولينصحنا في الله، والله سبحانه تعالى أعلى وأعلم.

(١) الحديث صحيح: أخرجه مسلم في «صحيحه» (٨٦٧)، والنسائي (٣/ ١٨٨- ١٨٩) صلاة العيدين، وابن ماجه (٤٥) المقدمة.

المرأة في الإسلام وعند الآخرين

وهذا المبحث قصدت فيه أن أبين تكريم الإسلام للمرأة، حيث إنها كانت مهانة وذليلة، بل كانت سلعة أحيانًا عند الآخرين، لذا أتيت بالمرأة عندهم، وفي ديننا، حتى يظهر لكل ذي بصر وبصيرة الفرق الشاسع بين النور الذي عندنا، والضلال عند الآخرين، وبين الهدى عندنا، والضلال عند الآخرين، والحق عندنا، والباطل عند الآخرين، والدليل عندنا، والهوى عند الآخرين. والله المستعان.

المرأة عند اليونان(١)

كانت المرأة في المجتمع اليوناني أول عهده بالحضارة محصنة وعفيفة لا تغادر البيت، وتقوم فيه بكل ما يحتاج إليه من رعاية، وكانت محرومة من الثقافة لا تُسهم في الحياة العامة بقليل ولا كثير، وكانت محتقرة حتى سموها رجسًا من عمل الشيطان، وكان الحجاب شائعًا في البيوتات العالية، أما من الوجهة القانونية فقد كانت المرأة عندهم كسقط المتاع تُباع وتُشترى في الأسواق، وهي مسلوبة الحرية والمكانة في كلِّ ما يرجع إلى حقوقها المدنية، ولم يعطوها حقًّا في الميراث، وأبقوها طيلة حياتها خاضعة لسلطة رجلٍ وكَّلوا إليه أمر زواجها فهو

---

(١) انظر: «المرأة بين الفقه والقانون» - د. مصطفى السباعي - دار الوراق، ودار السلام (ص ١١-١٨) بتصرُّف.

يستطيع أن يفرض عليها من يشاء زوجًا، وعهدوا إليه بالإشراف عليها في إدارة أموالها، فهي لا تستطيع أن تبرم تصرفًا دون موافقته، وجعلوا للرجل الحقَّ المطلق في فصم عُرى الزوجية، بينما لم يمنحوا المرأة حقَّ طلب الطلاق إلا في حالاتٍ استثنائية، بل وضعوا العراقيل في سبيل الوصول إلى هذا الحقِّ، ومِن ذلك أن المرأة إذا أرادت أن تذهب إلى المحكمة لطلب الطلاق تربَّص بها الرجل في الطريق فأسرها، وأعادها قسرًا إلى البيت.

أما في إسبارطة فقد توسَّعوا في إعطائها شيئًا من الحقوق المدنية فأعطوها شيئًا من الحقِّ في الإرث، والبائنة، وأهلية التعامل، وما كان ذلك عن سماحةٍ منهم، واعتراف بأهلية المرأة، وإنما كان لوضع المدينة الحربيِّ حيث كان أهلها في حربٍ وقتالٍ، فكان الرجال يشتغلون بالحرب دائمًا، ويتركون التصرُّف في حال غيبتهم للنساء، ومن هنا كانت المرأة في إسبارطة أكثر خروجًا إلى الشارع، وأوسع حرفة من أختها في أثينا وسائر مدن اليونان، ومع هذا فقد كان أرسطو يعيب على أهل إسبارطة هذه الحرية والحقوق التي أعطوها للمرأة، و يعزو إسبارطة وانحلالها إلى هذه الحرية والحقوق، وفي أوج حضارة اليونان تبذَّلت المرأة، واختلطت بالرجال في الأندية والمجتمعات، فشاعت الفاحشة؛ حتى أصبح الزنا أمرًا غير منكر، وحتى غدت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب، ثم اتخذوا التماثيل العارية باسم الأدب والفن، ثم اعترفت ديانتهم بالعلاقة الآثمة بين الرجل والمرأة، فمن آلهتهم إفروديت التي خانت ثلاثة آلهة، وهي زوجة إله واحد، وكان من أخدانها رجل من عامة البشر فولدت كيوبيد إله الحب عندهم ! ثم لم يشبع غرائزهم ذلك حتى انتشر عندهم الاتصال الشاذُّ بين الرجل والرجل، وأقاموا لذلك تمثال هرموديس وأرستوجتين وهما في علاقة آثمة، وكان ذلك خاتمة المطاف في حضارتهم؛ فانهارت وزالوا.

المرأة عند الرومان

أما عند الرومان فقد كان الأمر عندهم في العصر القديم أن الأب ليس ملزمًا بقبول ضمِّ ولده منه إلى أسرته ذكرًا كان أو أنثى، بل كان يوضع الطفل بعد ولادته عند قدميه، فإذا رفعه وأخذه بين يديه كان دليلًا على أنه قَبِل ضمه إلى أسرته، وإلا فإنه يعني رفضه لذلك، فيؤخذ الوليد إلى الساحات العامة، أو باحات هياكل العبادة، فيطرح هناك، فمن شاء أخذه إذا كان ذكرًا، وإلا فإن الوليد يموت جوعًا وعطشًا، وتأثرًا من حرارة الشمس، أو برودة الشتاء.

وكان لرب الأسرة أن يُدخل في أسرته من الأجانب مَن يشاء، ويُخرج منها من أبنائه مَن يشاء عن طريق البيع، ثم قيد قانون الاثني عشر لوحًا حقَّ البيع بثلاث مرات، فإذا باع الأب ابنه ثلاث مرات متوالية كان له الحقُّ في التحرر من سلطة رئيس الأسرة، أما البنت فكانت تظلُّ خاضعة لرب الأسرة ما دام حيًّا.

وكانت سلطة رب الأسرة على أبنائه وبناته تمتد حتى وفاته، مهما بلغ سنُّ الأبناء والبنات، كما كانت له سلطة على زوجته، وزوجات أبنائه، وأبناء أبنائه، وكانت هذه السلطة تشمل البيع، والنفي، والتعذيب، والقتل، فكانت سلطته سلطة ملك لا حماية، ولم يُلغ ذلك إلا في قانون جوستنيان «المتوفى ٥٦٥م» فإن سلطة الأب فيه لم تعُد تتجاوز التأديب.

وكان رب الأسرة هو مالك كلِّ أموالها، فليس لفرد فيها حقُّ التملك، وإنما هم أدوات يستخدمها رب الأسرة في زيادة أموالها، وكان رب الأسرة هو الذي يقوم بتزويج الأبناء والبنات دون إرادتهم.

أما الأهلية المالية فلم يكن للبنت حقُّ التملك، وإذا اكتسبت مالًا أُضيف إلى أموال رب الأسرة، ولا يؤثر في ذلك بلوغها ولا زواجها، وفي العصور المتأخرة في عصر قسطنطين تقرَّر أن الأموال التي تحوزها البنت عن طريق ميراث أمها تتميز عن أموال أبيها. ولكن له الحق في استعمالها واستغلالها، وعند تحرير البنت من سلطة رب الأسرة يحتفظ الأب بثلث أموالها كملك له ويعطيها الثلثين.

وفي عهد جوستنيان قرر أن كل ما تكتسبه البنت بسبب عملها، أو عن طريق شخص آخر غير رب أسرتها يعتبر ملكًا لها، أما الأموال التي يعطيها رب الأسرة فتظل ملكًا له، على أنها وإن أُعطيت حقَّ تملك الأموال؛ فإنها لم تكن تستطيع التصرف فيها دون موافقة رب الأسرة.

وإذا مات رب الأسرة يتحرر الابن إذا كان بالغًا، أما الفتاة فتنتقل الولاية عليها إلى الوصيِّ ما دامت على قيد الحياة، ثم عُدل ذلك أخيرًا بحيلةٍ للتخلص من ولاية الوصي الشرعي بأن تبيع المرأة نفسها لوليٍّ تختاره، ويكون متفقًا فيما بينهما أن هذا البيع لتحررها من قيود الولاية، فلا يعارضها الولي الذي اشتراها في أي تصرف تقوم به.

وإذا تزوجت الفتاة أبرمت مع زوجها عقدًا يُسمَّى اتفاق السيادة، أي بسيادة الزوج عليها، وذلك بإحدى ثلاث طرق:

١- في حفلة دينية على يد الكاهن.

٢- بالشراء الرمزي، أي يشتري الزوج زوجته.

٣- بالمعاشرة الممتدة بعد الزواج إلى سنة كاملة.

وبذلك يفقد رب الأسرة سلطته الأبوية على ابنته، وتنتقل هذه السلطة إلى الزوج. وعلى الجملة فقد تحولت السلطة على المرأة - في عهد الازدهار العلمي للقانون الروماني- من سلطة ملك إلى سلطة حماية، ولكنها مع ذلك ظلت قاصرة الأهلية.

فبينما كانت قوانين الألواح الاثني عشر تعتبر الأسباب الثلاثة الآتية أسبابًا لعدم ممارسة الأهلية وهي: السن، والحالة العقلية، والجنس، أي الأنوثة وكان فقهاء الرومان القدامى يعللون فرض الحجر على النساء بقولهم: «لطيش عقولهن» جاء قانون جوستنيان ينص على أنه يشترط لصحة التعاقد أهلية حقوقية، وأهلية فعلية واقعية.

* أما الأهلية الحقوقية فيعتبر فاقدًا لها:

١- الرقيق.

٢- الأجانب في العقود الوطنية كالعقود الشفهية بالوعد كالعهود الكتابية.

٣- الخاضعة لسلطة رئيس أسرة، وهن البنات والزوجات.

* وأما الأهلية الفعلية الواقعية فيعتبر فاقدًا لها:

١- الأولاد «الصغار» والمعتوهون.

٢- السفهاء في الحالة التي يصبحون فيها مدينين.

٣- البنات والسيدات البالغات الخاضعات لسلطة رئيس أسرة «أب أو زوج» وذلك في الحالات التي يصبحن فيها مدينات دون إذن من سيدهن.

٤- النساء البالغات المستقلات، وذلك في الحالة التي يصبحن فيها مدينات دون إذن من الوصي عليهن.

غير أن هذه الحالة الأخيرة من فقدان الأهلية قد زالت مع زوال الوصاية على النساء في الإمبراطورية السفلى، لكن هؤلاء النساء البالغات المستقلات ظللن فاقدات الأهلية عند تحمل دَين الغير دون نفع لهن، فلسن أهلًا لأن يتحملن دينًا عن أزواجهن، ولا أي واحد من الناس[١].

المرأة في شريعة حمو رابي

كانت المرأة في شريعة حمو رابي تُحسب في عداد الماشية المملوكة، حتى أن من قتل بنتًا لرجل كان عليه أن يسلم بنته ليقتلها أو يتملكها.

المرأة عند الهنود

وكان علماء الهنود الأقدمون يرون أن الإنسان لا يستطيع تحصيل العلوم والمعارف ما لم يتخلَّ عن جميع الروابط العائلية.

ولم يكن للمرأة في شريعة «منو» حقٌّ في الاستقلال عن أبيها، أو زوجها، أو ولدها، فإذا مات هؤلاء جميعًا؛ وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها، وهي قاصرة طيلة حياتها، ولم يكن لها حقٌّ في الحياة بعد وفاة زوجها، بل يجب أن تموت يوم موت زوجها، وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أُبطلت على كرهٍ من رجال الدين الهنود.

---

(١) المرجع السابق، نقلًا من: «المدخل إلى تاريخ الحقوق الرومانية» للدكتور معروف الدواليبي، و«المرأة عند اليونان» و«المرأة عند الرومان» للدكتور محمود سلام زناتي.

وكانت تُقدَّم قربانًا للآلهة؛ لترضى، أو تأمر بالمطر أو الرزق. وفي بعض مناطق الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاةً تأكلها كل سنة.

وجاء في شرائع الهندوس: ليس الصبر المقدر، والريح، والموت، والجحيم، والسم، والأفاعي، والنار، أسوأ من المرأة.

المرأة عند اليهود

كانت بعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادم، وكان لأبيها الحقُّ في أن يبيعها قاصرة، وما كانت ترث إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين، وإلا ما كان يتبرع به لها أبوها في حياته.

ففي الإصحاح الثاني والأربعين من سفر أيوب: «ولم توجد نساء جميلات كنساء أيوب في كلِّ الأرض، وأعطاهن أبوهن ميراثًا بين إخوتهن».

وحين تحرم البنت من الميراث لوجود أخ لها ذكر يثبت لها على أخيها النفقة والمهر عند الزواج، إذا كان الأب قد ترك عقارًا يعطيها من العقار، أما إذا ترك مالًا منقولًا فلا شيء لها من النفقة والمهر ولو ترك القناطير المقنطرة.

وإذا آل الميراث إلى البنت لعدم وجود أخ لها ذكر؛ لم يجز لها أن تتزوج من سبط آخر، ولا يحقُّ لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها.

واليهود يعتبرون المرأة لعنة؛ لأنها أغوت آدم، وقد جاء في التوراة: «المرأة أمرُّ من الموت، وإن الصالح أمام الله ينجو منها، ورجلًا واحدًا بين ألف وجدتُ، أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد».

عند النصارى

لقد هال رجال النصرانية الأوائل ما رأوا في المجتمع الروماني من انتشار الفواحش والمنكرات، وما آل إليه المجتمع من انحلال أخلاقي شنيع، فاعتبروا المرأة مسئولةً عن هذا كله؛ لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات، وتتمتع بما تشاء من اللهو، وتختلط بمن تشاء من الرجال كما تشاء، فقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه، وأن العزب عند الله أكرم من المتزوج، وأعلنوا أنها باب الشيطان، وأنها يجب أن تستحيي من جمالها؛ لأنه سلاح إبليس للفتنة والإغراء.

قال القديس ترتوليان: «إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضة لنواميس الله، مشوِّهة لصورة الله، أي الرجل».

وقال القديس سوستام: «إنها شرٌّ لا بدَّ منه، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة، ومصيبة مطلية مموهة».

وفي القرن الخامس اجتمع «مجمع ماكون» للبحث في المسألة التالية: هل المرأة مجرَّد جسم لا روح فيه؟ أم لها روح ؟

وأخيرًا قرروا أنها خلو من الروح الناجية «من عذاب جهنم» ما عدا أمَّ المسيح.

ولما دخلت أمم الغرب في النصرانية كانت أراء رجال الدين قد أثَّرت في نظرتهم إلى المرأة، فعقد الفرنسيون في عام ٥٨٦ للميلاد «أي في أيام شباب النبي علية الصلاة والسلام» مؤتمرًا للبحث: هل تُعد المرأة إنسانًا أم غير إنسان؟ وأخيرًا قرروا أنها إنسان خُلقت لخدمة الرجل فحسب.

واستمر احتقار الغربيين للمرأة، وحرمانهم لحقوقها طيلة القرون الوسطى حتى أن عهد الفروسية الذي كان يُظن فيه أن المرأة احتلت شيئًا من المكانة الاجتماعية، حيث كان الفرسان يتغزَّلون بها، ويرفعون من شأنها، لم يكن عهد خير لها بالنسبة لوضعها القانوني والاجتماعي، فقد ظلت تعتبر قاصرة لا حقَّ لها في التصرف بأموالها دون إذن زوجها.

ومن الطريف أن نذكر أن القانون الإنجليزي حتى عام ١٨٠٥م كان يُبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات، فقد حدث أن باع إنجليزي زوجته عام ١٩٣١م بخمسمائة جنيه، وقال محاميه في الدفاع عنه: إن القانون الإنجليزي قبل مائة عام كان يُبيح للزوج أن يبيع زوجته، وكان القانون الإنجليزي عام ١٨٠١م يُحدد ثمن الزوجة بستة بنسات بشرط أن يتم البيع بموافقة الزوجة، فأجابت المحكمة بأن هذا القانون قد أُلغي عام ١٨٠٥ بقانون يمنع بيع الزوجات، أو التنازل عنهن، وبعد المداولة حكمت المحكمة على بائع زوجته بالسجن عشرة أشهر.

وقد حدث في العام الماضي أن باع إيطالي زوجته لآخر على أقساط، فلما امتنع المشتري عن سداد الأقساط الأخيرة قتله الزوج البائع «مجلة حضارة الإسلام: السنة الثانية ص ١٠٧٨».

ولما قامت الثورة الفرنسية «نهاية القرن الثاني عشر» وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية والمهانة، لم تشمل بحنوها المرأة، فنص القانون المدني الفرنسي على أنها ليست أهلًا للتعاقد دون رضا وليِّها إن كانت غير متزوجة، وقد جاء النص فيه على أن القاصرين هم: الصبي والمجنون والمرأة! واستمر ذلك حتى عام ١٩٣٨م حيث عُدلت هذه النصوص لمصلحة المرأة، ولا تزال فيها بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة.

المرأة عند العرب قبل الإسلام

وإذا عُدنا إلى البيئة العربية قبل الإسلام، وجدنا المرأة العربية مهضومةً في كثير من حقوقها، فليس لها حقُّ الإرث، وليس لها على زوجها أي حقٍّ، وليس للطلاق عدد محدود، ولا لتعدُّد الزوجات حدٌّ معين، ولم يكن عندهم نظام يمنع تمكين الزوج من النكاية بها، كما لم يكن لها الحقُّ في اختيار زوجها، ولقد كان رؤساء العرب وأشرافهم فحسب يستشيرون بناتهم في أمر الزواج، كما نستنتج ذلك من بعض القصص التاريخية.

وكان الرجل إذا مات، وله زوجة وأولاد من غيرها، كان الولد الأكبر أحقُّ بزوجة أبيه من غيره، ويعتبرها إرثًا كبقية أموال أبيه، فإن أراد أن يعلن عن رغبته في الزواج منها طرح عليها ثوبًا، وإلا كان لها أن تتزوج بمن تشاء.

وكانوا يتشاءمون من ولادة الأنثى، وكانت بعض قبائلهم تئدها؛ خشية العار، وبعضهم كان يئدها، ويئد أولاده عامة؛ خشية الفقر، ولم تكن هذه عادة فاشية في العرب، وإنما كانت في بعض قبائلهم، ولم تكن قريش منها.

وكل ما كانت تعتزُّ به المرأة العربية في تلك العصور على أخواتها في العالم كله، حماية الرجل لها، والدفاع عن شرفها، والثأر لامتهان كرامتها.

قلت: حتى بالنسبة للطلاق في الجاهلية[(١)]:

قالت أمُّ المؤمنين عائشة: كان الرجل يُطلق امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته إذا راجعها، وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة، أو أكثر حتى قال

(١) انظر: «فقه السنة» - سيد سابق (٩/٣) ط. الفتح للإعلام العربي.

رجل لامرأته: والله لا أُطلقك فتبيني مِنِّي، ولا آويك أبدًا. قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك، فكلما همَّت عدتك أن تنقضي راجعتك، فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة فأخبرتها، فسكتت حتى جاء النبي ﷺ فأخبرته، فسكت النبي ﷺ حتى نزل القرآن ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[(١)] قالت عائشة: فاستأنف الناس الطلاق مستقبلًا، من كان طلَّق، ومن لم يكن طلق[(٢)].

المرأة في الحضارة الغربية

نشرت مجلة حضارة الإسلام التي تصدر في دمشق، في العدد الأول من السنة الثانية بتاريخ المحرم ١٣٨١ حزيران ١٩٦١ ما يلي:

أصدرت إحدى المؤسسات الأمريكية منشورًا تحرم فيه على الموظفات لبس الفساتين القصيرة جاء فيه: «محظور أن تكون ركبتا العاملات بالمؤسسة عاريتين وهن جالسات إلى مكاتبهن»، وقد ثارت ثائرة الجمعيات النسائية هناك لهذا القرار، وبعثت إحداها لإدارة المؤسسة تقول: «إن هذا أمر تعسفي، و ثِقوا أن جوَّ العمل سوف تنقصه متعة كبيرة إذا لم تكن الركبتان مرئيتين! . . . »[(٣)]

- وجاء في العدد نفسه ما يلي:

بلغ عدد سرقات المتاجر الكبيرة في إنجلترا خلال العام الماضي (١٩٦٠) نحو (٣٤١٩٤) سرقة، هذا عدا الحالات التي لم تبلغ لإدارة البوليس، والغريب أن

(١) «سورة البقرة»: (٢٩٩).

(٢) رواه الترمذي «كتاب الطلاق» (١١٩٢)، وفيه رواية أخرى عن أبي كريب أصح من حديث يعلى بن شبيب.

(٣) انظر: «المرأة بين الفقه والقانون»، (ص١٨٠-١٨٣).

٦٠% من السرقات ارتكبتها نساء جاوزن سن البلوغ، و٣٠% ارتكبها ذكور أقل من السابعة عشرة، وتقول الإحصائيات: إن كل السارقات من النساء لم يكن في حاجة للمال!.

- **وجاء في المجلد الثاني (ص ٤٩٠) من المجلة المذكورة:**

«ليت رحلتنا تدوم، أو ليت البقاء يُكتب لي هنا، وأشارت بيدها إلى البعيد وتابعت: «هناك ... حيث، بعيدًا، بعيدًا حركة وضجيج، و مادة، و سرعة، وتعايش غير إنساني، كل إنسان يريد أن يفهم الدنيا كسبًا، وأن ينتهبها لذة، وأن يسيطر عليها نفوذًا، وما أصعب الحياة الصاخبة، وما أحلى أن يعيش الإنسان في حدود إنسانيته، يفعل ما يرى أنه بحاجة إليه نابعًا من ذاته، و يعمل ما يريد؛ لأن المجتمع أراد، ويتحمَّس لما لا يحسن؛ لأن المجموعة متحمسة، ويخالف ضميره، ومزاجه، ومبادئه في كثيرٍ من الأحيان؛ لأن سنة السرعة والحركة تفرض عليه هذا، ولا يستطيع الهرب، أوالانطلاق من السلسلة التي تطوقه».

ثم تابعت حديثها بلغة عربية غير سليمة، ولكنها مفهومة تجيب على سؤال الصحفي حين سألها عن المرأة، وهل هي متزوجة؟

فأجابت:

«لم أتزوج بعد؛ لأنني لم أجد الزوج الذي يقدِّس المرأة ويميزها، ويقدمها على نفسه، ويعرف قدرها كالزوج العربي، هناك يعامل الزوج زوجته على قدم المساواة مع أيِّ جار أوصديق! إنها شيء في حياته لا يجوز الاستغناء عنه، وفي أحسن الحالات يجوز أن يتساوى معه، أما هنا فالزوجة والمرأة بشكل عام، مفضلة، مدللة، محترمة المكانة، يسعى الرجل لإسعادها قبل أن يُسعد نفسه»،

وعندما قال الصحفي الدمشقي للمغتربة: إن النساء هنا لا يرضين عن هذه المعاملة، إنهن يطالبن بالمساواة مع الرجل!.

ضحكت المغتربة ساخرة، وقالت:

«لو ذهبن إلى أمريكا، وأذعن ما يُطالبن به هنا؛ لضحكت كل النساء الأميركيات من هذه المطالب.

إن المرأة الأمريكية تحسد المرأة العربية، وتتمنَّى حياة زوجية كحياتها».

- **ونشرت المجلة أيضًا في (ص ٨٢٩) من المجلد الثاني ما يلي:** نقلًا عن مجلة «وِمانز هوم كومبانيون»: أصبح الحمل أهم مشكلة من مشكلات الصحة في دوائر الصناعة الأمريكية، فإن العاملات اللاتي يبلغ عددهن ٢٠ مليون امرأة يوشكن أن يصبحن جميعًا في سنِّ الحمل، وأكثر من نصفهن متزوجات، والعاقبة المتوقعة هي: نسبة تغيُّب عالية، ونسبة إجهاض آخذة في الازدياد، وعواقب سيئة تُعرِّض الصحة للخطر، وقد وجدت شركة كبيرة أن سدس العاملات المتزوجات يتغيبن، إما لأنهن قد وضعن، أو كُنَّ على وشك الوضع، أو أنهن أجهضن، وهذه الشركة لا تُثبط الأمومة، ولكن هناك مصانع تطرد المرأة يوم تظهر عليها أعراض الحمل، فإذا هي تُخيَّر خيارًا أليمًا بين طفلها وبين عملها، وكثيرًا ما تخفض أجرها، فتستمر في العمل، أو تأخذ طريقها إلى طبيب يجهضها، ويقدر الدكتور موريس فيشباين نسبة الارتفاع في حالات الإجهاض أثناء الحرب بما يتراوح بين ٢٠ و٤٠ %.

- **ونشرت مجلة «حضارة الإسلام» في (ص ٦١٩) من المجلد الثاني ما يلي:**

جاء في التقرير السنويِّ لوزارة الداخلية البريطانية أن عصابات النساء، والمراهقات زادت زيادة خطيرة مما يُهدِّد الأمن العام.

أُلقي القبض على ٧٤٢ ألف فتاة وسيدة خلال العام الماضي بتهمة السطو والسرقة، وعشرة آلاف فتاة تحت سن العشرين بتهمة الدعارة، والتسكُّع، والتحريض على الفسق.

وجاء في التقرير: إن (٢٦٨٠) فتاة تحت سن الثامنة عشرة دخلن السجن بتهمة السرقة بالإكراه.

وقد صرَّح مدير سكوتلانديارد بأن عصابات المراهقات والنساء تهدد أمن لندن، وأن نسبة الجرائم التي ترتكبها الفتيات أكثر مما يرتكبه الفتيان، ويرجع هذا إلى الحرية الفردية التي يتمتعن بها، ولبرامج التلفزيون الشاذة ولأماكن اللهو والخمر.

- ونشرت «حضارة الإسلام» في (ص ٨١٩) من المجلد الثاني ما يلي:

أحدث تصريح سكرتير الممثلة «بريجيت باردو» ضجَّة في الأوساط الفرنسية، فقد عقد مجلس بلدية باريس جلسة خاصة؛ لمناقشة هذا الموضوع لما يؤدي إليه اعتزال الممثلة المذكورة من خلل في الموارد الاقتصادية لباريس.

وشبيه بالنبأ السابق تصريح أحد وزراء خارجية فرنسا السابقين «بيدو» حين قاوم الحركة التي تنادي بالبغاء الرسمي في فرنسا معلنًا في خطاب رسمي: «إن لبغايا باريس فضلًا على فرنسا؛ لأنهن يجلبن لها ملايين الدولارات الأمريكية في كل عام!».

ونشرت «حضارة الإسلام» في (ص ١٠٧٩) من المجلد الثاني:

تعالج مجلة «نيودمن» قضية سبق أن عالجتها الصحف كثيرًا، ولكن هذه المجلة تعود لإثارة الموضوع من جديد، مستعينة بالنتائج المادية والاجتماعية التي أدَّى إليها اشتغال المرأة خارج البيت.

وقد أوردت هذه المجلة كلَّ الأسباب التي قيلت بقبول توظيف المرأة، وزادت عليها ما يمكن أن يقال في المستقبل، ولكن باستقراء النتائج أكدت بأن توظيف المرأة سلاح ذو حدين، فهو من ناحية يسدُّ الفرص أمام بعض الرجال، ومن ناحية ثانية يقلل من الاعتناء بالبيوت، والاهتمام بالأطفال.

وقالت: إن هذا العصر ينظر إلى الأطفال وكأنهم أنواع خاصة من الآلة والسلع، وإن دور الحضانة، وكل أنواع التسلية، والاجتماع التي تقدم لهم، لا تعوِّضهم عن ساعة واحدة يقضونها مع أمهاتهم.

وتقول: إنه من الصعب ما دامت الأم مشغولة بوظيفة خارج البيت أن تجعل للأطفال شخصية فيها خصائص الآباء، وفيها القابلية لنقل تراث الأجداد؛ لأن الطفل منذ أيامه الأولى يضيع في جماعة كبيرة تُساعد على محو شخصيته، وأكدت المجلة بالنهاية أن عمل المرأة خارج البيت، وتركها لأطفالها أصاب الأطفال والمجتمع بكارثة وأدى إلى نتائج خطيرة، وأن الحل الوحيد لهذه المشكلة الاجتماعية الكبرى هو أن تعود المرأة إلى بيتها، وتنصرف إلى تدبير شئون أطفالها ورعايتهم.

ويقول الفيلسوف هربرت سبنسر الإنجليزي في كتاب علم وصف الاجتماع(١):

إن الزوجات كانت تُباع في انجلترا فيما بين القرن الخامس، والقرن الحادي عشر، وإنه حدث أخيرًا في القرن الحادي عشر أن المحاكم الكنسية سَنَّتْ قانونًا على أنَّ للزوج أن ينقل، أو يعيد زوجته إلى رجل آخر لمدة محدودة حسبما يشاء

---

(١) انظر: «المرأة بين الفقه والقانون»، مصطفى السباعي (ص١٤١)، ط. دار الوراق، ودار السلام.

الرجل المنقولة إليه المرأة، وشرٌّ من ذلك ما كان للشريف النبيل «حاكمًا روحانيًّا كان أو زمنيًّا» من الحقِّ في الاستمتاع بامرأة الفلاح إلى مدة أربع وعشرين ساعة بعد عقد زواجها عليه -أي على الفلاح-.

وفي سنة ١٥٦٧م ميلادية صدر قرار من البرلمان الاسكوتلاندي بأن المرأة لا يجوز أن تُمنح أي سلطة على أي شيء من الأشياء.

وأغرب من هذا كله أن البرلمان الإنجليزي أصدر قرارًا في عهد هنري الثامن ملك انجلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد، أي يحرم عليها قراءة الأناجيل وكتب رسل المسيح.

يقول السيد رشيد معقبًا على هذا: «فأين هذا من وضع الصحابة المصحف الأول الذي كتب في خلافة أبي بكر عند امرأة وهي حفصة أمُّ المؤمنين، وزوج النبي ﷺ؟».

قلت: «هذا هو حال الزوجة الغربية، ولا يخفى على أحدٍ، ولننظر بالمقارنة إلى حال الزوجة المسلمة وفضلها إن كانت صالحة».

المرأة والزوجة المسلمة[1]

روى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن مسعود، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال أبوالدحداح الأنصاري: «يا رسول الله، وإن الله ليريد منا القرض؟» قال: «نعم يا أبا الدحداح»، قال: «أرني يدك يا رسول الله» قال: فناوله يده، قال: «فإني قد أقرضت ربي حائطي»، وله حائط فيه ستمائة نخلة، وأمُّ الدحداح فيه

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٢٦٧).

وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح، فناداها: «يا أمَّ الدحداح»، قالت: «لبيك»، قال: «اخرجي فقد أقرضته ربي عز و جل»، وفي رواية أنها قالت له: «ربح بيعُك يا أبا الدحداح»، ونقلت منه متاعها وصبيانها، وإن رسول الله ﷺ قال: «**كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح**» وفي لفظ: «**رُبَّ نخلة مُدَلَّاة عروقها دُرٌّ، وياقوت لأبي الدحداح في الجنة**»، والعذق: بفتح العين النخلة، وبكسرها: عرجونها، والرداح: الثقيل.

وعن **محمد بن الحسين السلمي** قال: «قال أبو محمد الحريري: كنت عند بدر المغازلي، وكانت امرأته باعت دُرًّا بثلاثين دينارًا»، فقال لها بدر: «نفرِّق هذه الدنانير في إخواننا، ونأكل رزق يوم بيوم»، فأجابته إلى ذلك، وقالت: «تزهد أنت، ونرغب نحن؟ هذا ما لا يكون».

وقال **أبو يوسف البزار**: «تزوَّج رياح القيسي امرأة، فبني بها، فلما أصبح قامت إلى عجينها»، فقال: «لو نظرت إلى امرأةٍ تكفيك هذا»، فقالت: «إنما تزوجت رياحًا القيسي، ولم أرني تزوجت جبَّارًا عنيدًا». فلما كان الليل نام ليختبرها، فقامت ربع الليل، ثم نادته: «قم يا رياح»، فقال: «أقوم»، فقامت الربع الآخر، ثم نادته، فقالت: «قم يا رياح» فقال: «أقوم»، فقالت: «مضى الليل، وعَسْكَرَ المحسنون، وأنت نائم، ليت شعري من غرَّني بك يا رياح؟ قال: «وقامت الربع الباقي» اهـ.

وقال **رياح**: «اغتممت مرة في شيء من أمر الدنيا»، فقالت: «أراك تغتم لأمر الدنيا، غرَّني منكم شميط، ثم أخذت هُدْبَةً من مِقْنَعَتِها»، فقالت: «الدنيا أهون عليَّ من هذه» اهـ.

فضل الزوجة الصالحة[(١)]

بناء الأسرة هو أخطر بناءٍ في كيان المجتمع، بل في كيان الأمة بأسرها، فإذا كان الناس يعنون عند إقامة أبنيتهم من الأحجار، باختيار الموقع المناسب، وتحرِّي الخامات الجديدة، التي تكفل سلامة البناء، وتضمن بقاءه إلى حين، إذا كان هذا هو شأن الناس في إقامة الأبنية المكونة من الأحجار والطين؛ فإن بناء الأسر المكونة من الرجال، والنساء، والبنين أولى بالدقة عند الاختيار، وأجدر بالتقصي والاستفسار؛ لأن بناء الأحجار يتعلق بشئون الدنيا وهي فانية، وبناء الأسرة يتعلق بسعادة الدنيا، ويمتد أثره إلى الآخرة، وهي دار القرار.

«إن البيت قلعة من قلاع هذه العقيدة، ولابد أن تكون القلعة متماسكة من داخلها، حصينة في ذاتها، وكل فرد من أفراده يقف على ثغرة كيلا ينفذ منها العدو، أو يقتحمها العسكر، وواجب المسلم أن يؤمِّن هذه القلعة من داخلها، واجبه أن يسدَّ الثغرات فيها قبل أن يذهب عنها بدعوته بعيدًا.

والأب المسلم لا يكفي وحده لتأمين القلعة، فلا بدَّ أيضًا من الأم المسلمة، ليقوما معًا على تربية الأبناء والبنات»[(٢)] اهـ.

«هذا أمر ينبغي أن يدركه الدعاة إلى الإسلام، وأن يعوه جيدًا: إن أول الجهد ينبغي أن يوجه إلى البيت، إلى الزوجة، إلى الأم، ثم إلى الأولاد، وإلى الأهل بعامة؛ يجب الاهتمام البالغ بتكوين المسلمة لتنشئ البيت المسلم، وينبغي لمن يريد بناء مسلم أن يبحث له أولًا عن الزوجة المسلمة، وإلا فسيتأخر بناء الجماعة الإسلامية، وسيظل البنيان متخاذلًا كثير الثغرات» اهـ.

---

(١) انظر: «عودة الحجاب» (٢/ ٢٣٥-٢٤١).

(٢) المرجع السابق نقلًا من «منهج التربية النبوية للطفل»، محمد نور سويد (ص٢٩).

والإسلام في هذه الناحية -شأنه في كل شيء- لا يقيم وزنًا للمظاهر، وإنما يعنى دائمًا بالجوهر الأصيل، لأن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأموال، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال، فالعبرة في الخصال لا الأشكال، و في الخلال لا الأموال: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمْرَيْنِ، تنبو عنه أعينُ الناس، لو أقسم على الله لَأَبَرَّهُ**»[1]

من أجل ذلك رغَّب الإسلام الرجل في تحرى أن تكون زوجته صالحة ذات دين، وجعل ذلك هو الأصل الذي ينبغي الاعتناء به ضمن الخصال المرغوبة فيها، فإنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها، أزرت بزوجها، وسوَّدت بين الناس وجهه، وشوَّهت بالغيرة قلبه، وتنغَّص بذلك عيشه.

لقد بالغ الرسول ﷺ في الحثِّ على ذات الدين؛ لأن مثل هذه المرأة تكون عونًا على أعظم أمر يهم المسلم، ألا وهو الدين. قال رسول الله ﷺ: «**من رزقه الله امرأة صالحة؛ فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني**»[2].

وعن ثوبان ﷺ قال: لما نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3]، كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فقال بعض أصحابه: «أُنْزِلَتْ في الذهب والفضة، لو علمنا أي المال خير فنتخذه»، فقال رسول الله ﷺ: «**أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تُعِينُه على إيمانه**»[4]

---

(١) الحديث: صحيح - رواه مسلم - ح - (٢٦٢٢)، والحاكم (٤/٣٢٨) واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الحاكم (٢/ ١٦١) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) التوبة (٣٤).

(٤) الحديث: رواه أحمد (٥/٢٧٨)، والترمذي (٣٠٩٣)، وانظر: «صحيح الجامع» (٥٢٣١).

وقال بعضهم في نظم هذا المعنى:

من خير ما يتخذ الإنسان في دنياه كيما يستقيمَ دينُه
قلب شكور، ولسان ذاكر وزوجة صالحة تُعِينُه

وعن سعد رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة من السعادة، وثلاثة من الشقاء، فمن السعادة: المرأة الصالحة؛ تراها فَتُعْجِبُكَ، وتغيب عنها؛ فتأمنُها على نفسها ومالك»**[1] الحديث.

وعنه رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»**[2].

وعن محمد بن واسع قال مسلم بن يسار: «ما غبطت رجلًا بشيء ما غبطته بثلاث: زوجة صالحة، وبجار صالح، وبمسكن واسع».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: «أي النساء خير؟» قال: **«التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره»**.

وعنه رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **«تُنكَح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك»**[3].

قال في «عون المعبود»: «يؤخذ من الأحاديث استحباب تزوج الجميلة، إلا إذا كانت الجميلة غير دَيِّنة، والتي أدنى منها جمالًا متدَيِّنة، فتقدم ذات الدين،

(١) وله تتمة انظر: «عودة الحجاب» هامش (٢/ ٢٣٨).
(٢) الحديث: رواه ابن حبان (١٢٣٢)، وانظر: «الصحيحة» (٢٨٢).
(٣) الحديث: رواه البخاري في «صحيحه» (٩/ ١١٥) في «النكاح»، و«مسلم» (١٤٦٦) في «الرضاع»، وغيرهما.

أما إذا تساوتا في الدين، فالجميلة أولى»[١] اهـ.

وعلق القاضي ناصر الدين البيضاوي رحمه الله على قوله ﷺ: «**فاظفر بذات الدين**» قائلًا: «إن اللائق بذوي المروءات، وأرباب الديانات، أن يكون الدين مطمع نظرهم في كل شيء، ولا سيما فيما يدوم أمره، ويعظم خطره، فلذا اختاره النبي ﷺ، وأبلغه، فأمر بالظفر به، الذي هو في غاية البغية، ومنتهى الاختيار والطلب، الدال على تضمن المطلوب لنعمة عظيمة، وفائدة جليلة»[٢] اهـ.

ويؤكد ﷺ هذا المعنى بقوله فيما رواه عنه عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «**الدنيا كلها متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**»[٣]، أي أن الدنيا متاع زائل، وخير ما فيها من هذا المتاع: المرأة الصالحة؛ لأنها تسعد صاحبها في الدنيا، وتعينه على أمر الآخرة، وهي خير وأبقى.

وقد روي أن أبا الأسود الدؤلي قال لبنيه: «يا بني: قد أحسنت إليكم صغارًا، وكبارًا، وقبل أن تولدوا!»، قالوا: «كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟»، قال: «اخترت لكم من الأمهات من لا تُسبُّون بها».

وشكا رجل لصديقه عقوق ولده له، وسوء معاملته، ودناءة طبعه، فقال: «لا تَلُم أحدًا، ولكن توجه باللوم إلى نفسك؛ لأنك لم تتخير أمه»، وقديمًا قال الناس: «كادت المرأة أن تلد أخاها».

وقال الأصمعي: «ما رفع أحد نفسه بعد الإيمان بالله تعالى بمثل منكح صدقٍ، ولا وضع نفسه بعد الكفر بالله تعالى بمثل منكح سوء».

---

(١) «عون المعبود» (٦/ ٤٢)، و«فتح الباري» (٩/ ١٣٥).

(٢) انظر: «إرشاد الساري» شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٢).

(٣) رواه أحمد (٢/ ٢٦٨)، ومسلم (١٤٦٧)، وغيرهما.

وقال الشاعر:

وليس النبتُ في جِنانٍ كمثل النبت ينبت في الفلاةِ
وهل يُرجى لأطفالٍ كمالٌ إذا ارتضعوا ثُدِيَّ الناقصات

وقال الإمام ابن عبد القوي في «منظومة الآداب»:

وخير النسا من سرَّتِ الزوجَ منظرًا ومن حفظته في مَغِيبٍ وَ مشْهدِ
قصيرةُ ألفاظٍ قصيرةُ بيتها قصيرةُ طرفِ العين عن كُلِّ أَبْعَدِ
عليك بذاتِ الدين تظفَر بالمنى الـ وَدُودِ الوَلودِ الأصلِ ذاتِ التعبُّد

ولله دَرُّ من قال:

سعادةُ المرءِ في خمسٍ إذا اجتمعت صلاح جيرانه، والبر في ولده
وزوجة حسُنت أخلاقها، وكذا خِلٌّ وفي، و رزق المرء في بلده[1]

(١) «عودة الحجاب» نَقْلًا من «مرآة النساء»، (ص/ ٢١).

زوجة شُريح القاضي[1]

قال الشعبي: قال لي شريح: «عليكم بنساء بني تميم؛ فإنهن النساء»، قلت: كيف؟ قال: انصرفتُ من جنازة يومًا، فمررت بدور بني تميم، فإذا امرأة جالسة على وسادة وتجاهها جارية رؤد لها ذؤابة، فأعجبتني، فقلت: من هذه؟ قالت: ابنتي، قلت: فمن؟ قالت: هذه زينب بنت جدير، إحدى نساء بني تميم. قلت: أفارغة أم مشغولة؟

قالت: فارغة. قلت: أفتزوجينيها؟

قالت: نعم، إن كنت كفؤًا، ولها عمٌّ، فاقصده، فأرسلتُ إلى مسروق وأبي بردة وغيرهما، فوافوا عمَّها فقال: ما حاجتك؟ قلت: بنت أخيك زينب بنت جدير، فزوَّجني، ثم زُفَّت إليَّ، فلما خلا البيت قلت لها: إن مِن السنَّة أن تصلي ركعتين، وأسأل الله تعالى خير ليلتنا، فالتفتُّ فإذا هي خلفي تصلي، ثم التفتُّ فإذا هي على فراشها، فمددت يدي.

فقالت: على رسلك إني امرأة غريبة، ووالله ما سرت سيرًا قط أشدَّ عليَّ منه، وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك، فحدِّثني بما تُحبُّ فآتيه، وما تكره فأنزجر عنه، فقلت: أحبُّ كذا، وأكره كذا.

فقالت: أخبرني عن إخوتك، أتحب أن يزوروك؟ قلت: ما أحبُّ أن يملوني، فبتُّ بأنعم ليلة، ثم أقمت عندها ثلاثًا ثم رجعت إلى مجلس القضاء، فكنت لا أرى يومًا، إلا وهو أفضل من الذي قبله، حتى إذا كان رأس الحول، دخلت منزلي فإذا عجوز تأمر وتنهى فقلت: يا زينب من هذه؟

---

(١) انظر: «أحكام النساء» لأبي الفرج ابن الجوزي (ص ١٩٥-١٩٦) برقم (٢٧).

قالت: أمي، قلت: حياك الله بالسلام.

قالت: كيف أنت و زوجتك؟ قلت: على خير.

قالت: إن رابك ريب فالسوط، قلت: أشهد أنها ابنتك، فكانت كلَّ حول تأتينا، فتقول هذا ثم تنصرف، فما غضبتُ عليها إلا مرة، كنت لها فيها ظالمًا، كنت إمام قومي، فسمعت الإقامة، وقد رأيت عقربًا، فعجلت عن قتلها، وكفأت الإناء عليها، وقلت: لا تحركي الإناء حتى أجيء، فعجلت الإناء فضربتها العقرب، فجئت وهي تتلوَّى، فلو رأيتني يا شعبي وأنا أفرك إصبعها في الماء والملح، وأقرأ عليها، وكان لي جار لا يزال يضرب امرأته، فقلت:

رَأَيتُ رِجَالًا يَضرِبُونَ نِسَاءَهُم   فَشُلَّتْ يَمِينِى يَوْمَ أَضرِبُ زَيْنَبَا

يا شعبي: وَدَدْتُ أنِّي قَاسَمْتُها عَيْشِي.

الإسلام وكرامة المرأة

لقد اهتم الإسلام بكرامة النساء غاية الاهتمام؛ وعُني بها غاية العناية، يقولﷺ[(١)]: «اتقوا الله في النساء»[(٢)] ويقول: «استوصوا بالنساء خيرًا»[(٣)]، ويقول: «إنِّي أُحَرِّج عليكم حَقَّ الضعيفين: اليتيم، والمرأة»[(٤)].

وكان كأغضب ما يكون إذا سمع بامرأة يضربها زوجها: فعن عبد الله ابن زمعة قال: وعظ النبي ﷺ في النساء فقال: «**يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد، ثم يعانقها آخر النهار؟**».

وعن **أم المؤمنين عائشة** ﵂ قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ينال منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنْتَهَكَ شيء من محارم الله، فينتقم».

وعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا إماء الله» فجاء عمر بن الخطاب ﵁ إلى رسول الله ﷺ فقال: «ذئِرْنَ النساء على أزواجهن»، فرخَّص في ضربهن، فطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم**».

---

(١) انظر: «عودة الحجاب» (٢/ ٩٩-١٠٣).

(٢) الحديث: صحيح - رواه مسلم في «الحج» - «شرح النووي» (٨/ ١٨٣)، وهامش «عودة الحجاب».

(٣) الحديث: صحيح - رواه البخاري (٩/ ٢١٨)، ومسلم (١٤٦٨) في «الرضاع».

(٤) الحديث: حسن - رواه أحمد (٢/ ٤٣٩)، وابن ماجه (٣٦٧٨)، والحاكم (١/ ٦٣، ٤/ ١٢٨) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وعن بهز بن حكيم حدثني أبي عن جدِّي قال: «قلت: يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منهن وما نذر؟ قال: **ائت حرثك أنَّى شئت، وأطعمها إذا طعمت، واكسها إذا اكتسيت، ولا تُقَبِّح الوجه، ولا تضرب**» و في رواية بزيادة: «**ولا تهجر إلا في البيت**».

ولم يقف الإسلام من كرامة المرأة و رعايتها موقف المكتفي بكفِّ الأذى عنها فحسب، بل كان مما سنَّه رسول الله ﷺ ترفيهها والحرص على سرورها، واجتلاب ما يفرحها، ويشرح صدرها في حدود ما أباحه الله و في غير معصية: فعن عائشة ﵂ قالت: «كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ وكان يأتيني صواحبي، قالت: فكن ينقمعن عن رسول الله ﷺ -قال أنس: ينقمعن يفرون- ، قالت: فكان النبي ﷺ يُسَرِّبهُنَّ إليَّ، فيلعبن معي».

وعنها ل: «أن رسول الله ﷺ قدم من غزوة تبوك أو خيبر، و في سَهْوَتها ستر، فهبَّت ريح، فكشف ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب»، فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**»، قالت: «بناتي»، و رأى بينهن فرسًا له جناحان من رقاع، فقال: «**ما هذا الذي أرى وسطهن؟**»، قالت: «فرس»، قال: «**وما هذا الذي عليه ؟**» قالت: «جناحان»، قال: «**فرس له جناحان؟!**» قالت: «أما سمعت أنَّ لسليمان خيلًا لها أجنحة؟» قالت: «فضحك حتى رأيت نواجذه»[1].

وعنها ﵂ قالت: «والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحرب في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه؛ لأنظر إلى لعبهم، بين أذنه وعاتقه، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السنِّ، الحريصة على اللهو».

(١) الحديث: رواه أبو داود (٤٩٣٢)، وانظر: «آداب الزفاف» (ص٢٧٦).

وقد دخل ﷺ على عائشة ليوم عيد، فوجد عندها فتاتين تنشدان أشعارًا حربية، ولما لم يكن إلا بيت واحد فقد استلقى على فراشه، وولَّى ظهره إليهن، ولما دخل أبو بكرت، وسمع الصوت بالشعر عنَّف ابنته فقال له ﷺ: **«دعهن يا أبا بكر؛ فإن لكلِّ قوم عيدًا، وهذا عيدنا»**(١).

***خلاصة ما للمرأة**(٢):

١- يجب تعليمها، وجعل برامج التعليم للبنات تختلف قليلًا عن برامج التعليم للشباب بما يُهيئها لحياتها في المستقبل.

٢- يجب أن تتمتع بجميع الحقوق التي منحها إياها الإسلام.

٣- يجب العناية بإعدادها لأيام النكبات والحروب، فنحن مُعرَّضون لحروب دامية إقليمية أو عالمية، فيجب أن تتعلم ما يتعلق بالدفاع المدني، والإسعاف المنزلي وغيره، وأن تتدرب على استعمال السلاح، وإتقان الرمي والدفاع، وكل ذلك يجب أن يتم في حدود الأخلاق الإسلامية.

٤- يجب أن يضيق من نطاق توظيفها في الدولة، بحيث لا توظف إلا في وظائف تتفق مع رسالتها ومع طبيعتها، كالتطبيب للنساء، وتطبيب الأطفال، والتعليم في مدارس الأطفال، وفي المدارس الثانوية للبنات وما أشبهها من أعمال التوجيه الاجتماعي للأسر والعائلات.

٥- يجب أن تهيأ لأداء رسالتها الاجتماعية النبيلة بما يجعل منها امرأة صالحة لتكوين الأسرة، والإشراف على شئون البيت والأولاد.

---

(١) انظر: «البخاري» (٢/ ٣٦٦- ٣٧٠) في «العيدين»، و«الجهاد»، و«فضائل أصحاب النبي» ﷺ، وفي «النكاح»، ومسلم (٨٩٢) في «العيدين».
(٢) المرأة - مرجع سابق (ص١٣٥-١٣٦).

٦- يجب منع اختلاطها بالرجال الأجانب عنها، إلا ما تقتضيه الضرورة الماسة في حدود الأخلاق الإسلامية، ومن ذلك أداؤها للعبادات في المساجد، وتلقيها العلم في الجامعات.

٧- يجب عدم إفساد سعادتها بالاشتغال بالسياسة؛ لتصان داخل المجتمع -وهو مجموع العائلات فيه- من خطر الخلافات الحزبية، ولتفرغ لأداء رسالتها الكبرى.

٨- يجب أن تهيأ للقيام بالإصلاح الاجتماعي والأخلاقي في الأوساط النسائية. فعائلاتنا وأمهاتنا ونساؤنا في أشدِّ الحاجة إلى وعي حقيقي تعرف به المرأة كيف تؤدى رسالتها على أكمل وجه، والمرأة أقدر من الرجل وأصلح منه للقيام بهذا العمل الإصلاحي العظيم في أوساط النساء.

٩- يجب ألا يسمح للمرأة بالاشتغال خارج منزلها، إلا حين تكون فقيرة لا عائل لها من زوج أو أب أو قريب، وذلك إلى أن ينفذ نظام الإسلام القاضي بإعالة مثل هؤلاء من بيت المال دون إلجائهن إلى ذلِّ الكسب و إرهاق مطالب العيش.

١٠- يجب منع التبرج وإبداء ما حرم الله إبداءه من جسمها وزينتها، ويجب منع القوانين التي تحقق ذلك، ومعاقبة من تُصرُّ على إبداء معالم فتنتها للرجال بعقوبات متناسبة مع وضع المرأة ونفسيتها.

١١- يجب إيقاف هذا الطوفان الخطير من أدب الجنس، وأن تتعاون الحكومة مع الشعب في هذا الشأن، وفي اعتقادي أن عبء هذا الإيقاف يقع أثقله على عاتق سيداتنا وآنساتنا الفضليات، بأن يبدين رأيهن صريحًا في استنكار هذا النوع من الأدب واستهجانه.

*** التضليل باسم التحرير[(١)]:**

إن كل ما يقال حول قضية المرأة «**وتحريرها**» كلام فيه قليل من الحقِّ وكثير من الباطل والتضليل، ليس في بلادنا قضية باسم «**تحرير المرأة**» بعد أن حررها الإسلام، وإنما هي مشكلة كانت عند الغربيين ولا تزال، وليس طلب الإسلام حشمة المرأة وتفرغها لأداء رسالتها الاجتماعية الكبرى «**كبتًا**» للطاقة، بل «**تنظيم**» لها، والتنظيم غير الكبت، ووضع كل شيء في موضعه ومنعه من تجاوز حدِّه، أمر غير الفوضى والانفلات من كل حق للأسرة أو المجتمع.

وكلنا يعلم الفرق بين «**الكبت**» وبين «**التنظيم**»، كما يعلم الفرق بين «**التخريب**» وبين «**البناء**» وبين«**القانون**» وبين «**الفوضى**».

■ خطر أدباء الجنس[(٢)]:

وفي يقيني أن هؤلاء الذين يحرضون المرأة في أدبهم على الخروج على الآداب الصالحة التي عرفنا بها، ويغرونها بأن تتبع طريق المرأة الغربية، ويعملون على حرمانها من هدوئها وسعادتها، يحملون أكبر وزرٍ من انجراف المرأة والمجتمع في هذا التيار الضار، وقد كان الظن بهم أن يكونوا رواد نهضة حقيقية تبعث في الأمة روح الكفاح، وتحبذ لها حياتها الأسرية الهانئة، ليكون مجتمعنا في نهضته الجديدة مجتمعًا متماسكًا قوي البنيان، إن هؤلاء الناس من أدباء الجنس يحملون بأيديهم محاول التهديم في صرح كياننا الداخلي المتين، وهم في هذا الطريق الذي اختطوه لا يريدون بذلك مصلحة الأمة، ولا يندفعون وراء عقولهم، بل وراء أهوائهم وشهواتهم، وهم يبغون منه الإثراء المادي بنشر هذا الأدب الرخيص المدمِّر بين الشباب والفتيان ليقبلوا عليه ويلتهموا ما فيه.

---

(١) انظر: «المرأة بين الفقه والقانون» (ص١٣٤).

(٢) انظر: «المرأة بين الفقه والقانون» (ص١٣٣-١٣٤)، وانظر: «هكذا علمتني الحياة».

إنِّي لا أرى فرقًا بين أثرياء الجنس وأثرياء الحرب، فكلاهما يجد في الأزمات فرصة للربح والكسب، بل في رأيي أن أثرياء الجنس أشدُّ خطرًا وأسوأ أثرًا، فلماذا نتركهم يضربون بيوتنا باسم الحرية، وما كانت الحرية الخالصة من الشوائب إلا حرية بناء لا تهديم، وحرية تقدم حقيقي لا رجوع إلى الوراء آلاف السنين حين كان الإنسان ينطلق وراء شهواته لا يبالى بمجتمع ولا يتقيد بنظام؟.

ومن الغريب أن أدباء الجنس يقصرون إنتاجهم كله على هذا النوع المؤدي إلى تفسخ الأخلاق، وانحلال الأسرة وشيوع الميوعة، بينما نعيش أخطر مرحلة في تاريخنا كله، مرحلة الكفاح مع إسرائيل، والكفاح -كما تعلم- يقتضي أدب الرجولة لا أدب الميوعة، وأدب القوة لا أدب الضعف، وأدب التضحية لا أدب الحرمان، لا أدب اللذة وإحياء الغرائز والشهوات.

إني لأهيب بعقلاء الأمة، وشبابها وفتياتها الفاضلات الطاهرات، وبجمعياتها النسائية، أهيب بكلِّ مخلص في هذه الأمة رجال ونساء، أن يقفوا في وجه هؤلاء العابثين يمنعونهم من التخريب باسم حرية الكلمة، ويشعرونهم أن شرف الكلمة قبل حريتها، وأن تنظيم الطاقات الجنسية هو غير كبتها كما يزعمون، وأننا في معركة لا سلاح لها إلا العلم والإيمان والأخلاق، وأن كلَّ من يريد أن يدخل إلى بيوتنا، إلى بناتنا، إلى زوجاتنا، مرض الإباحية والتحلل الأخلاقي إنما هم لصوص سارقون، سارقون لأشرف ما تحتفظ به الأمة من أخلاق، وأكرم ما تعتز به من فضائل.

نحن نقول لهؤلاء: اتركوا لنا بناتنا عفيفات، اتركوا لنا زوجاتنا وفيات مخلصات، اتركوا لنا شبابنا شباب ثورة وكفاح لا شباب ميوعة وانحلال.

إن الذي يريد أن يهدم بيتي لا أتركه يتم جريمته باسم الحرية، ولكن آخذ على

يده باسم القانون، ولا أتركه يحرق بيتي باسم الفن، ولكن أحُول بينه وبين ما يريد باسم الحقِّ، باسم الكرامة، باسم القوة التي نحن أحوج ما نكون إليها.

والفنُّ إذا لم يخدم مبادئ النهضة الأساسية في الأمة كان عبثًا، ولهوًا، وفسادًا.

■ شهادة الآخرين في إنصاف الإسلام وتقديره للمرأة[١]:

قال جورج سال في مقدمة ترجمة القرآن الإنجليزية (ص٨٠): «ليس صحيحًا ما يُنسب إلى الإسلام من التهمة الكاذبة التي اتهمه بها بعض الكتاب قولهم: إنه لا يعتبر المرأة ذات نفس. «الإسلام روح المدنية» (ص٢٦٧)، نقلًا عن كتاب «الهلال والصليب».

وقال فولتير في «مقالة القرآن» في معجم الفلسفة: «ولقد نسبنا إلى القرآن كثيرًا من السخافات، وهو في الحقيقة خالٍ منها، إن مؤلفينا الذين كثروا كثرة الإنكشارية يجدون من السهل أن يجعلوا نساءنا من حزبهم بواسطة إقناعهن أن محمدًا اعتبرهن حيوانات ذات ذكاء، وأنهن في نظر الشريعة بمثابة الأرقاء، لا يملكن شيئًا من دنياهن، ولا نصيب لهن في أخراهن، وبديهي أن هذا الكلام باطل، ومع ذلك فقد كان الناس يصدقونه».

نحن لا نجهل أن القرآن يميز الرجل تلك الميزة المعطاة له من الله، ولكن القرآن يختلف عن التوراة في أنه لا يجعل ضعف المرأة عقابًا إلهيًّا كما ورد في سفر التكوين الإصحاح الثالث العدد ١٦

(١) انظر: «المرأة بين الفقه والقانون» د/مصطفى السباعي - دار الوراق ودار السلام (ص١٤٢-١٤٥).

ومن الخلط أن يُنسب إلى شارع عظيم نظير محمد مثل تلك المعاملة المنكرة للنساء، والحقيقة أن القرآن يقول: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

ويقول: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١]، «الإسلام روح المدنية» (ص٢٦٧)، نقلًا عن كتاب «الهلال والصليب».

وقالت أني بيزنت زعيمة التيوصوفية العالمية في كتابها «الأديان المنتشرة في الهند»: «ما أكبر خطأ العالم في تقدير نظريات النبي فيما يتعلق بالنساء، فقد قيل: إنه قرر أن المرأة لا روح لها! فلماذا هذا التجنِّي على رسول الله؟ أعيروني أسماعكم أحدثكم عن حقيقة تعاليمه في هذا الشأن.

جاء في القرآن: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء: ١٢٤].

وبعد أن سردت كثيرًا من الآيات القرآنية التي تحث على رعاية المرأة وإكرامها قالت: ولا تقف تعاليم النبي عند حدود العموميات، فقد وضع قانونًا لوراثة النساء، وهو قانون أكثر عدلًا، وأوسع حرية من ناحية الاستقلال الذي يمنحها إياه من القانون المسيحي الإنجليزي الذي كان معمولًا به إلى ما قبل نحو عشرين سنة، فما وضعه الإسلام للمرأة يعتبر قانونًا نموذجيًّا فقد تكفَّل بحمايتهن في كل ما يمكنه، وضمن لهن عدم العدوان على أي حصة مما يرثنه عن أقاربهن وإخوانهن وأزواجهن». «مجلة الأزهر»، المجلد الثامن (ص٢٩٠).

ويقول «بول تيتو» كما نقلته عن «مجلة الأزهر» المجلد العاشر (ص٧١٢): «ولا تنس أن القرآن أصلح حال المرأة في الحياة الاجتماعية إصلاحًا عظيمًا».

وقالت جريدة «**المونيتور**» الفرنسية كما نقلته «**مجلة الأزهر**» في المجلد الحادي عشر (ص٣١٥): «وقد أوجد الإسلام إصلاحًا عظيمًا في حالة المرأة في الهيئة الاجتماعية، ومما يجب التنويه به أن الحقوق الشرعية التي منحها الإسلام للمرأة تفوق كثيرًا الحقوق الممنوحة للمرأة الفرنسية».

وتقول لورا فيشيافا غليرى في كتابها «دفاع عن الإسلام» (ص١٠٦): «ولكن إذا كانت المرأة قد بلغت من وجهة النظر الاجتماعية في أوربا مكانة رفيعة، فإن مركزها الشرعيَّ على الأقل كان حتى سنوات قليلة جدًّا ولا يزال في بعض البلدان أقل استقلالًا من المرأة المسلمة في العالم الإسلامي».

وفيما يلي فقرات متفرقة من كتاب «حضارة العرب» لجوستاف لوبون:

«ومبادئ المواريث التي نصَّ عليها القرآن على جانب عظيم من العدل والإنصاف، ويمكن للقارئ أن يدرك ذلك من الآيات التي أنقلها منه، وأن أشير فيه بدرجة الكفاية إلى أحكامها العامة، ويظهر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسية والإنجليزية أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات اللاتي يزعمن أن المسلمين لا يعاشرونهن بالمعروف حقوقًا في المواريث لا نجد مثلها في قوانيننا». (ص ٤٧٤) الطبعة الثانية، ترجمة المرحوم الأستاذ عادل زعيتر.

«كان الإسلام ذا تأثير عظيم في حال المرأة في الشرق، فهو قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعًا عظيمًا بدلًا من خفضهما، خلافًا للمزاعم المكررة على غير هدى، فالقرآن قد منح المرأة حقوقًا إرثية بأحسن مما في قوانيننا الأوربية».

ثم قارن المؤلف بين حال المرأة العربية قبل الإسلام وبين حالها بعده، وتابع حديثه قائلًا: «وإذا أردنا أن نعلم درجة تأثير القرآن في أمر النساء وجب علينا

أن ننظر إليهن أيام ازدهار حضارة العرب، فقد ظهر مما قصَّه المؤرخون فنذكره فيما بعد: إنه كان لهن من الشأن ما اتفق لأخواتهن حديثًا في أوربا، وذلك حين انتشار فروسية عرب الأندلس وظرفهم».

«وقد ذكرنا -في فصل سابق- أن الأوربيين أخذوا عن العرب مبادئ الفروسية، وما اقتضته من احترام المرأة، فالإسلام إذن -لا النصرانية- هو الذي رفع المرأة من الدرك الأسفل الذي كانت فيه، وذلك خلافًا للاعتقاد الشائع، فإذا نظرت إلى أمراء النصارى الإقطاعيين في القرون الوسطى، رأيتهم لم يحملوا شيئًا من الحرمة للنساء».

وإذا تصفَّحت كتب تاريخ ذلك الزمن وجدتَ ما يُزيل كلَّ شك في هذا الأمر، فعلمتَ أن رجال عصر الإقطاع كانوا غلاظًا نحو النساء قبل أن يتعلَّم النصارى من العرب أمر معاملتهن بالحسنى، فمن ذلك ما جاء في تاريخ «غاران لولو هيران » من معاملة النساء في عصر شارلمان نفسه لهن: «انقضَّ القيصر شارلمان على أخته في أثناء جدال، وأخذ بشعرها، وضربها ضربًا مبرحًا، وكسر بقفازه الحديدي ثلاثًا من أسنانها»!

فلو حدث مثل ذلك الجدل مع سائق عربة في الوقت الحاضر؛ لبدا هذا السائق أرحم منه بلا ريب».

«ومن الأدلة على أهمية النساء أيام حضارة العرب كثرة من اشتهر منهن بمعارفهن العلمية والأدبية، فقد ذاع صيت عدد غير قليل منهن في العصر العباسي في المشرق والعصر الأموي في أسبانية».

ثم نُقل عن مؤرخي عبد الرحمن الثالث قولهم: «إن ذلك الزمن الذي كان فيه للعلم والأدب شأن عظيم ببلاد الأندلس، كنَّ محبات للدرس في خدورهن،

وكانت الكثيرات منهن يتميزن بدماثتهن ومعارفهن» ثم أخذ يذكر الأمثلة على ذلك وقال:

«خبت حضارة قدماء الخلفاء الساطعة في عهد وارثي العرب، ولا سيما في عهد الترك، فنقص شأن النساء كثيرًا، وسأبين في مكان آخر أن حالتهن الحاضرة أفضل من حالة أخواتهن في أوربة حتى عند الترك، وما تقدم يثبت أن نقصان شأنهن حدث خلافًا للقرآن لا بسبب القرآن على كل حال».

«وهنا نستطيع أن نكرر إذًا قولنا: إن الإسلام الذي رفع المرأة كثيرًا بعيد من خفضها، ولم نكن أول من دافع عن هذا الرأي، فقد سبقنا إلى مثله «كوسان دوبر سفال» ثم مسيو «بارتلمي سنت هيلر».

«لم يقتصر فضل الإسلام على رفع شأن المرأة، بل نضيف إلى هذا أنه أول دين فعل ذلك، ويسهل إثبات هذا ببياننا أن جميع الأديان والأمم التي جاءت قبل العرب أساءت إلى المرأة» (ص ٤٨٨-٤٩٠).

«وحقوق الزوجية التي نصَّ عليها القرآن ومفسروه أفضل كثيرًا من حقوق الزوجية الأوربية» (ص٤٩٧).

«وتعامل المرأة المسلمة باحترام عظيم فضلًا عن تلك الامتيازات، فتنال بذلك حالًا أجمع الباحثون المنصفون (ومنهم من ناصب بعاطفته مبدأ تعدُّد الزوجات العداء) على الاعتراف بحسنها. وعلى رأس هؤلاء مسيو «دو أميسبس» الذي قال في معرض الحديث عن المرأة في الشرق، وذلك بعد أن أنحى باللائمة على تعدُّد الزوجات وفق وجهة نظره الأوربية: «إن المرأة في الشرق تُحترم بنبل وكرم، على العموم؛ فلا أحد يستطيع أن يرفع يده عليها في الطريق، ولا يجرؤ جندي أن يسيء إلى أوقح نساء الشعب حتى في أثناء

الشغب، وفي الشرق يشمل البعل زوجته بعين رعايته، وفي الشرق يبلغ الاعتناء بالأمِّ درجة العبادة، وفي الشرق لا تجد رجلًا يُقدم على الاستفادة من كسب زوجته -أقول: هذا قبل أن تسري إلينا مبادئ الحضارة الغربية- والزوج هو الذي يدفع المهر إلى زوجته في الشرق، إلخ» (ص ٤٩٧).

وختم لوبون كلامه قائلًا:

وإنني أطمع أن يعتقد القارئ بعد وقوفه على ما تقدم، أن مبدأ تعدُّد الزوجات أمر طيب، وأن حبَّ الأسرة، وحسن الأدب، وجميل الطباع أكثر نموًّا في الأمم القائلة به مما في غيرها على العموم، وأن الإسلام حسَّن حال المرأة كثيرًا، وأنه أول دين رفع شأنها، وأن المرأة في الشرق أكثر احترامًا وثقافة وسعادة منها في أوربة على العموم (ص ٥٠٣).

وقال «هملتن» من علماء الإنجليز:

إن أحكام الإسلام في شأن المرأة صريحة في وفرة العناية بوقايتها من كل ما يؤذيها، ويشين سمعتها، «الإسلام والحضارة العربية» (١/ ٩١).

هكذا تكون المرأة

■ **قال الحافظ الذهبي رحمه الله**[١]

روى **إسماعيل بن أبي خالد**، عن الشعبيِّ، قال «لما مرضت فاطمة، أتى أبو بكر فاستأذن، فقال علي: «يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك»، فقالت: «أتُحب أن آذن له؟» قال: «نعم».

قلت: علمت السنة ل، فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره.

قال: فأذنت له، فدخل عليها يترضاها؛ حتى رضيت»[٢] اهـ.

وروى أن شريحًا القاضي قابل الشعبيَّ يومًا، فسأله الشعبي عن حاله في بيته، فقال له: «من عشرين عامًا لم أر ما يغضبني من أهلي» قال له: «وكيف ذلك؟» قال شريح: «من أول ليلة دخلت على امرأتي، رأيت فيها حسنًا فاتنًا، وجمالًا نادرًا، قلت في نفسي: فَلَأَطَّهَّر وأصلي ركعتين شكرًا لله، فلما سلَّمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي، وتسلِّم بسلامي، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء، قمتُ إليها، فمددت يدي نحوها»، فقالت: «على رسلك يا أبا أمية، كما أنت» ثم قالت: «الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلِّي على محمدٍ و آله، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبيِّن لي ما تحب فآتيه، و ما تكره فأتركه»، وقالت: «إنه كان في قومك من تتزوجه من نسائكم، وفي قومي من الرجال من هو كفء لي، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان مفعولًا، وقد ملكتَ فاصنع ما أمرك به الله، إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، أقول

---

(١) انظر: «عودة الحجاب» (٢/ ٤٧٨-٤٧٩).

(٢) المرجع السابق: نَقْلًا من «السير» (٢/ ١٢١)، وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٧).

قولي هذا، وأستغفر الله لي ولك . . .».

قال شريح: «فأحوجتني -والله ياشعبي- إلى الخطبة في ذلك الموضع، فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلِّي على النبي وآله وأُسلِّم، وبعد: فإنك قلت كلامًا إن ثبتِّ عليه يكن ذلك حظُّك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحبُّ كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، و ما رأيت من حسنةٍ فانشريها، و ما رأيت من سيئة فاستريها!».

فقالت: «كيف محبتك لزيارة أهلي؟» قلت: «ما أحبُّ أن يملَّني أصهاري»، فقالت: «فمن تُحب من جيرانك أن يدخل دارك، فآذن له، و من تكره فأكره؟»، قلت: «بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء». قال شريح: «فبتُّ معها بأنعم ليلة، وعشت معها حَوْلًا لا أرى إلا ما أحبُّ، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بفلانة في البيت، قلت: «من هي؟» قالوا: «خَتَنُك» -أي أم زوجك-، فالتفتت إلي، وسألتني: «كيف رأيت زوجتك؟» قلت: «خير زوجة»، قالت: «يا أبا أمية إنَّ المرأة لا تكون أسوأ حالًا منها في حالين: إذا ولدت غلامًا، أو حظيت عند زوجها، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شرًّا من المرأة المدللة، فأدِّب ما شئت أن تؤدِّب، وهذِّب ما شئت أن تهذِّب» فمكثت معي عشرين عامًا لم أعقِّب عليها في شيء إلا مرة، وكنت لها ظالمًا»(١)

---

(١) المرجع السابق: نَقْلًا من «أحكام النساء» لابن الجوزي (ص١٣٤-١٣٥)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ٤١٧).

حقُّ التعليم للمرأة[١]

كانت المرأة عندنا في العصور الأخيرة محرومة من التعليم، مع أن الإسلام يحثُّ على العلم، ويُرغِّب فيه الرجال والنساء على السواء، وليس فيه نصٌّ واحد صحيح يحرم على المرأة أن تتعلم، وقد قلت: إن في تاريخنا مئات العالمات والأديبات والمحدثات ممن شهرن بذلك ودُوِّنت سيرتهن في كتب التراجم.

وتحضرني الآن سيرة فاطمة بنت الشيخ علاء الدين السمرقندي الفقيه الحنفي الكبير صاحب «تحفة الفقهاء» المتوفى عام (٥٣٩ هـ)؛ فقد كانت فقيهة جليلة، تزوجها تلميذ أبيها الشيخ علاء الدين الكاساني (المتوفى ٥٨٧ هـ) صاحب البدائع الذي بسط فيه كتاب شيخه السمرقندي حتى قيل عنه: شرح تحفته، و زوجه ابنته، وكانت الفتوى تأتي فتخرج، وعليها خطُّها وخطُّ أبيها، فلما تزوجت بصاحب البدائع؛ كانت الفتوى تخرج وعليها خطُّها وخطُّ أبيها وخطُّ زوجها.

ومما لا ريب فيه أن لجهل المرأة المسلمة في العصور الأخيرة أثرًا في تأخُّر المسلمين، فالأمهات الجاهلات يُنجبن أبناء جاهلين خاملين.

لذلك كان من النهضة المحمودة أن يفتح للفتاة باب التعليم، وأن تكثر فينا الزوجات المتعلمات، والأمهات المتعلمات.

وكل ما نلاحظه على تعليم الفتاة أنها كانت تدرس نفس المناهج والدروس التي يدرسها الفتى، وهذا خطأ بالغ، فإن الفتاة تحتاج في حياتها العملية بعد التخرُّج إلى ما لا يحتاج إليه الفتى، فهي مهيئة بفطرتها وخلقتها لتكون زوجة وأمًّا؛ ومن ثم فمن الواجب أن تتعلم ما يفيدها في حياتها المقبلة، وقد أُنشئت

(١) انظر: «المرأة بين الفقه والقانون»، (ص١١١).

في البلاد مدارس لتعليم الفنون النسوية، ومن الخير أن نكثر مثل هذه المدارس، وأن تطعَّم مناهج الدراسة للبنات بقسط أكبر من أصول التربية المنزلية؛ لتكون لها من الخبرة ما يساعدها على النجاح في حياتها المرتقبة.

وقال ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»(١)

قال الحافظ السخاوي: «قد ألحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث: «ومسلمة» وليس لها ذكر في شيء من طرقه، و إن كان معناها صحيحًا».

ومن هنا قال الإمام ابن حزم رحمه الله:

«ويجب عليهن -أي النساء- النفار للتفقه في الدين، كوجوبه على الرجال، وفرض عليهن كلهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصيام، وما يحلُّ: من المآكل، والمشارب، والملابس كالرجال، ولا فرق، وأن يعلمن الأقوال والأعمال: إما بأنفسهن، وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهن، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك»(٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلَّمها، فأحسن تعليمها، وأدَّبها، فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها؛ فله أجران**»(٣). فقرن ﷺ ثواب العتق من رقِّ العبودية بثواب العتق من رقِّ الجهل بفرائض الله عزَّ وجلَّ، وسنن رسوله ﷺ.

---

(١) الحديث: رواه ابن عدي، والبيهقي عن أنس بن مالك، والطبراني في «الكبير» عن عبد الله بن مسعود، وكذا في «الأوسط» عن ابن عباس، والحديث: صحيح: انظر: «الإحياء» بتحقيقي (١/ ٤٩)، و«صحيح الترغيب والترهيب» (٧٠).

(٢) انظر: «الإحكام» لابن حزم (١/ ٤١٣)، وانظر: «عودة الحجاب» (٢/ ٥٦٦-٥٦٧).

(٣) الحديث: رواه البخاري (١/ ١٩٠) في «العلم»، ومسلم (١٥٤) في «الإيمان»، وأحمد (٤/ ٣٩٥-٤١٤) وغيرهم.

وقد أحسَّت المرأة نتيجة لهذا الحثِّ بحاجتها إلى العلم، فذهبت إلى النبي ﷺ تطلب منه مجلسًا خاصًّا بالنساء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: «يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تُعلِّمنا مما علَّمك الله»، فقال ﷺ: «**اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا**» فاجتمعن، فأتاهن، فعلَّمهن مما علَّمه الله»(١).

لقد بلغ حرص النساء المسلمات على العلم غايته حتى طلبن المجالس الخاصَّة بهن للتعليم، مع أنهن يستمعن في المسجد لتعليمه ومواعظه ﷺ.

كذلك نجد النبي ﷺ يسنُّ للنساء سنة مؤكدة، ألا وهي: شهود مجامع الخير يتزودن منها: فعن **أم عطية الأنصارية** رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق والحيَّض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين ... قلت: «يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب؟» قال: «**لتلبسها أختها من جلبابها**»(٢).

وجاء في «فتوح البلدان» للبلاذري أن أمَّ المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تُدعى «الشفاء العدوية»، فلمَّا تزوجها ﷺ طلب إلى الشفاء أن تعلِّمها تحسين الخط، وتزيينه كما علَّمتها أصل الكتابة».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت(٣): «نِعْمَ النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»(٤).

---

(١) البخاري (١/ ١٧٥) في «العلم»، ومسلم (٢٦٣٣) في «البر والصلة».
(٢) البخاري (٢/ ٣٨٦) في «العيدين»، ومسلم (٨٩٠) في صلاة العيدين.
(٣) مسلم (٣٣٢) في «الحيض».
(٤) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٦٧-٥٦٨).

وجوب طلب العلم على المرأة:

المرأة شخص مُكلَّف كالرجل، فيجب عليها طلب علم الواجبات عليها؛ لتكون من أدائها على يقين، فإن كان لها أب، أو أخ، أو زوج، أو محرم يُعَلِّمُهَا الفرائض، ويُعَرِّفُهَا كيف تؤدى الواجبات كفاها ذلك، وإن لم تكن سألت وتعلَّمت، فإن قَدِرَتْ على امرأة تعلم ذلك تعرفت منها، وإلا تعلَّمت من الأشياخ وذوي الأسنان من غير خَلوةٍ بها، وتقتصر على قدر اللازم، ومتى حدثت لها حادثة في دينها سألت عنها، ولم تَسْتَحِ، فإن الله لا يستحي من الحق[١].

فعن عائشة رضي الله عنها أن أسماء رضي الله عنها سألت النبي ﷺ عن غسل الحيض؟ فقال: «**تأخذ إحداكن ماءها وسدرتها، فتطهَّرُ، فتحسن الطُّهور، ثم تَصبُّ عليها الماء، ثم تأخذ خِرْقَة ممسَّكة فتطهَّر بها**»، فقالت أسماء رضي الله عنها: وكيف تطهَّرُ بها؟ فقال: «**سبحان الله تطهَّرين بها!!**»، فقالت عائشة رضي الله عنها -كأنها تُخفي ذلك-: «**تتَبَّعي بها أثر الدم**»، وسألته عن غُسْل الجنابة؟ فقال: «**تأخذين ماءك، فتطهرين، فتحسنين الطهور، وأبلغي الطهور، ثم تصب على رأسها فتدلكه، حتى يبلغ شئون رأسها، ثم تُفيض عليها الماء**»، فقالت عائشة رضي الله عنها: «نعم النساء نساءُ الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[٢]

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يَوْمًا نأتيك فيه تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمك الله، قال: «**اجتمعن يَوْمَ كذا وكذا**» فاجتمعن، فأتاهن النبي ﷺ، فعلمهنَّ مِمَّا علَّمه الله»[٣].

---

(١) انظر: «أحكام النساء» لابن الجوزي (ص١٤).

(٢) الحديث: أخرجه البخاري في «الحيض» (٣١٤-٣١٥) وفي «الاعتصام» (٧٣٥٧)، ومسلم في «الحيض» (٣٣٢)، وأحمد (٦/ ١٢٢)، وغيرهم.

(٣) الحديث: متفق عليه.

المرأة عالمة

لقد تصدَّت المرأة لفنون العلم، و شئون الأدب[1]، وأمعنت في كل ذلك إمعانًا أعيا على الرجل دركه في مواطن كثيرة، وكان لها مظهر خلقي كريم في العلم والتعليم؛ فقد امتازت «العالمة المسلمة» بالصدق في العلم، والأمانة في الرواية، واستمع إلى هذه الشهادة يشهدها واحد من عظماء العلماء ألا وهو الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨)، وقد ألَّف كتابه «ميزان الاعتدال» في نقد رجال الحديث، خرَّج فيه عدة آلاف متهم من المحدثين، ثم أتبع قوله بتلك الجملة التي كتبها بخطِّه الواضح، وقلمه العريض، فقال: «وما علمت من النساء من اتُّهِمَتْ ولا من تركوها»[2].

ولعل قائلًا يقول: «وما للنساء و رواية الحديث؟ وهل تركهن الذهبي إلا من قلةٍ أو ذلةٍ؟»، والجواب: إن حديث رسول الله ﷺ منذ عهد عائشة رضي الله عنها حتى عهد الذهبي ما حفظ، ولا روي بمثل ما حُفظ في قلوب النساء، و روي على ألسنتهن.

ذلكم الحافظ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) أوثق رواة الحديث عقدة، وأصدقهم حديثًا، حتى لقَّبوه «بحافظ الأمة»، كان له من شيوخه، وأساتذته بضع وثمانون من النساء، فهل سمع الناس في عصر من العصور، وأمة من الأمم أن عالمًا واحدًا يتلقى عن بضع وثمانين امرأة علمًا واحدًا ؟ فكم ترى منهن مَن لم يلقها، أو يأخذ عنها، والرجل لم يجاوز الجزء الشرقي من الدولة الإسلامية،

---

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٥٧-٥٧٩).

(٢) المرجع السابق: نَقْلًا من «ميزان الاعتدال» للذهبي (٤/ ٦٠٤).

فلم تطأ قدماه أرض مصر، ولا بلاد المغرب، ولا الأندلس، وهى أحفل ما تكون بذوات العلم والرأي من النساء[(١)].

- **«وهذا الإمام أبومسلم الفراهيدي المحدِّث يكتب عن سبعين امرأة»[(٢)].**

«وقد شهد الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله مجالس حافلة قرأ فيها على بعض المحدثات الحافظات الفقيهات، فتراه يختم كتابه «بغية الوعاة» بمسلسلات قرأ منها على الأصيلة الثقة الخيِّرة الفاضلة الكاتبة أم هانئ بنت الحسن الهوريني.

- وعلى هاجر بنت محمد المصرية.
- وأخبرته الشيختان المسندتان أم هانئ، و أم الفضل بنت محمد المقدسي .
- وقرأ على الأصيلة نشوان بنت عبد الله الكناني.
- وأخبرته كمالية بنت محمد بن أبي بكر الجرجاني.
- وأنبأته أمة الخالق بنت عبد اللطيف العقبي.
- وأخبرته أمة العزيز بنت محمد الأمباسي.
- وفاطمة بنت علي بن اليسير مشافهة بالفسطاط.
- وخديجة بنت أبي الحسن بن الملقن... إلخ.

ولقد بلغت الكثيرات من العالمات المسلمات منزلة علمية رفيعة، فكان منهن الأستاذات والمدرسات «للإمام الشافعي والإمام البخاري، وابن خلكان، وابن حيان»[(٣)].

---

(١) المرجع السابق: نقلًا من «المرأة العربية» (٢/١٣٨-١٣٩).
(٢) من «أخلاق العلماء» (هامش ص٣٤٥).
(٣) انظر: المرجع السابق نقلًا من «تربية الأولاد في الإسلام» (١/ ٢٧٩)، ومجلة الأزهر عدد رمضان (١٤٠٤هـ) - (ص١٤٨٢).

عائشة رضي الله عنها

تزوَّجها النبي ﷺ، وهى بنت تسع سنوات، وهو ابن أربع وخمسين سنة، وأقام معها تسع سنوات، ومات عنها وهو ابن ثلاث وستين سنة، وهي لم تخط بعد إلى التاسعة عشرة، عاشت بعد رسول الله ﷺ خمسين سنة، وتُوفيتْ ولها من العمر ثمان وستون سنة.

لقد كانت رضي الله عنها إحدى المجتهدات، من أنفذ الناس رأيًا في أصول الدين، ودقائق الكتاب المبين، وكانت رضي الله عنها تحسن أن تقرأ، و لم يكن يعرف ذلك إلا عدد محدود من أصحاب رسول الله ﷺ. وكم كان لها رضي الله عنها من استدراكاتٍ على الصحابة وملاحظات، فإذا علموا بذلك رجعوا إلى قولها»[(١)].

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «ما أشكل علينا أصحابَ رسول الله ﷺ حديثٌ قط. فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا».

قال مسروق: «كانت عائشة تحسن الفرائض؟» قال: «والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض»[(٢)].

وقال عطاء بن أبي رباح: «كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأيًا في العامة»[(٣)].

قال الزهري: «لو جُمع علم الناس كلهم، وأمهات المؤمنين؛ لكانت عائشة

---

(١) انظر: «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة»، «للزركشي» و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٣).

(٢) انظر: «الإجابة» (ص٥٨) للزركشي، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٣).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٨٥)، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٣).

أوسعهم علمًا»[(١)]. وعنه أيضًا قال: «لو جُمع علم عائشة إلى علم جميع النساء؛ لكان علم عائشة أفضل»[(٢)].

قال الذهبي رحمه الله: «مسند عائشة يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، اتفق لها البخاري ومسلم على مائة و أربعة وسبعين حديثًا، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين»[(٣)].

وقال في «السير» (٢/ ١٤٠): «وكانت امرأة بيضاء جميلة، ومن ثم يُقال لها: الحميراء، ولم يتزوج النبي ﷺ بكرًا غيرها، ولا أحب امرأة حُبَّها، ولا أعلم في أمة محمدٍ ﷺ بل ولا في النساء مطلقًا امرأة أعلم منها، وذهب بعض العلماء إلى أنها أفضل من أبيها، وهذا مردود، وقد جعل الله لكلِّ شيء قدرًا، بل نشهد أنها زوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة، فهل فوق ذلك مُفخَر» اهـ.

«وذكرها رضي الله عنها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقاته في جملة فقهاء الصحابة، ولما ذكر ابن حزم أسماء الصحابة الذين رويت عنهم الفتاوى في الأحكام على مزية كثرة ما نُقل عنهم، قدَّم عائشة على سائر الصحابة، وقال الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي الميانشي في كتاب «إيضاح ما لا يسع المحدث جهله»: «اشتمل كتاب البخاري ومسلم على ألف حديث ومائتي حديث من الأحكام، فروت عائشة من جملة الكتابين مائتين ونيفًا وتسعين حديثًا لم يخرج عن الأحكام منها إلا يسير».

---

(١) انظر: «المستدرك» (٤/ ١١)، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٣).

(٢) قال الهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني، ورجاله ثقات، (٩/ ٢٤٣)، والحاكم (٤/ ١١)، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٣).

(٣) انظر: «السير» (٢/ ١٣٩)، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٣-٥٧٤).

قال الحاكم أبو عبد الله: «فحمل عنها ربع الشريعة»[(١)].

عن عروة بن الزبير قال: ما رأيت أحدًا أعلم بفقه، ولا بطبٍّ، ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها[(٢)].

وذكر أبو عمر بن عبد البرِّ رحمه الله: «أنها كانت الوحيدة بعصرها في ثلاثة علوم: علم الفقه، وعلم الطبِّ، وعلم الشعر»[(٣)].

وروى عن ابن شهاب قال: حدَّثنا القاسم بن محمد أن معاوية دخل على عائشة فكلَّمها، وقال: فلما قام معاوية اتَّكأ على يد مولاها ذكوان، فقال: «والله، ما سمعت قط أبلغ من عائشة، ليس رسول الله ﷺ»[(٤)].

وعن موسى بن طلحة قال: «ما رأيت أحدًا أفصح من عائشة»[(٥)].

وعن هشام عن أبيه قال: «ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتًا وأكثر»[(٦)].

وعن أبي الزناد، قال: ما رأيت أحدًا أروى لشعرٍ من عروة، فقيل له: ما أرواك، فقال: ما روايتي في رواية عائشة؟ ماكان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرًا[(٧)].

وروي عن ابن سيرين عن الأحنف، قال: «سمعت خطبة أبي بكر وعمر،

---

(١) انظر: «الإجابة» (ص٥٩) للزركشي، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٤).
(٢) انظر: «الإصابة» (٨/ ١٨)، و«عودة الحجاب » (٢/ ٥٧٤).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٨٨١)، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٤).
(٤) انظر: «السير» (٢/ ١٨٣)، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٤).
(٥) رواه الترمذي (٢/ ٣٨٨٤) وقال: حسن صحيح غريب.
(٦) انظر: «السير» (٢/ ١٨٩) و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٥).
(٧) انظر: «الإصابة» (٨/ ١٨) و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٥).

وعثمان، وعلي، والخلفاء بعدهم، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه من فيِّ عائشة»(١).

وعن الشعبي أن عائشة قالت: «رويت للبيد نحوًا من ألف بيت»، وكان الشعبي يذكرها، فيتعجب من فقهها، وعلمها، ثم يقول: «ما ظنكم بأدب النبوة!»(٢).

وعن هشام بن عروة قال: كان عروة يقول لعائشة رضي الله عنها: «يا أمَّاه لا عجب من فقهك، أقول: زوجة نبي الله، وابنة أبي بكر، ولا عجب من علمك بالشعر، وأيام الناس أقول: ابنة أبي بكر، وكان أعلم الناس، ولكن أعجب من علمك بالطبِّ، كيف هو؟ ومن أين هو؟ أو ما هو؟ قال: فضربت على منكبه، وقالت: أي عروة، إن رسول الله ﷺ كان يسقم عند آخر عمره -أو في آخر عمره- وكانت تقدم عليه وفود العرب من كلِّ وجه، فتنعت له الأنعات، وكنت أعالجها له، فمِن ثم»(٣).

وعن عروة قال: ما رأيت أحدًا أعلم بالطبِّ من عائشة رضي الله عنها، فقلت: يا خالة ممن تعلمت الطبَّ؟ قالت: «كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض، فأحفظه»(٤).

وعن هشام، عن أبيه، قال: «لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحدًا قط كان أعلم بآية نزلت، ولا بفريضة، ولا بسنَّة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسبٍ، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طبٍّ منها، فقلت لها: «يا خالة، الطبُّ من أين علمته؟»، فقالت: كنت أمرض

---

(١) انظر: «المستدرك» (٤/ ١١).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ١٩٧)، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٥).

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٦٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٥٠)، وانظر «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٤٢).

(٤) انظر: «السير» (٢/ ١٨٣)، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٧٦).

فيُنعت لي الشيء، ويمرض المريض فينعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض، فأحفظه» قال عروة: فلقد ذهب عامة علمها، لم أسأل عنه[(١)].

وعن ابن يمن المكي قال: «دخلت على عائشة رضي الله عنها، وعليها درع قطري ثمنه خمسة دراهم، فقالت: ارفع بصرك إلى جاريتي، فانظر إليها، فإنها تُزْهَى أن تلبسه في البيت، وقد كان منهن درع على عهد رسول الله ﷺ، فما كانت امرأة تُقَيَّنُ في المدينة إلا أرسلت إليَّ تستعيره»[(٢)].

عن عبد الله بن أبي مليكة أنه جاء أمَّ المؤمنين عائشة، وعند رأسها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن، فقلت: «هذا ابن عباس يستأذن»، فأكبَّ عليها ابن أخيها عبد الله، فقال عبد الله: «هذا ابن عباس، وهي تموت»، فقالت: «دعني من ابن عباس»، فقال لها: «يا أماه إن ابن عباس من صالحي نبيك، يسلم عليك، وَيُوَدِّعُكِ، فقالت: «ائذن له إن شئت» فأدخلته، فلما جلس، قال: «أبشري ! فما بينك و بين أن تلقي محمدًا ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد، كنتِ أحبَّ نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيبًا، وسقطت قلادتك ليلة الأبواء، فأصبح رسول الله ﷺ حتى تصبح في المنزل، فأصبح الناس ليس معهم ماء، فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦] وكان ذلك في سببك، وما أنزل الله لهذه الأمة من الرخصة، وأنزل براءتك من فوق سبع سماوات، جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله يذكر الله فيه إلا تتلى فيه آناء الليل، وآناء النهار»، فقالت: «يا ابن عباس دعني منك، ومن تزكيتك، فو الله لوددت أني كنت نسيًا منسيًا»[(٣)].

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/١٨٣)، و«الحلية» (٢/٤٩).

(٢) «الصيد الثمين» (ص/٨٧)، والحديث رواه البخاري (٥/٢٤١-٢٤٢)، و«عودة الحجاب» (٦٠٢-٦٠٣).

(٣) «أحكام النساء» (ص/١٢٥-١٢٦).

السيدة المكرمة الصالحة نَفِيسة ابنة الحسن بن زيد بن السيد سِبْطِ النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما، العلوية، الحَسَنِيَّة

كانت رحمها الله وأكرمها من الصالحات العوابد، زاهدة، تقية، نقية، تقوم الليل، وتصوم النهار، وتكثر البكاء من خشية الله عزَّ وجلَّ، حتى قيل لها: «تَرَفَّقي بنفسك»، لكثرة ما رأَوْا منها، فقالت: «كيف أرفق بنفسي وأمامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون؟»، حجَّت ثلاثين حجة، وكانت تحفظ القرآن و تفسيره، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد أن حكي أنها دخلت مصر مع زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر بن محمد الصادق: «فأقامت بها، وكانت ذات مال، فأحسنت إلى الناس، والجذمى، والزَّمْنَى، والمرضَى وعموم الناس، وكانت عابدة، زاهدة، كثيرة الخير، ولما ورد الشافعي مصر أحسنت إليه، وكان ربما صَلَّى بها في شهر رمضان، وحين مات أمرت بجنازته، فأُدِخلَتْ إليها المنزل، فصلَّت عليه»[1]

* ومن أخبارها رحمها الله تعالى:

«أنها أقامت بمصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق، وقيل: مع أبيها الحسن الذي عُيِّن واليًا على مصر من قِبل أبي جعفر المنصور».

وقد هرع إليها أهل مصر يشكون من ظلم أحمد بن طولون، فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا: في غدٍ، فكتبت رقعة، ووقفت بها في طريقه، وقالت: «يا أحمد بن طولون»، فلما رآها عرفها، فترجَّل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة، وقرأها، فإذا فيها:

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٦٢)، و«السابق» (٢/ ٦٠٧-٦٠٨).

«ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخُوِّلْتُهم فعسفتم، ورُدَّتْ إليكم الأرزاق فقطعتم» هذا وقد علمتم أن سهام القدر نافذة غير مخطئة، لاسيَّما في قلوبٍ أوجعتموها، وأكبادٍ جوَّعتموها، وأجساد عرَّيتموها، فمحال أن يموت المظلوم، ويبقى الظالم. اعملوا ما شئتُم فإنا صابرون، وجوروا فإنا مستجيرون، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾، فعدل لِوَقْته.

بل قيل: إن الإمام الشافعي رحمه الله سمع عليها الحديث من وراء حجاب، وطلب منها أن تدعو له.

توفيت رحمها الله تعالى وهي صائمة، فألزموها الفطر، فقالت: «وا عجباه! أنا منذ ثلاثين سنة أسأل الله تعالى أن ألقاه صائمة، أأفطر الآن؟! هذا لا يكون»، وخرجت من الدنيا، وقد انتهت قراءتها إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢][(١)].

(١) «السير» (١٠/١٠٥-١٠٦)، و«البداية والنهاية» (١٠/٢٦١-٢٦٢)، و«عودة الحجاب» (٢/٦٠٨).

عمرة بنت عبد الرحمن

عَمْرة بنتُ عبد الرحمن بن سعد بن زُرَارةَ بن عُدُس، الأنصاريةُ، المدنيةُ، الفقيهة، تربيةُ عائشة وتلميذتها، قيل: لأبيها صُحْبة، وجدُّها سعد من قدماء الصحابة، وهو أخو النقيب الكبير أسعد بن زُرَارة.

حَدَّثتْ عن عائشة، وأمِّ سلمة، ورافع بن خديج وأختها أمِّ هشام بِنْتِ حارثة.

حَدَّثَ عنها ولدها أبو الرجال محمد بن عبد الرحمن، وابناه حارثة، ومالك، وابنُ أختها القاضي أبو بكر بنُ حَزْم، وابناه: عبد الله ومحمد، والزهري، ويحيى بنُ سعيد الأنصاري، وآخرون.

وكانت عالمة، فقيهةً، حُجَّةً، كثيرةَ العلم. روى أيوب بن سُوَيْد، عن يونس، عن ابن شهاب، عن القاسم بن محمد أَنَّهُ قال لي: ياغلام، أراك تحرص على طلب العلم، أفلا أدلُّك على وعائه؟ قُلْتُ: بلى، قال: عليك بِعَمْرَةَ؛ فإنها كانت في حجْر عائشة، قال: فَأَتَيْتُها، فوجدتُهَا بَحْرًا لا يُنزَف.

قال الذهبي: اختلفوا في وفاتها، فقيل: تُوفيتْ سنة ثمانٍ وتسعين، وقيل: تُوفيتْ في سنة سِتٍّ ومائة. وحديثها كثير في دواوين الإسلام(١).

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/٥٠٧-٥٠٨) برقم (١٩٩) «تحقيق الأرناؤوط»، و«طبقات ابن سعد» (٨/ ٤٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ٤٠)، و«شذرات الذهب» (١/ ١١٤).

عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمية

بنت أخت أمِّ المؤمنين عائشة، أم كلثوم بنت الصديق. تزوجها ابن خالها عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، ثم بعده أمير العراق مصعب، فأصدقها مصعب مئة ألف دينار. قيل: وكانت أجمل نساء زمانها وأرأسهن. وحديثها مُخرَّج في الصحاح. ولما قُتل مصعب بن الزبير تزوجها عمر بن عبيد الله التيمي؛ فأصدقها ألف ألف درهم، وفي ذلك يقول الشاعر:

بضع الفتاة بألف ألف كامل　　　وتبيت سادات الجيوش جياعًا

روت عن خالتها عائشة، وعنها حبيب بن أبي عمرة، وابن أخيها طلحة بن يحيى، وابن أخيها الآخر معاوية بن إسحاق، وابن ابن أخيها موسى بن عبيد الله بن إسحاق، وفضيل الفقيمي، وآخرون.

وفدت على هشام بن عبد الملك، فاحترمها، ووصلها بجملة كبيرة.

وثَّقَهَا يحيى بن معين.

وعن مغيرة عن إبراهيم أن عائشة بنت طلحة قالت: إن تزوجت مصعبًا فهو عليها كظهر أمها، فتزوجته، فسألت عن ذلك فأمرت أن تكفر، فأعتقت غلامًا لها ثمنه ألفان. رواه سعيد في «سننه».

بقيت إلى قريب من سنة عشر ومائة بالمدينة[1].

---

(١) انظر: «السير» (٤/ ٣٦٩-٣٧٠) برقم (١٤٧) «تحقيق الأرناؤوط»، و«طبقات ابن سعد» (٨/ ٤٦٧)، و«تاريخ الإسلام» (٤/ ١٣٥)، و«البداية والنهاية» (٩/ ٣٠٢)، و«شذرات الذهب» (١/ ١٢٢).

عاتكة بنت زيد[1]

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نقيل: شاعرة من شواعر العرب، ذات جمال، وكمال، وخلق حسن، و رجاحة عقل، وجزالة.

تزوَّجها عبد الله بن أبي بكر الصديق، فغلبته على رأيه، وشغلته عن مغازيه، ومعاشه، وتجارته، فمرَّ عليه أبو بكر الصديق، وهو في علية يناغيها في يوم جمعة، وأبو بكر متوجِّه إلى صلاة يوم الجمعة، فصلَّى أبو بكر، ثم رجع، فوجده لا ينفك يناغيها، فقال: يا عبد الله أجمعت؟

قال: أو صلَّي الناس؟

قال: نعم.

قال له أبو بكر: قد شغلتك عاتكة عن المعاش، والتجارة، وقد ألهتك عن فرائض الصلاة، طلِّقها.

فطلقها تطليقة، وتحولَّت إلى ناحية عنه.

وبينما أبو بكر يصلِّي على سطح له في الليل إذْ سمعه وهو يقول:

أعاتك لا أنساك ما ذر شارق ... وما ناح قمري الحمام المطوَّق
أعاتك قلبي كل يوم وليلة ... لديك بما تخفى النفوس معلَّق
لها خلق جزيل ورأي ومنطق ... وخلق مصون في حياء مصدَّق
فلم أر مثلي طلَّق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير شيء تُطلَّق

---

(١) انظر: «سمير المؤمنات» (ص٣١٠-٣١٢) - عبد الله بدران - ومحيي الدين بوابيجي ط. دار أسامة - عمان - الأردن.

فسمع أبو بكر مقالته، فأشرف عليه، وقد رقَّ له، فقال له: يا عبد الله راجع عاتكة.

قال: أشهدك أني قد راجعتها.

وأشرف على غلامٍ يقال له: أيمن، فقال له: يا أيمن أنت حرٌّ لوجه الله تعالى، أشهدك أني راجعت عاتكة، ثم خرج إليها إلى مؤخر الدار وهو يقول:

أعاتك قد طلقت في غير ريبةٍ ... و روجعت للأمر الذي هو كائن
كذلك أمر الله غاد و رائح ... على الناس فيه ألفة وتباين
ليهنك أني لا أرى فيك سخطة ... وأنك قد تمَّت عليك المحاسن

ثم أعطاها حديقة له حين راجعها على ألا تتزوج بعده. فلمَّا مات من سهم كان قد أصابه، ومضت عدتُها خطبها سيدنا عمر بن الخطاب، فقالت: قد كان عبد الله بن أبي بكر أعطاني حديقة على ألا أتزوج بعده؛ فقال عمر لها: استفتِ، فاستفتت عليًّ بن أبي طالب، فقال: رُدِّي الحديقة على أهله وتزوَّجي، فتزوجت عمر.

ولما قُتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وانقضت عدتها منه، خطبها الزبير بن العوام فتزوجها، فلما صارت عنده قال: -وكان شديد الغيرة- يا عاتكة لا تخرجي إلى المسجد، وكانت امرأة عجزاء بادنة، فقالت: يا ابن العوام، أتريد أن أدع لغيرتِك مُصلىً صليت مع رسول الله، وأبي بكر، وعمر فيه؟

قال: لا أمنعك.

فلما سمع النداء لصلاة الصبح توضَّأ وخرج، فقام لها في سقيفة بني ساعدة، فلمَّا مرَّت به ضرب بيده على عجيزتها.

فقالت: ما لك قطع الله يدك، ورجعت.

فلمَّا رجع من المسجد قال: يا عاتكة ما لي لم أرك في مصلاك اليوم؟

قالت: يرحمك الله أبا عبد الله، فسد الناس بعدك، الصلاة اليوم في القيطون أفضل منها في البيت، وفي البيت أفضل منها في الحجرة.

ثم خطبها علي بن أبي طالب بعد أن استشهد الزبير، فأرسلت إليه: إني لأضِنُّ بك يا ابن عم رسول الله عن القتل. فكان علي بن أبي طالب يقول: من أحبَّ الشهادة الحاضرة؛ فليتزوج عاتكة.

ثمَّ تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فكانت أول من رفع خدَّه عن التراب يوم قتل، ثم تأيمت بعده، فكان عبد الله بن عمر يقول: من أراد الشهادة؛ فليتزوج بعاتكة.

صفية بنت شيبة

صفيَّةُ بنتُ شَيْبَةَ بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزَّى بن عبد الدار بن قُصيٍّ ابن كِلاب[١]، الفقيهة العالمة، أمُّ منصور، القرشية العبدريَّة المكية الحجبيَّة.

يُقَالُ لها: رؤية، ووهَّى هذا الدارقطني، وكان أبوها من مُسْلِمي الفتح.

رَوَت عن النبي ﷺ في سنن أبي داود، والنسائي، وهذا من أقوى المراسيل، وروت عن عائشة، وأمِّ حبيبة، وأمِّ سلمة، أمهات المؤمنين.

حدَّث عنها ابنُها منصورُ بن عبد الرحمن الحجبيُّ، وسِبْطها محمد بن عمران الحجبيُّ، والحسنُ بن مسلم بن ينَّاق، وإبراهيم بن مُهاجر، وقتادة، ويعقوبُ بن عطاء بن أبي رباح، وعمر بن عبد الرحمن بن مُحَيصِن السَّهمِيُّ المقرئ، وعِدَّة.

قال يحيى بنُ معين: لم يسمع منها ابن جُريج، بل أدركها.

وفي سنن ابن ماجه من طريق محمد بن إسحاق: أنَّها رأت رسولَ الله ﷺ يوم الفتح دخل الكعبة، ولها عيدان، فكسرها[٢].

قال الذهبي: أحْسِب أنَّها عاشت إلى دولة الوليد بن عبد الملك.

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٥٠٧) برقم (١١٨) «تحقيق الأرناؤوط»، و«طبقات ابن سعد» (٨/ ٤٦٩)، و«الاستيعاب» (١٨٧٣)، و«أسد الغابة» (٧/ ١٧٢)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ٢٥٨)، و«الإصابة» (٤/ ٣٤٨).

(٢) ابن ماجه (٢٩٤٧) ورجاله ثقات، إلاَّ أنَّ فيه عنعنة ابن إسحاق.

زينب بنت أبي سلمة

زينب بنتُ أبي سلمة ابن عبد الأسد بن هلال المخزومية[(١)]، ربيبةُ النبي ﷺ، وأخت عمر، ولدتهما أمُّ المؤمنين بالحبشة.

روت أحاديث، ولها عن عائشة، وزينب بنت جحش، وأمِّ حبيبة وجماعة.

حدَّث عنها عروة، وعليٌّ بن الحسين، والقاسم بن محمد، وأبو قِلابة الجَرْمي، وكليبُ ابْنُ وائل، ومحمد بن عمرو بن عطاء، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعراك ابن مالك، وابنها أبو عبيدة بن عبيد الله بن زمعة، وآخرون.

تُوفيتْ قريبًا من سنة أربع وسبعين.

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٢٠٠-٢٠١) برقم (٤٢) «تحقيق الأرناؤوط»، وانظر: «طبقات ابن سعد» (٨/ ٤٦١)، و«الاستيعاب» (١٨٥٤)، و«أسد الغابة» (٥/ ٤٦٨)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ١٥٥)، و«الإصابة» (٤/ ٣١٧).

الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذ بن عفراء الأنصارية
من بني النَّجار[١]

لها صحبة ورواية، وقد زارها النبي ﷺ صبيحة عرسها صلةً لرحمها، عُمِّرَتْ دَهْرًا، وروت أحاديث.

حدَّثَ عنها: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وسليمان بنُ يسار، وعُبَادةُ بن الوليد بن عبادة، وعمرو بن شعيب، وخالد بنُ ذكْوان، وعبد الله بن محمد بن عَقيل، وآخرون.

وأبوها من كبار البدريين، قتل أبا جهل[٢].

تُوفيتْ في خلافة عبد الملك سنة بضعٍ وسبعين رضي الله عنها، وحديثها في الكتب الستة.

(١) انظر: «السير» (٣/ ١٩٨) برقم (٤١) «بتحقيق الأرناؤوط»، و«طبقات ابن سعد» (٨/ ٤٧٧)، و«أسد الغابة» (٥/ ٤٥١)، و«الإصابة» (٤/ ٣٠٠).

(٢) انظر: البخاري (٧/ ٢٢٩، ٢٣٩)، ومسلم (١٨٠٠).

أزدة بنت الحارث بن كلدة[1]

مجاهدة خاضت ساحات الوغى بكلِّ بسالةٍ، ورباطة جأشٍ، ولقد حمل لها المؤرخون ذكرى تحمل العبرة والعظة.

فلقد اجتمع لحرب المسلمين أهل «ميسان» فلقيهم «المغيرة بن شعبة» «بالمرغاب» وقد خلف العدو دون دجلة.

فقالت أزدة بنت الحارث: «إن رجالنا في نحر العدوّ، ونحن خلوف، ولا آمنُ أن يخالفوا إلينا، وليس عندنا من يمنعنا، ثم إني أخاف أن يكثر العدوُّ على المسلمين؛ فيهزموهم، فلو خرجنا لأمِنَّا مما نخاف من مخالفة العدو إلينا، ويظن المشركون أنَّا عدد ومدد قد أتى للمسلمين؛ فيكسرهم ذلك وهي مكيدة».

فأجبنها إلى ما رأت، فاتخذت لواءً من خمارها، واتخذت النساء راياتٍ من خُمرهن، ومضين وهي أمامهن تقول:

يا ناصر الإسلام صفًّا بعد صف إن تُهزموا وتدبروا عنا نخف
أو يغلبوكم يغمروا فينا القلف

ثم انتهين إليهم، والمشركون يقاتلونهم، فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ظنوا أن عددًا أتى المسلمين، فانكشفوا، واتبعهم المسلمون، وهزموهم.

(١) انظر: «سمير المؤمنات» - عبد الله بدران، ومحيي الدين بوابيجي - دار أسامة للنشر والتوزيع - عمان - الأردن (ص٣١٤).

أمُّ الدرداء(١)

السيدة العالمة الفقيهة، هجيمة، وقيل: جُهَيْمَة الأوصابيَّة الحميريَّة الدمشقيَّة، وهى أمُّ الدرداء الصغرى.

روت علماً جمًّا عن زوجها أبي الدرداء، وعن سلمان الفارسيِّ، وكعب بن عاصم الأشعري، وعائشة، وأبي هريرة، وطائفة.

وعرضت القرآن وهى صغيرة على أبي الدرداء، وطال عمرها، واشتهرت بالعلم، والعمل، والزهد.

حدَّث عنها جُبير بن نفير، وأبو قلابة الجرمي، وسالم بن أبي الجعد، ورجاء بن حيوة، ويونس بن ميسرة، ومكحول، وعطاء الكيخاراني، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، و زيد بن أسلم، وأبو حازم الأعرج، وإبراهيم بن أبي عبلة، وعثمان بن حيان المري.

قال أبو مسهر القساني: أمُّ الدرداء هي هجيمة بنت حيي الوصابية، وأمُّ الدرداء الكبرى هى خيرة بنت أبي حَدْرد، لها صحبة.

قال محمد بن سليمان بن أبي الدرداء: اسم أمِّ الدرداء الفقيهة التي مات عنها أبو الدرداء وخطبها معاوية، هجيمة بنت حيي الوصابية.

وقال ابن جابر، وعثمان بن أبي العاتكة: كانت أمُّ الدرداء يتيمة في حجر

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/٢٧٧-٢٧٩) برقم (١٠٠) «تحقيق الأرناؤوط»، و«المعرفة والتاريخ» (٢/٣٢٧)، و«تاريخ الإسلام» (٣/٣١٦)، و«البداية والنهاية» (٩/٤٧)، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص١٧).

أبي الدرداء تختلف معه في بُرْنس، تصلِّي في صفوف الرجال، وتجلس في حلق القرَّاء تتعلم القرآن، حتى قال لها أبو الدرداء يومًا: الحقي بصفوف النساء.

وعن جبير بن نفير، عن أمِّ الدرداء، أنها قالت لأبي الدرداء عند الموت: إنك خطبتني إلى أبويَّ في الدنيا؛ فأنكحوك، وأنا أخطبك إلى نفسك في الآخرة، قال: فلا تنكحين بعدي، فخطبها معاوية؛ فأخبرته بالذي كان، فقال: عليك بالصيام. ورُوِيَتْ من وجهٍ عن لقمان بن عامر، وزاد: وكان لها جمال وحسن.

وروى ميمون بن مهران عنها، قالت: قال لي أبو الدرداء: لا تسألي أحدًا شيئًا. فقلت: إن احتجت؟ قال: تتبَّعي الحصَّادين، فانظري ما يسقط منهم خذيه، فاخلطيه، ثم اطحنيه، وكُليه.

قال مكحول: كانت أمُّ الدرداء فقيهة.

وعن عون بن عبد الله، قال: كنا نأتي أمَّ الدرداء، فنذكر الله عندها.

وقال يونس بن ميسرة: كانت النساء يتعبَّدن مع أمِّ الدرداء، فإذا ضعفن عن القيام، تَعَلَّقن بالحبال(١).

وقال عثمان بن حيان: سمعتُ أمَّ الدرداء تقول: إنَّ أحدهم يقول: اللهمَّ ارزقني، و قد علم أن الله لا يُمطر عليه ذهبًا، ولا دراهم، وإنما يُرزق بعضهم من بعض، فمن أُعطى شيئًا؛ فليقبل، فإن كان غنيًّا؛ فليضعه في ذي الحاجة، وإن كان فقيرًا؛ فليستغن به.

---

(١) وقد فعلت ذلك إحدى أمهات المؤمنين، فنهاها النبي ﷺ، وأمر بحلِّه وقال: لِيُصَلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد، رواه البخاري في «صحيحه» (٣/ ٣٠)، ومسلم في «صحيحه» (٧٨٤) انظرها من «السير» (٤/ ٢٧٨)، قلت: إحدى أمهات المؤمنين هي: زينب رضي الله عنها.

قال إسماعيل بن عبيد الله: كان عبد الملك بن مروان جالسًا في صخرة بيت المقدس، وأمُّ الدرداء معه جالسة، حتى إذا نودي بالمغرب قام، وقامت تتوكَّأ على عبد الملك، حتى يدخل بها المسجد، فتجلس مع النساء، ويمضي عبد الملك إلى المقام يصلي بالناس.

وعن يحيى بن يحيى الغساني قال: كان عبد الملك بن مروان كثيرًا ما يجلس إلى أمِّ الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق.

وعن عبد ربه بن سليمان قال: حجَّت أمُّ الدرداء في سنة إحدى وثمانين.

حفصة بنت سيرين
«أُمُّ الهذيل الفقيهة الأنصاريَّة»

عن إياس بن معاوية قال: ما أدركت أحدًا أُفضِّله عليها، وقال: قرأت القرآن وهي بنت اثنتي عشرة سنة، وعاشت سبعين سنة.

قال مهديُّ بن ميمون: مكثت حفصة بنت سيرين ثلاثين سنة لا تخرج من مصلاها إلا لقائلة، أو قضاء حاجة[1].

(١) «السير» (٤/٥٠٧) ترجمة (١٩٨).

خَولَةُ بِنْتُ الْأَزْوَرِ[1]

يُروى أنه لما أُسر ضرار بن الأزور في موقعة أجنادين؛ سار خالد بن الوليد في طليعة من جنده لاستنقاذه، فبينما هو في الطريق، مرَّ به فارس معتقِل رمحه لا يبين منه إلا الحدق، وهو يقذف بنفسه، ولا يلوي على ما وراءه، فلما نظر خالد قال: ليت شعري!! مَن هذا الفارس؟! وايم الله، إنه لفارس، ثم اتبعه خالد والناس من ورائه حتى أدرك جند الروم، فحمل عليهم، وأمعن بين صفوفهم، وصاح بين جوانبهم، حتى زعزع كتائبهم، وحطَّم مواكبهم، فلم تكن غير جولة جائل، حتى خرج وسنانه ملطَّخ بالدماء، وقد قتل رجالًا وجندًا أبطالًا، ثم عرَّض نفسه للموت ثانية، فاخترق صفوف القوم غير مكترث، وخامَر المسلمين من القلق، والإشفاق عليه شيء كثير وظنَّه أناس خالدًا، حتى إذا قدم خالد، قال له رافع بن عميرة: مَن الفارس الذي تقدَّم أمامك، فلقد بذل نفسه ومهجته؟ فقال خالد: واللهِ لأنا أشدُّ إنكاراً، وإعجاباً لما ظهر من خلاله وشمائله. وبينما القوم في حديثهم خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب، والخيل تعدو في أثره، وكلما اقترب أحد منه ألوى عليه، فأنهل رمحه في صدره، حتى قدم على المسلمين، فأحاطوا به، وناشدوه كشف اسمه، ورفع لثامه، وناشده ذلك خالد، وهو أمير القوم وقائدهم، فلم يجد جوابًا، فلما أكثر خالد أجابه وهو ملثَّم، فقال:

أيها الأمير، إني لم أُعرض عنك إلا حياءً منك، لأنَّك أمير جليل، وأنا من ذوات الخدور، وبنات الستور، وإنما حملني على ذلك أنى محرَّقة الكبد، زائدة الكمد، فقال خالد: مَن أنتِ؟ قالت: أنا خولة بنت الأزور، كنت مع نساء

(١) انظر: «علو الهمة» للعفاني (٧/ ١٧٤).

قومي، فأتاني آتٍ بأن أخي أسير، فركبت، وفعلت ما رأيت، هنالك صاح خالد في جنده، فحملوا، وحملتْ معهم خولة، وعظُم على الروم ما نزل بهم منها، فانقلبوا على أعقابهم، وكانت تجول في كلِّ مكانٍ علَّها تعرف أين ذهب القوم بأخيها، فلم تر له أثرًا، ولا وقفتْ له على خبر، على أنها لم تزل على جهادها حتى استُنْقِذ لها أخوها[1].

ومن مواقفها الرائعة موقفها يوم أُسِر النساء في موقعة «صحورا»؛ فقد وقفت في النساء، وكانت قد أُسرت معهن، فأخذت تثير نخوتهن؛ وتُضْرم نار الحميَّة في قلوبهن، ولم يكن من السلاح شيء معهن، فقالت: خذن أعمدة الخيام، وأوتاد الأطناب، ونحمل على هؤلاء اللئام، فلعلَّ الله ينصرنا عليهم، فقالت عفراء بنت عفار: والله ما دعوت إلى ما هو إلينا مما ذكرت. ثم تناولت كل واحدة عمودًا من عُمُد الخيام، وصحن صيحة واحدة، وألقت خولة على عاتقها عمودها، وتتابع النساء وراءها.

فقالت لهن خولة: لا ينفكُّ بعضكن عن بعض، وكنَّ كالحلقة الدائرة، ولا تفرقن فتُملكن، فيقع بكن التشتيت، واحطمن رماح القوم، واكسرن سيوفهم، وهجمت خولة، وهجم النساء وراءها، وقاتلت بهن قتال المستيئس المستميت؛ حتى استنقذتهن من أيدي الروم، وخرجت وهي تقول:

نحن بنات تُبَّع وحمير ... وضربنا في القوم ليس ينكر
لأننا في الحرب نار تُسعَّر ... اليوم تسقون العذاب الأكبر[2].

(١) المرجع السابق: نَقْلاً من «فتوح الشام» (١/١٢٧-١٢٨).
(٢) المرجع السابق: نَقْلاً من «فتوح الشام» (١/١٢٨-١٢٩).

دُرَّةُ بنت أبي لهب بن عبد المطلب،
بنت عمِّ النبي ﷺ

روت عن عائشة رضي الله عنها، وروى عنها عليٌّ بن أبي طالب، وعبد الله بن عميرة، وغيرهما.

ذكرها ابن حبان في «الصحابة» من كتاب «الثقات»، وقال: وأمُّها أمُّ جميل بنت حرب بن أمية، واسمها «فاختة»، وهي حمَّالةُ الحطب، وهي التي أنزل الله فيها ما أنزل، وذكرها ابن حجر في «التهذيب»، وانظر: «تهذيب التهذيب» برقم (٤٥١)[1].

---

(١) انظر: «تهذيب التهذيب» (١٠/ ٦١٤) برقم (٤٥١).

بنت سعيد بن المُسَيِّب

قال أبو بكر بن أبي داود[(١)]: كانت بِنْتُ سعيدٍ قد خطبها عبد الملك لابنه الوليد، فأبى عليه، فلم يَزَلْ يحتالُ عبد الملك عليه حتى ضربه مائةَ سَوْطٍ في يومٍ باردٍ، وصَبَّ عليه جَرَّةَ ماءٍ، وألبسه جُبَّةَ صوف، ثم قال: حَدَّثني أحمد بن أخي عبد الرحمن بن وهب، حدثنا عمر بن وهب، عن عطَّاف بن خالد، عن ابن حرملة عن أبي وداعة -يعني كثيراً- قال: كنتُ أجالس سعيد بن المسيِّب، ففقدني أيَّامًا، فَلَمَّا جِئْتُهُ قال: أين كنت؟ قلتُ: تُوفيَتْ أهلي فاشتغلتُ بها، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها؟ ثم قال: هل استحدثت امرأةً؟ فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجُني و ما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا. فقلت: و تفعل؟ قال: نعم، ثم تَحَمَّدَ، وصلَّى على النبي ﷺ و زوَّجني على درهمين -أو قال: ثلاثة- فقمتُ، وما أدري ما أصنعُ من الفرح، فصرتُ إلى منزلي، وجعلتُ أتفكَّرُ فيمن أستدين، فصلَّيتُ المغربَ، ورجعتُ إلى منزلي، وكنت وحدي صائمًا، فقدَّمْتُ عشائي أُفطر، وكان خُبْزًا وَزَيْتًا، فإذا بابي يُقْرع، فقلتُ: من هذا؟ قال: سعيد. ففكَّرتُ في كُلِّ من اسْمُه سعيد إلا ابن المسيِّب، فإنه لم يُرَ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فَخَرجْتُ، فإذا سعيد، فظننتُ أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلْتَ إليَّ فآتيك؟ قال: لا، أنت أحقُّ أن تُؤتى، إنك كُنْتَ رجلًا عَزَبًا فتزوَّجتَ، فكرهتُ أن تبيتَ الليلةَ وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة من خَلْفِهِ في طوله، ثم أخذ بيدها، فدفعها في الباب، وردَّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فَاسْتَوْثَقْتُ من الباب، ثم وضعتُ القصعة في ظلِّ السِّراج لكي لا تراه، ثم صعدتُ إلى السطح، فرميتُ الجيران،

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٣٣-٢٣٤)، وانظر «الحلية» (٢/ ١٦٧-١٦٨)، وانظر «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٦/ ٣٢٤-٣٢٥).

فجاءوني، فقالوا: ما شأنك؟ فأخبرتهم، ونزلُوا إليها، وبلغ أمي، فجاءت، وقالت: وجْهي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ إنْ مَسسْتَهَا قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام، فأقمتُ ثلاثًا، ثم دخلتُ بها، فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بِسُنَّةِ رسول اللهﷺ، وأعرفهم بحقِّ زَوْج، فمكثتُ شَهْرًا لا آتي سعيدَ بنَ المسيِّب، ثم أتيتُه وهو في حَلْقَتِهِ، فَسَلَّمْتُ، فردَّ عليَّ السلام، ولم يُكلِّمْنِي حتَّى تقوَّضَ المجلس، فلمَّا لم يَبْقَ غيري قال: ما حالُ ذلك الإنسان؟ قلتُ: خَيْرٌ يا أبا محمد، على ما يُحِبُّ الصديق، ويكره العدو، قال: إنْ رابَكَ شيءٌ فالعصا، فَانْصَرَفْتُ إلى منزلي، فوجَّه إلَيَّ بعشرين ألف درهم.

زوجة الإمام مالك، وابنته

كانت زوجة الإمام مالك رحمه الله أمةً تسرَّى بها، وهي التي ولدت له أولاده: محمدًا، وحمَّادًا، ويحيى، وفاطمة، ولكن العجب أن أحدًا لم يرث علمه من أولاده سوى ابنته فاطمة التي كانت تُكَنَّى بأمِّ البنين.

كانت فاطمة تحفظ الموطَّأ، وتردُّ على من يُخطئ من تلاميذ أبيها من وراء ستر كانت تجلس خلفه، وتُنبِّه المخطئ عن طريق نَقْرِها على الباب، فيتنبَّه القارئ، ويعود إلى الصواب.

وكان مالك يقول في تعجُّبٍ: إنما الأدب أدب الله، هذا ابني وهذه ابنتي!! كان يقول هذا حين ينظر إلى ابنه، وفوق يده باشق -طائر يصطاد به- وفى رجله نعل كيساني، وقد أرخى سراويله، وأبوه يُحَدِّثُ، فلا يجلس إليه كما يجلس المتزاحمون في مجلسه[1].

(١) انظر: «شخصيات إسلامية» (٣) عالم المدينة «مالك بن أنس» (ص/٣٠٨-٣٠٩) - د/ حمزة النشرتي، وعبدالحفيظ فرغلي، وعبد الحميد مصطفى - المكتبة القيمة.

جارية الإمام مالك

وحكي عن أشهب: أنه كان في المدينة، وأنه اشترى خضرة من جارية، وكانوا لا يبيعون الخضرة إلا بالخبز، فقال لها: إذا كان عشية حين يأتينا الخبز، فائتنا نعطك الثمن، فقالت: ذلك لا يجوز. فقال لها: ولِمَ؟ فقالت: لأنه بيع طعامٍ بطعام، غير يدٍ بيدٍ، فسأل عن الجارية، فقيل له: إنها جارية مالك بن أنسٍ رحمه الله[(١)]

أمة الرحيم

أمة الرحيم، ويُقال: أمة العزيز بنت الحافظ صلاح الدين العلائي، أسمعها من الحجار وغيره، وحدَّثت، ماتت في تاسع شوال، وكذلك أختها ماتت في العشرين منه[(٢)].

فاطمة بنت تقيِّ الدِّين الجعبري

فاطمة بنت تقيِّ الدِّين الجعبري: حضرت على أسماء بنت حصري، وسمعت من ابن الرضي، وكان المزي جدَّ أمها، وحدَّثت بدمشق[(٣)].

(١) انظر: «علو الهمة» (٧/ ١٧٨).
(٢) انظر: «أبناء الغمر» (١/ ١٧٧) حوادث سنة ٧٩٥هـ.
(٣) المرجع السابق (١/ ١٧٧) حوادث سنة ٧٩٥هـ.

ابنة الشيخ أبي علي التستري

ابنة الشيخ أبي علي التستري: وكانت تحت الخضري الشافعي محمد بن أحمد أبو عبد الله المروزي، وكانت عالمة فقيهة، فقد سُئل زوجها يوْمًا عن قلامة ظفر المرأة، هل يجوز للأجنبي النظر إليها؟ فأطرق الشيخ طويلًا ساكتًا، وكانت ابنة الشيخ أبي علي التستري تحته فقالت له: لِمَ تُفكِّر وقد سمعتُ أبي يقول في جواب هذه المسألة: إن كانت من قلامة أظفار الَيدين جاز، وإن كانت من الرجلين لم يجُز، وإنما كان كذلك؛ لأن يدها ليست بعورة، ففرح الخضري، وقال: لو لم أستفد من اتصالي بأهل العلم إلا هذه المسألة؛ لكانت كافية. قال ابن خلكان: هذا التفضيل بين اليدين والرجلين فيه نظر[١] إلخ.

قلت: بل اليد عورة، ولا يجوز النظر إليها.

ستُّ القضاة

ستُّ القضاة بنت عبد الوهاب بن عمر بن كثير، ابنة أخي الحافظ عماد الدين: حدَّثت بالإجازة عن القاسم بن عساكر وغيره من شيوخ الشام، وعن علي الواني وغيره من شيوخ مصر، وخَرَّج لها صلاح الدين أربعين حديثًا عن شيوخها، ماتت في جمادى الآخرة، وقد جاوزت الثمانين[٢].

(١) انظر: «الوافي في الوفيات» (١/ ١٨١).

(٢) انظر: «أبناء الغمر» (١/ ٢٢٧).

صفية بنت القاضي عماد الدين إسماعيل

صفية بنت القاضي عماد الدين إسماعيل بن محمد بن العزِّ الصالحية، ولي أبوها القضاء، وحدَّثت هي بالإجازة عن الحجار، وأيوب الكحال، وغيرهما، وسمعت من عبد القادر الأيوبي، وماتت في المحرَّم[(١)].

بنت البسطامي «عائشة بنت محمد بن الحسين»

روت أيضًا عن أبي الحُسين الخفَّاف وغيره، وعن إسماعيل بن المؤذن، وزاهر الشحامي، وأخيه وجيه، ومحمد بن حمويه الجويني الزاهد.

تُوفيتْ قبل أخيها أو بعده، وكان أبوهما من كبار العلماء، تُوفي سنة ثمان وأربع مائة، وأخوها هو الموفق هبة الله من كبار العلماء، وولده هو أبو سهل محمد بن الموفق، قديم الوفاة كبير الشأن رحمهم الله[(٢)].

فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح[(٣)]

قال عنها ابن رجب: «أم زينب الواعظة، الزاهدة، العابدة، الشيخة، الفقيهة، العالمة، المسندة المفتية، الخائفة، الخاشعة، السيدة القانتة، المرابطة، المتواضعة، الديِّنة، العفيفة، الخيِّرة، الصالحة، المتقنة، المحققة، الكاملة، الفاضلة، المتفننة البغدادية، الواحدة في عصرها، والفريدة في دهرها، المقصودة في كل ناحية».

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٢٧).
(٢) انظر: «السير» (١٨/ ٤٢٥) برقم (٢١٥) «تحقيق الأرناؤوط» و«أعلام النساء» (٣/ ١٨٧).
(٣) انظر «علو الهمة» للعفاني (٧/ ١٧٩-١٨٠).

كانت جليلة القدر، وافرة العلم، تسأل عن دقائق المسائل، وتتقن الفقه إتقانًا بالغًا، أخذت عن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر حتى برعت، كانت إذا أشكل عليها أمر سألت ابن تيمية عنه فيُفتيها، ويتعجَّب منها، ومن فهمها، ويبالغ في الثناء عليها.

وكانت مجتهدة، صوَّامة، قوَّامة، قوَّالة بالحق، خشنة العيش، قانعة باليسير، آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، انتفع بها خلق كثير وعلا صيتها، وارتفع محلها، تُوفيت ليلة عرفة رحمها الله[(١)].

قال عنها ابن كثير: «كانت من العالمات الفاضلات، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم على الأحمدية في مؤاخاتهم النساء والمردان، وتُنكر أحوالهم، وأصول أهل البدع وغيرهم، وتفعل من ذلك ما لا يقدر عليه الرجال».

وقد كانت تحضر مجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فاستفادت منه ذلك وغيره، وقد سمعت الشيخ تقي الدين يُثني عليها، ويصفها بالفضيلة والعلم، ويُذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيرًا من «المغني» أو أكثره، وأنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها، وحسن سؤالاتها، وسرعة فهمها، وهي التي ختَّمت نساءً كثيرًا القرآن؛ منهن أمُّ زوجتي عائشة بنت صديق، زوجة الشيخ جمال الدين المزي، وهي التي أقرأت ابنتها زوجتي أمة الرحيم زينب، رحمهن الله وأكرمهن برحمته وجنته، آمين»[(٢)].

وكانت تصعد المنبر، وتعظ النساء، خلع عليها أهل دهرها ألقابًا عديدة، وكلها صفات وصلت بها منتهى حدودها[(٣)].

(١) المرجع السابق نَقْلا من «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٦٧-٤٦٨).
(٢) المرجع السابق - نَقْلا من «البداية والنهاية» (١٤/ ٧٢).
(٣) المرجع السابق - نَقْلا من «عودة الحجاب» (٢/ ٥٩٠).

عائشة بنت حسن

عائشة بنت حسن، قال عنها الذهبي: الواعظة، العالمة، المسندة، أم الفتح الأصبهانية، الوركانية، ووركان محلة هناك.

كتبت الإملاء عن أبي عبد الله بن منده بخطِّها، وسمعت من محمد بن حبش الراوي عن ابن صاعد، ومن عبد الواحد بن شاه، وجماعة.

روى عنها الحسين بن عبد الملك الخلال، وسعيد بن أبى الرجاء، وإسماعيل بن محمد الحافظ.

قال ابن السمعاني: سألت الحافظ إسماعيل عنها، فقال: امرأة صالحة، عالمة، تعظ النساء، وكتبت أمالي ابن منده عنه، هي أول مَن سمعتُ منها الحديث، بعثني أبي إليها، وكانت زاهدة.

قلت: وروى عنها أيضًا محمد بن حمد الكبريتي، وإسماعيل الحمامي المعمر، فكانت خاتمة أصحابها، بقيت إلى سنة ستٍّ وستين وأربعمائة[1].

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٣٠٢-٣٠٣)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٠٨).

عين الشمس

عين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج، أم النور، الثقفية، الأصبهانية، مسندة وقتها.

قال الذهبي[١]: سَمِعت حضورًا في سنة أربعٍ وعشرين من إسماعيل بن الإخشيد، وسمعت «جزء أبي الشيخ» من محمد بن علي بن أبي ذر الصالحاني، وتفرَّدت في الدنيا عنهما، وكانت صالحة، عفيفة من بيت الرواية والإسناد.

حدَّث عنها الضياء محمد، والذكي البِرزالي، والتقي بن المعز، وعدة، وعامة الرحالة. وبالإجازة: الشمس عبد الواسع الأبهري، والفخر علي، والشمس بن الزين، وطائفة.

عاشت تسعين سنة، وتُوفيتْ في نصف ربيع الآخر سنة عشر وست مائة.

أنبأني عبد الواسع، عن عين الشمس، أخبرنا ابن أبي ذر سنة ٥٢٦، أخبرنا ابن عبد الرحيم، أخبرنا أبو بكر القباب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن بن هارون الأشعري، حدثنا علي بن محمد القادسي بعكبرا، حدثنا محمد بن حماد، عن مقاتل بن سليمان، بخبر موضوع.

ومن سماعها علي بن أبي ذر كتاب «الديات» لابن أبي عاصم، و«التوبة»، و«عوالي القباب» و«أحاديث بكر بن بكار» و«جزء أبي الزبير عن غير جابر»، وأشياء.

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٢٣-٢٤) برقم (١٧)، و«تاريخ الإسلام» (١٨/ ١/ ٤٠٣)، و«شذرات الذهب» (٥/ ٤٢).

أمة الواحد

أمة الواحد ابنة القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، حفظت القرآن، والفقه، والنحو، والفرائض، والعلوم، وبرعت في مذهب الشافعي، وكانت تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة[(١)] .

فاطمة بنت الشيخ أبي علي

فاطمة بنت الشيخ أبي علي الحسن بن علي الدقاق الزاهد، زوجة القشيري، كانت كبيرة القدر، عالية الإسناد، من عوابد زمانها، روت عن أبي نعيم الأسفراييني، والعلوي، والحاكم، وطائفة، تُوفيتْ في ذي القعدة عن تسعين سنة[(٢)] .

فاطمة بنت الحسن

فاطمة بنت الحسن بن علي الأقرع، أمُّ الفضل، البغدادية، الكاتبة التي جوَّدوا على خطِّها، وكانت تنقل طريقة ابن البواب، حكت أنها كتبت ورقةً للوزير السكندري، فأعطاها ألف دينار، وقد روت عن أبي عمر بن مهدي الفارسي[(٣)] .

---

(١) انظر: «شذرات الذهب» (٣/ ٨٨) حوادث سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.

(٢) المرجع السابق (٣/ ٣٦٥) حوادث سنة ٤٨٠هـ.

(٣) المرجع السابق (٣/ ٣٦٥) حوادث سنة ٤٨٠هـ.

عائشة البالسية

عائشة بنت أبي بكر بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن قوام البالسية، ثم الصالحية، قال ابن حجر: «روت لنا عن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر المغار»، وماتت في ثالث عشر شعبان[(١)].

فاطمة المقدسية

فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي المقدسية، ثم الصالحية الحنبلية، أمُّ يوسف، كان أبوها محتسب الصالحية، وهو عمُّ الحافظ شمس الدين. أسمعت الكثير على الحجار وغيره، وأجاز لها أبو نصر بن الشيرازي وآخرون من الشام، وحسن الكردي، وعبد الرحيم المنشاوي، وآخرون من مصر، قال ابن حجر: «قرأت عليها الكثير من الكتب والأجزاء بالصالحية، ونعم الشيخة كانت»، ماتت في شعبان عام ٨٠٣ هـ، وقد جاوزت الثمانين[(٢)].

---

(١) انظر: «الشذرات» (٧/ ٣٣) حوادث سنة ٨٠٣هـ.

(٢) المرجع السابق (٧/ ٣٣) حوادث سنة ٨٠٣هـ.

أم عيسى

أم عيسى مريم بنت أحمد بن أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم الأذرعي، قال ابن حجر: سمعت الكثير من علي بن عمر الواني، وأبي أيوب الدبوسي، والحافظ قطب الدين الحلبي، وناصر الدين بن سمعون، وغيرهم، وأجاز لها التقي الصائغ، وغيره من المسندين بمصر والحجاز، وغيره من الأئمة بدمشق، خرجت لها معجمًا في مجلده، وقرأت عليها الكثير من مسموعاتها، وأشياء كثيرة بالإجازة، وهي أخت شمس الدين المتقدم ذكره، في هذه السنة عاشت أربعًا وثمانين سنة ونعمت الشيخة، كانت ديَّانة وصيَّانة، محبة في العلم، وهي آخر من حدثت عن أكثر مشايخها المذكورين، وقد سمع أبوالعلاء الفرضي من يوسف الدبوسي، وسمعت هي منه، وبينهما في الوفاة بضع سنين[1].

رقية بنت العفيف

رُقية بنت العفيف عبد السلام بن محمد بن مزروع، المدنية، حدَّثت بالإجازة عن شيوخ مصر و الشام، كالختني، وابن المصري وابن سيد الناس من المصريين، والمزي وغيره من الشاميين، وتُوفيتْ عن سبع وثمانين سنة[2].

(١) المرجع السابق (٧/ ٥٤) حوادث سنة ٨٠٥هـ.

(٢) انظر «الشذرات» (٧/ ١١٠) حوادث سنة ٨١٥هـ.

عائشة الدمشقية

عائشة بنت علي بن محمد بن عبد الغني بن منصور الدمشقية سمعت مع زوجها الحافظ شمس الدين الحسني من ابن الخباز، والمرداوي، ومن بعدهما، وحدَّثت، وتُوفيتْ في رمضان عن بضعٍ وستين سنة[(١)].

عائشة الصالحية الحنبلية

عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الأصل أبوها، الصالحية، الحنبلية المذهب، المحدِّثة، محدِّثة دمشق، ولدت سنه ثلاث وعشرين وسبعمائة، وحضرت في أوائل الرابعة من عمرها جميع صحيح البخاري على مسند الآفاق الحجار، وروت عن خلقٍ، وروى عنها الحافظ ابن حجر، وقرأ عليها كتبًا عديدة وكانت في آخر عمرها، أسند أهل زمانها مكثره سماعًا وشيوخًا، قاله العلوي في طبقات الحنابلة، وتُوفيتْ في أحد الربيعين، ودُفنت بالصالحية، قال ابن حجر: تفرَّدت بالسماع من الحجار، ومن جماعةٍ، وسمع منها الرحالة؛ فأكثروا، وكانت سهلةً في الإسماع، سهلة الجانب، ومن العجائب أن ست الوزراء، كانت آخر من حدَّثت عن ابن الزبيدي بالسماع، ثم كانت عائشة آخر من حدَّثت عن صاحبة الحجار بالسماع، وبين وفاتيهما مائة سنة[(٢)].

---

(١) المرجع السابق (٧/ ١١١) حوادث سنة ٨١٥هـ.

(٢) المرجع السابق (٧/ ١٢٠-١٢١) حوادث سنة ٨١٦هـ.

ستُّ العيش

ستُّ العيش أمُّ عبد الله، وأمُّ الفضل، عائشة بنت القاضي علاء الدين علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن أبي الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد، الكاتبة، الفاضلة، الصالحة، الكنانية، العسقلانية الأصل، ثم المصرية، الحنبلية، سبطة القلانسي، ولدت سنة إحدى وستين وسبعمائة، وحضرت على جدِّها فتح الدين القلانسي أكثر العلامات وغيرها، وسمعت من العزِّ بن جماعة، و القاضي موفق الدين الحنبلي، وناصر الدين الحراوي، ولها إجازة من محب الدين الخلاطي، وجماعة من الشاميين والمصريين، وأكثر عنها الطلبة آخرًا، وكانت خيِّرة تكتب خطًّا جيدًا، وهي والدة القاضي عز الدين بن قاضي المسلمين برهان الدين إبراهيم بن نصر الله الحنبلي [1].

فاطمة بنت يوسف

فاطمة بنت يوسف التادفي الحنبلي الحلبي، قال ابن الحنبلي وهو ابن أخيها: كانت من الصالحات، الخيِّرات، وكان لها سماع من الشيخ المحدِّث برهان الدين، وكانت قد حجَّت مرتين، ثمَّ عادت إلى حلب، وأقلعت عن ملابس نساء الدنيا، بل عن الدنيا بالكلية، ولبست العبادة، و زارت بيت المقدس، ثم حجَّت ثالثة، وتُوفيتْ بمكة المشرفة [2].

(١) انظر: «الشذرات» (٧/ ٢٣٤-٢٣٥) حوادث سنة ٨٤٠هـ.

(٢) انظر: «شذارت الذهب» (٨/ ١٣٨) حوادث سنة ٩٢٥هـ.

فاطمة بنت عبد القادر

فاطمة بنت عبد القادر بن محمد بن عثمان الشهيرة ببنت مزيمزان، الشيخة، الفاضلة، الصالحة، الحنفية، الحلبية، شيخة الخانقتين، العادلية والدجاجية معًا. كان لها خطٌّ جيد، ونسخت كتبًا كثيرة، وكان لها عبارة فصيحة، وتعفُّف، وتقشُّف، وملازمة للصلاة حتى في حال المرض، وُلدت في رابع محرَّم سنة ثمان وسبعين وثمانمائة، ثم تزوَّجها الشيخ كمال الدِّين محمد بن مير جمال الدين بن قلي درويش الأردبيلي الشافعي نزيل المدرسة الرواصية بحلب، الذي قيل: إن جدَّه أول مَن شرح المصباح، قالت: وعن زوجي هذا أخذت العلم، وكان يقول: ملكني الله تعالى ستة وثلاثين علمًا، وتُوفيتْ في هذه السنة، وأوصت أن تُدفن معها سجادتها، قال ابن الحنبلي: «وقد ظفرتُ بشهود جنازتها، وحملها فيمن حمل»، رحمها الله تعالى[1].

ست الركب

ست الركب بنت علي بن محمد بن حجر أخت كاتبة، قال ابن حجر: وُلدت في رجب سنة سبعين في طريق الحجِّ، وكانت قارئة، كاتبة، أعجوبة في الذكاء، وهي أمي بعد أمي، أصبت بها في جمادي الآخرة من هذه السنة[2].

---

(١) انظر: «شذرات الذهب» (٨/ ٣٤٧-٣٤٨) حوادث سنة ٩٦٦هـ.

(٢) انظر: «شذرات الذهب» (٦/ ٣٥٤) حوادث سنة ٧٩٨هـ.

عائشة الحرَّانيَّة

عائشة بنت محمد بن المسلم الحرانيَّة أخت محاسن، روت عن العراقي، والبلخي حضورًا، وعن البلداني، ومحمد بن عبد الهادي، وتفرَّدت، وتُوفيتْ في شوال عن تسعين سنة[(١)].

زينب بنت سليمان

المعمرة زينب بنت سليمان بن رحمة الأسعردى، سمعت من الزبيدى، والشمس أحمد بن عبد الواحد البخاري، وعلى بن حجاج، وجماعة، وتفرَّدت بأشياء، وماتت في ذي القعدة عن بضعٍ وثمانين سنة[(٢)].

فاطمة بنت سليمان

أمُّ عبد الله فاطمة بنت سليمان بن عبد الكريم الأنصاري، لها إجازة الفتح، وابن عفجة، وجماعة، وسمعت المسلم المازني، وكريمة، وابن رواحة، وروت الكثير، ولم تتزوَّج، تُوفيتْ في ربيع الآخر بدمشق عن قريب التسعين[(٣)].

---

(١) المرجع السابق (٦/ ١١٣) حوادث سنة ٧٣٦هـ.

(٢) انظر: «شذرات الذهب» (٦/ ١٢) حوادث سنة ٧٠٥هـ.

(٣) المرجع السابق (٦/ ١٧) حوادث سنة ٧٠٨هـ.

أمُّ محمد هدية

المعمرة أمُّ محمد هدية بنت على بن عسكر الهراس، ولها ستٌّ وثمانون سنة، تروى عن ابن الزبيدي حضورًا، وعن ابني اللتي والهمذاني، وغيرهم، وكانت فقيرة، صالحة، متنوعة، متعبدة، سمراء، قابلة، تُوفيتْ بالقدس في جمادى الأولى، قاله الذهبي[١].

ستُّ الأجناس

ستُّ الأجناس موفية بنت عبد الوهاب بن عتيق بن ورداني، المصرية، روت عن الحسن بن دينار، والعلم بن الصابوني، وغيرهما، وتفرَّدت، وعمرت اثنتين وثمانين سنة[٢].

فاطمة بنت عباس

العالمة، الفقيهة، الزاهدة، القانتة، سيدة نساء زمانها، الواعظة، أمُّ زينب، فاطمة بنت عباس البغدادية الشيخة بمصر عن نيِّف وثمانين سنة، وشيَّعها خلائق، وانتفع بها خلقٌ من النساء، وتابوا، وكانت وافرة العقل والعلم، قانعة باليسير، حريصة على النفع والتذكير، ذات إخلاص وخشية، وأمر بالمعروف، انصلح بها نساء دمشق، ثم نساء مصر، وكان لها قبول زائد ووقع في النفوس، رحمها الله، زرتُها مرة. قاله في العبر[٣].

---

(١) المرجع السابق (٦/ ٣١) حوادث سنة ٧١٢هـ.

(٢) المرجع السابق (٦/ ٣١-٣٢) حوادث سنة ٧١٢هـ.

(٣) انظر: «شذرات الذهب» (٦/ ٣٤-٣٥) حوادث سنة ٧١٤هـ.

أمُّ أحمد فاطمة بنت النفيس

أمُّ أحمد فاطمة بنت النفيس محمد بن الحسين بن رواحة، روت أجزاء عن عمِّها بمصر، وطرابلس، قال الذهبي: سمعنا منها[(١)].

كمالية بنت أحمد

كمالية بنت أحمد بن عبد القادر بن رافع الدمراوي، وتُسمَّى ست الناس، روت بالإجازة عن عبد الله بن برطلة الأندلسي، ومحمد بن الجرَّاح، والشرف المرسى، وماتت في الثغر في شعبان[(٢)].

أم الهنا جويرية

أم الهنا جويرية بنت أحمد بن أحمد بن الحسن بن موستك المكاوي، سمعت من ابن الصواف مسموعة من النساف، ومسند الحميدي، ومن علي بن القيم ما عنده من صحيح الإسماعيلي، وكانت خيِّرة ديِّنة، أكثر الطلبة عنها، توفيت في صفر[(٣)].

(١) المرجع السابق (٦/ ٤٠) حوادث سنة ٧١٦هـ.
(٢) المرجع السابق (٦/ ٩٧) حوادث سنة ٧٣١هـ.
(٣) «شذرات الذهب» (٦/ ٢٨٠) حوادث سنة ٧٨٣هـ.

فاطمة بنت الشهاب

فاطمة بنت الشهاب أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الحرازي، المكية، ثم المدنية، سمعت على جدِّها لأبيها الرضي الطبري الكثير، وسمعت على أخيه الصفر دستورًا، وأجاز لها المعز التوزري، والعفيف الدلاحي، وأبو بكر الدشتي، والمطعم، وآخرون، وكانت خيِّرة، ماتت في شوال عن ثلاثٍ وسبعين سنة[(١)]

عائشة بنت السيف

عائشة بنت السيف أبي بكر بن عيسى بن منصور بن قوالج، الدمشقية، بنت عمر بدر الدين بن قوالج، روت عن القاسم بن مظفر، والحجار، وغيرهما، وحدَّثت، وماتت في شوال[(٢)].

فاطمة بنت عمر

فاطمة بنت عمر بن يحيى، المدنيَّة، وتُعرف ببنت الأعمى، أجاز لها الدشتي، والقاضي، والمطعم، وحدَّثت بمصر مدةً، وماتت في آخر السنة[(٣)].

---

(١) انظر: «الشذرات» (٦/ ٢٨٠) حوادث سنة ٧٨٣هـ.

(٢) انظر: «شذرات الذهب» (٦/ ٣٢٨) حوادث سنة ٧٩٣هـ.

(٣) المرجع السابق (٦/ ٣٢٩) حوادث سنة ٧٩٣هـ.

زينب بنت أحمد

المعمرة، الرحالة، أمُّ محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر المقدسي، وماتت في ذى الحجة عن أربع وتسعين سنة، سمعت ابن اللُّتِّي والهمداني، وتفرَّدت بأجزاء كالثقفيَّات، ومسندي عبدو الدارمي، وارتحلت إليها الطلبة، وحدَّثت بمصر، والمدينة النبوية، وماتت ببيت المقدس(١).

زينب بنت الخطيب

المعمرة زينب بنت الخطيب يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام السلمية، روت عن البلداني، وإبراهيم بن خليل، وابن الخطيب القرافة، وغيرهم، ولها إجازة من البسط، وروت الكثير وتفردت وتوفيت في ذي العقدة عن سبع وثمانين سنة(٢).

زينب بنت الكمال

مسندة الشام أمُّ عبد الله زينب بنت الكمال أحمد بن عبد الرحيم، المقدسية، المرأة الصالحة، العذراء، روت عن محمد بن عبد الهادي، وخطيب فردا، واليلداني، وبسط ابن الجوزي، وجماعة، والإجازة عن عجيبة الباقدراية، وابن الخير، وابن العليق، وعدد كثير، وتكاثروا عليها، وتفرَّدت، وروت كتبًا كبارًا، وتُوفيتْ في تاسع عشر جمادى الأولى عن أربعٍ وتسعين سنة(٣).

---

(١) «شذرات الذهب» (٦/ ٥٦) حوادث سنة ٧٢٢هـ.

(٢) «شذرات الذهب» (٦/ ١١٠) حوادث سنة ٧٣٥هـ.

(٣) انظر: «شذرات الذهب» (٦/ ١٢٦) حوادث سنة ٧٤٠هـ.

زينب بنت محمد الدمشقية

زينب بنت محمد بن عثمان بن عبد الرحمن الدمشقية، يُعرف أبوها بابن العصيدة، حدَّثت بالإجازة العامة عن الفخر البخاري، وغيره، وأجازت لابن حجر، وزاد عمرها على المائة وعشر سنين(١).

زينب بنت عثمان

زينب بنت عثمان بن محمد بن لولو الدمشقية، سمعت الحجار، وأجازت للحافظ ابن حجر(٢).

زينب بنت أحمد

زينب بنت أحمد بن عبد الخالق بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن يونس، الموصلية، وسمعت من عيسى المطعم، وابن النشو، وغيرهما، وحدَّثت بالكثير، وتُوفيتْ في شعبان(٣).

أم أحمد ستُّ الأهل

المعمرة أمُّ أحمد ستُّ الأهل بنت علوان بن سعيد، البعلبكية بدمشق في المحرم، قال الذهبي: مكثرة عن البهاء عبد الرحمن، صالحة، خيِّرة، عاشت خمسًا وثمانين سنة(٤).

(١) انظر: «شذرات الذهب» (٦/ ٣٥٨) حوادث سنة ٧٩٩هـ.
(٢) انظر: «شذرات الذهب» (٦/ ٣٦٥) حوادث سنة ٨٠٠هـ.
(٣) انظر: المرجع السابق (٦/ ٢٦٢) حوادث سنة ٧٧٨هـ.
(٤) المرجع السابق (٦/ ٨) حوادث سنة ٧٠٣هـ.

ستُّ العرب

ستُّ العرب بنت محمد بن الفخر على بن أحمد بن عبد الواحد بن البخاري، الشيخة، الصالحة، الحنبلية، المسندة، المكثرة، حضرت على جدِّها كثيرًا، وعلى عبد الرحمن بن الزين، وغيرهما، وحدَّثت، وانتشر عنها حديث كثير، وسمع منها الحافظات العراقيات، والهيثمي، والمقري ابن رجب، وذكرها في معجمه، قال ابن قانع: طال عمرها، وانتُفع بها، تُوفيتْ بدمشق ليلة الأربعاء مستهل جمادى الأولى، ودُفنتْ بسفع قاسيون(١).

خديجة بنت محمد بن علي

خديجة بنت محمد بن علي، الشاهجانية، الواعظة ببغداد، كتبت بخطِّها عن جماعة، وتُوفيتْ في المحرم عن أربعٍ وثمانين سنة(٢).

فاطمة بنت محمد

نفيسة وتُسمَّى فاطمة بنت محمد بن على البزازة، البغدادية، ابنة أبي الفرج بن البزازة. سمعت مِن طراد الزيني، وابن طلحة النعالي.

وعنها الحافظ عبد الغني، والشيخ الموفق، وأبو إسحاق الكاشعري، وجدُّه، ومن القدماء أبو سعد السمعاني، وأجازت لابن مسلمة.

تُوفيتْ في ذي الحجة سنة ثلاثٍ وستين وخمسمائة(٣).

---

(١) المرجع السابق (٦/٢٠٨) حوادث سنة ٧٦٧هـ.
(٢) انظر: «شذرات الذهب» (٣/٣٠٨) حوادث سنة ٤٦٠هـ.
(٣) انظر: «السير» (٢٠/٤٨٩) برقم (٣٠٧).

أعجوبة النساء، الأميرة المفسِّرة للقرآن، زيب النساء بنت الملك أورنك زيب عالمكير(١)

هي زيب النساء الهندية «بيكم»، ابنة الشاه محيي الدين أورنك زيب عالمكير، سلطان الهند قاتل الأسود، وخير ملوك الأرض، وُلدتْ سنة ١٠٤٨هـ، وتُوفيتْ سنة ١١١٣هـ، كانت حافظةً لكتاب الله، مُفسِّرة له، وهي المرأة التي تفخر بها النساء، إذ هي المرأة الوحيدة التي لها تفسير للقرآن، ويُسمَّى هذا التفسير «زيب التفاسير»، فلله درُّها أميرة، ومُفسِّرة!!.

قال الأستاذ محمد خير يوسف: في «معجم المفسرين مِن صدر الإسلام حتى العصر الحاضر» لعادل نويهض، الذي ضُمت محتوياته في مجلدين ضخمين.. لم أر فيه سوى ذكر امرأةٍ واحدةٍ لها تفسير، وهي: زيب النساء بنت الشاه محيى الدين أورنك زيب عالمكير(٢)، وكان للأمير ديوان من الشعر.

---

(١) انظر: «علو الهمة» العفاني (٧/ ١٨٠).

(٢) المرجع السابق نَقْلا من «قارئات حافظات»، محمد خير يوسف (ص/١٩/ ٤٧-٤٨) ط. دار ابن خزيمة.

أمُّ علي بن المديني(١)

قال علي بن المديني: «غبت عن البصرة في مخرجى إلى اليمن ثلاث سنين، وأمي حية، فلمَّا قدمتُ، قالت: يابني، فلان لك صديق، وفلان لك عدو، قلتُ: من أين علمتِ يا أمَّه؟ قالت: كان فلان وفلان، فذكرت منهم يحيى بن سعيد، يجيئون مُسَلِّمين، فيعزونى، ويقولون: اصبري، فلو قدم عليك، سَرَّك بما ترَيْن؛ فعلمتُ أن هؤلاء أصدقاء. وفلان وفلان إذا جاءوا، يقولون لي: اكتبي إليه، وضيِّقي عليه؛ ليقدم»(٢)

والدة الفقيه الواعظ المفسر زين الدين علي بن إبراهيم(٣)

المعروف بـ«ابن نجية» سبْط الشيخ أبي الفرج الشيرازى الحنبلي.

قال ناصح الدين الحنبلي: قال لي والدي: زين الدين سَعِدَ بدعاء والدته، كانت صالحة، حافظة، تعرف التفسير.

قال زين الدين: كنا نسمع من خالي التفسير، ثم أجيء إليها فتقول: أيش فسر أخي اليوم؟ فأقول: سورة كذا وكذا، فتقول: ذكر قول فلان؟ وذكر الشيخ الفلاني؟ فأقول: لا. فتقول: ترك هذا.

وسمعت والدي يقول: كانت تحفظ كتاب «الجواهر»، وهو ثلاثون مجلدًا، تأليف والدها الشيخ أبي الفرج، وأُقعِدت أربعين سنة في محرابها(٤).

---

(١) انظر: «علو الهمة» العفاني (٧/ ١٧٩).

(٢) المرجع السابق نَقْلا من «السير» (١١/ ٤٩).

(٣) انظر: «علو الهمة» العفاني (٧/ ١٧٨).

(٤) المرجع السابق نَقْلاً من «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٤٤٠).

أمة العزيز

أمة العزيز، ابنة الإمام العلامة شيخ الإسلام الذهبي[١].

وقد أجاز لها غير واحد باستدعاء والدها منهم شيخ المستنصرية شيد الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله البغدادي، المتوفَّى سنة ٧٠٧هـ، ويظهر أنها تزوجت في حياة والدها، وخلَّفت ولدًا اسمه عبد القادر، سمع من جدِّه، ومن أحمد بن محمد المقدسي المتوفَّى سنة ٧٣٧هـ، وأجاز له جَدُّه رواية كتابه «تاريخ الإسلام».

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١/ ٧٣-٧٤) - حياة الذهبي ومنزلته العلمية - للدكتور رحمه الله بشَّار عوَّاد معروف - ط مؤسسة الرسالة.

كريمة بنت أحمد

كريمة، الشيخة، العالمة، الفاضلة، المسندة، أمُّ الكرام، كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية، المجاورة بحرم الله.

سَمِعَتْ من أبي الهيثم الكشميهني صحيح البخاري، وسمعت من زاهر بن أحمد السرخسي، وعبد الله بن يوسف بن باموية الأصبهاني.

وكانت إذا روت قابلت بأصلِها، ولها فهمٌ، ومعرفةٌ مع الخير، والتعبد.

روت الصحيح مرَّات كثيرة، مرةً بقراءة أبي بكر الخطيب في أيام الموسم، وماتت بكرًا لم تتزوج أبدًا، حدَّث عنها الخطيب، وأبو الغنائم النرسي، وأبو طالب الحسين بن محمد الزينبي، ومحمد بن بركات السعيدي، وعلي بن الحسين الفراد، وعبد الله بن محمد بن صدقة بن الغزال، وأبو القاسم علي بن إبراهيم النسيب، وأبو المظفر منصور بن السمعاني، وآخرون.

قال أبو الغنائم النرسي: أخرجت كريمة إليَّ النسخة بالصحيح فقعدتُ بحذائها، وكتبتُ سبع أوراق، وقرأتها، وكنت أريد أن أعارض وحدي، فقالت: لا حتى تعارض معي، فعارضتُ معها.

قال: وقرأتُ عليها من حديث زاهر.

وقال أبو بكر بن منصور السمعاني: سمعت الوالد يذكر كريمة، ويقول: وهل رأى إنسان مثل كريمة؟

قال أبو بكر: وسمعت بنت أخي كريمة تقول: لم تتزوج كريمة قط ،وكان أبوها من كشميهن، وأمُّها من أولاد السياري، وخرج بها أبوها إلى بيت

المقدس، وعاد بها إلى مكة، وكانت قد بلغت المائة.

قال ابن نقضة: نقلت وفاتها من خطّ ابن ناصر سنة خمس وستين وأربعمائة قلت: الصحيح موتها في سنة ثلاث وستين[(١)].

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٣٣-٢٣٤) برقم (١١٠)، وانظر: «المنتظم» (٨/ ٢٧٠).

فاطمة بنت أبي علي

فاطمة بنت الأستاذ الزاهد أبي علي، الحسن بن علي الدقَّاق، الشيخة، العابدة، العالمة، أمُّ البنين، النيسابورية، أهل الأستاذ أبي القاسم القشيري، وأمُّ أولاده.

سمِعَتْ من أبي نعيم الأسفراييني، وأبي الحسن العلوي، وعبد الله، وابن يوسف، وأبي علي الرود باري، وأبي عبد الله الحاكم، والسلمي، وطائفة.

وكانت عابدة، قانتة، متهجدة، كبيرة القدر.

حدَّث عنها عبد الله بن الفراوي، وزاهر الشحامي، وأبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد، حفيدها، وآخرون.

ماتت في ذي القعدة، سنة ثمانين وأربعمائة، ولها تسعون سنة، رحمها الله[١].

(١) انظر: «السير» (١٨/ ٤٧٩)، و«شذرات الذهب» (٣/ ٣٦٥).

فاطمة بنت الحسن بن علي البغدادي العطار

أمُّ الفضل، الكاتبة المعروفة ببنت الأقرع، جوَّد الناس على خطِّها لبراعة حسنه، وهي التي نُدبت لكتابة كتاب الهدنة إلى طاغية الروم من جهة الخلافة، وبكتابتها يُضرب المثل.

وقد روت عن أبي عمر بن مهدي وغيره.

روى عنها أبو القاسم بن السمرقندي، وقاضي المارستان، وعبد الوهاب الأنماطي، وأبو سعد بن البغدادي.

قال السمعاني: سمعتُ محمد بن عبد الباقي الأنصاري يقول: سمعت فاطمة بنت الأقرع تقول: كتبتُ ورقةً لعميد الملك، فأعطاني ألف دينار، ماتت في المحرم سنة ثمانين وأربع مائة[1].

خديجة بنت موسى

خديجة بنت موسى بن عبد الله، الواعظة المعروفة ببنت البقال، وتُكنَّى أمَّ سلمة.

أخبرنا القزَّاز، أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: سمعتُ خديجة بنت موسى أبا حفص بن شاهين، كتبت عنها، وكانت فقيرةً، صالحة، فاضلة، تنزل ناحية التوتة، وتُوفيتْ في جمادى الآخرة من سبع وثلاثين وأربعمائة، ودُفنتْ في مقبرة الشونيزية[2].

---

(١) المرجع السابق (١٨/ ٤٨٠-٤٨١) و«المنتظم» (٩/ ٤٠).

(٢) انظر: «المنتظم» (١٥/ ٣٠٣) برقم (٣٢٦٢)، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٤/ ٤٦).

أخت عبيد بن يعيش

أخت عبيد بن يعيش الحافظ، الحجة، الأوحد، أبو محمد الكوفي المحاملي العطار. حدَّث عنه مسلم، والنسائي بواسطة، وأبو زرعة الأزي، والبخاري في جزء رفع اليدين، ومُطَيِّن، والقتَّات.

قال عمار بن رجاء: سمعتُ عبيد بن يعيش يقول: أَقَمْتُ ثلاثين سنة، ما أكلتُ بيدي بالليل، وكانت أختي تُلقمني، وأنا أكتب.

قال الذهبي: هو من الحُفَّاظ(١).

أمُّ علي تَقِيَّة(٢)

العالمة، المصرية، الفاضلة، أبوها الثقة أبو الفرج غيث بن علي، وولدها النحويُّ القارئ أبو الحسين علي بن فضل، صحبت الحافظ المحدِّث أبا طاهر السلَفي بثغر الإسكندرية زمانًا، فذكرها في بعض تعاليقه، وأثنى عليها، وعثر هو يومًا في منزله، فانجرح إخمصه، فشقَّت وليدة في الدار خِرْقَةَ من خمارها وعصَّبته، فأنشدت تقية المذكورة في الحال لنفسها تقول:

لو وجدت السبيل بخدِّي
عوضاً عن خمار تلك الوليدة
كيف لي أن أقبِّل اليوم رِجْلاً
سلكت دهرها الطريق الحميدة

وقد كتب الشيخ السِّلَفي هذه الواقعة بخطِّه.

---

(١) انظر: «السير» (١١/٤٥٨-٤٥٩) برقم (١١٢).

(٢) من أخلاق العلماء - محمد بن سليمان - ظ (ص/٣٧)، وانظر «عودة الحجاب» (٥٨٥-٥٨٦).

زينب بنت أبي القاسم[١]

كانت عالمةً، أدركت جماعة من أعيان العلماء، وأخذت عنهم، وأجازها أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري مؤلف الكشَّاف، والمؤرخ شهاب الدين بن خلكان صاحب التاريخ المشهور.

فاطمة بنت الحسن بن علي البغدادي العطار[٢]

«المؤدِّبة، الكاتبة، وتُعرف ببنت الأقرع، سمعت الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره، وكانت تكتب المنسوب على طريقة ابن البوَّاب، ويكتب الناس عليها، وبكتابتها يُضرب المثل، وبخطِّها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم، وكتبت مرة إلى عميد المُلك الكندي رقعةً فأعطاها ألف دينار».

وقال الأستاذ عبد الله عفيفي رحمه الله: «وأكثر ما عُرف به الممتازات من نساء المغرب الأقصى حفظ القرآن الكريم بقراءاته جميعًا، ورواية الحديث، ودرس الفقه، والأصول، وما إلى هذه من علوم الدين، ويذكر أهل ذلك الإقليم ثمانين امرأةً من نساء المغرب جمعن إلى النفاذ في ذلك كلِّه حفظ مدونة الإمام مالك بن أنس رحمه الله، وهي أكبر المطولات الجامعة في الحديث والفقه».

وذكر من النسوة اللاتي تخرجن في العلوم الدينية: «السيدة الشريفة فاطمة الزهراء ابنة السيد محمد بن أحمد الإدريسي، تحفظ القرآن الكريم بقراءاته، وتحفظ كثيرًا من كتب الفقه والحديث، ولها صلة وثيقة بالعلوم العصرية، ولم تبارح دار أبيها قط، وتخرَّجت على أبيها، وجدِّها».

---

(١) «المرأة ومكانتها» (ص/٥٧)، والمرجع السابق (٢/ ٥٩٤).

(٢) «البداية والنهاية» (١٢/ ١٣٤)، و«السير» (١٨/ ٤٨٠)، و«السابق» (٢/ ٥٩٦).

وقال عبد الواحد المراكشي: «إنه كان بالربض الشرقي في قرطبة سبعون ومائة امرأة، كلُّهن يكتبن المصاحف بالخطِّ الكوفي»(١).

شهدت بنت المحدث أبى نصر أحمد بن الفرج الدِّينوري

مُسْنِدَةُ العراق، وفخر النساء، قعدت للحديث في القرن السادس، وهي صاحبة السماع العالي، ألحقت فيه الأصاغر بالأكابر، بَعُدَ صيتها، وسمع عليها الخلق الكثير، وكان لها خطٌّ حسنٌ، وخالطت الدور والعلماء، ولها بِرٌّ، وخيرٌ(٢).

زينب بنت علي

بنت الواسطي، الزاهدة، العابدة، أمُّ محمد زينب بنت علي بن أحمد بن فضل، الصالحية، قال الذهبي: روت لنا عن الشيخ الموفق، وتوفيت في المحرَّم، وقد قاربت التسعين(٣).

خديجة بنت يوسف

خديجة بنت يوسف بن غنيمة، العالمة، الفاضلة، أمة العزيز، روت الكثير عن ابن اللتي، ومكرم، وطائفة، وقرأت غير مقدمة في النحو، وجوَّدت الخطَّ على جماعة، وحجَّت، وتُوفيتْ في رجب عن نيِّف وسبعين سنة(٤).

---

(١) «المرأة ومكانتها في الإسلام» - للحصين (ص٥٧)، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٩٨-٥٩٩).
(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٥٤٢).
(٣) المرجع السابق (٥/ ٤٣٠) حوادث سنة ٦٩٥هـ.
(٤) المرجع السابق (٥/ ٤٤٧) حوادث سنة ٦٩٩هـ.

آسية المقدسيَّة

آسية المقدسيَّة، والدة السَّيف بن المجد، قال أخوها الضياء: ما في زماننا مثلُها لا تكاد تدع قيام الليل، وفيها الحجة الأتابكية امرأة الأشرف موسى صاحبة المدرسة، والتربة بجبل قاسيون تركان بنت الملك عز الدين مسعود بن قطب الدين مودودين أتابك زنكى، وفيها جمال النساء بنت أحمد بن أبي سعد العرَّاف البغدادية، سمعت من أبي البطي، وأحمد بن محمد الكاغدي، وبقية عشرة شيوخ، وتُوفيتْ في جمادى الأولى[١].

أمة الله بنت أحمد

أمة الله بنت أحمد بن عبد الله بن علي بن الأنبوسي، روت الكثير عن أبيها، وتفرَّدت عنه، وتُوفيتْ في المحرَّم أيضًا، وتُلقَّب بشرف النساء، وكانت صالحة، خيِّرة[٢].

عفيفة بنت أحمد

عفيفة بنت أحمد بن عبد الله بن محمد بن هاني، الفارقانية، الأصبهانية، وُلدتْ سنة ست عشرة وخمسمائة، وهي آخر من روى عن عبد الواحد صاحب أبي نعيم، ولها إجازة من أبي علي الحداد، وجماعة، وسمعت من فاطمة المعجمين الكبير والصغير للطبراني، وتُوفيتْ في ربيعِ الآخر[٣].

---

(١) المرجع السابق (٥/ ٢٠٧) حوادث سنة ٦٤٠هـ.
(٢) انظر: «شذرات الذهب» (٥/ ١١٩) حوادث سنة ٦٢٦هـ.
(٣) المرجع السابق (٥/ ١٩-٢٠) حوادث سنة ٦٠٦هـ.

عجيبة بنت الحافظ محمد بن أبي غالب

عجيبة بنت الحافظ محمد بن أبي غالب الباقدراي، البغدادية، سمعت من عبد الحق، وعبد الله ابني منصور الموصلي، وهي آخر من روى بالإجازة عن مسعود، والرستمي، وجماعة، تُوفيتْ في صفر عن ثلاث وتسعين سنة، لها مشيخةٌ في عشرة أجزاء[١]

عائشة بنت معمر

عائشة بنت معمر بن الفاخر، أم حبيبة، الأصبهانية، حضرت فاطمة الجوزدانية، وسمعت من زاهر، وجماعة، قال ابن نقطة: سمعنا منها مسند أبي يعلى بسماعها من سعيد الصيرفي، تُوفيتْ في ربيعِ الآخر[٢]

ياسمين بنت سالم

ياسمين بنت سالم بن علي بن البيطار، أمُّ عبد الله الحريمية، روت عن هبة الله بنت الشبلي القصَّار، وتُوفيتْ يوم عاشوراء[٣].

كريمة بنت عبد الوهاب

كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الخضر، مسندة الشام، أمُّ الفضلي، القرشية، الزبيرية، وتُعرف ببنت الحبقبق، روت عن حسَّان الزيات وخلقًا،

(١) المرجع السابق (٥/ ٢٣٨) حوادث سنة ٦٤٧هـ.
(٢) المرجع السابق (٥/ ٢٥) حوادث سنة ٦٠٧هـ.
(٣) انظر: «شذرات الذهب» (٥/ ١٦٩) حوادث سنة ٦٣٤هـ.

وأجاز لها أبو الوقت، وابن الباغيان، ومسعود الثقفي، وخلق، وروت شيئًا كثيرًا، تُوفيتْ في جمادى الآخر ببستانها بالميطور[(١)] .

فاطمة ابنة الملك المحسن

فاطمة ابنة الملك المحسن أحمد بن السلطان صلاح الدين، وُلدتْ سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وسمعت مِن حنبل، وابن طبرزد[(٢)] .

فاطمة بنت الحافظ عماد الدين

فاطمة بنت الحافظ عماد الدين علي بن القسم بن مؤرخ الشام أبي القسم بن عساكر، وُلدت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وسمعت من ابن طبرزد، وجماعة، وأجاز لها الصيدلاني، وتُوفيتْ في شعبان[(٣)] .

سعيدة بنت عبد الملك

سعيدة بنت عبد الملك بن يوسف بن محمد بن قدامة: روت بالإجازة عن العثماني[(٤)] .

(١) المرجع السابق (٥/ ٢١٢) حوادث سنة ٦٤١هـ.
(٢) المرجع السابق (٥/ ٣٦٢) حوادث سنة ٦٧٨هـ.
(٣) المرجع السابق (٥/ ٣٨٣) حوادث سنة ٦٨٣هـ.
(٤) «شذرات الذهب» (٥/ ٢٠٨) حوادث سنة ٦٤٠هـ.

عائشة بنت محمد

عائشة بنت محمد بن علي بن الليل البغدادي الواعظة، أجاز لها أبو الحسن بن غبرة، والشيخ عبد القادر، وكانت صالحةً، تعظ النساء، تُوفيتْ في جمادى الأولى[١].

عائشة بنت المجد عيسى بن الشيخ

عائشة ابنة المجد عيسى بن الشيخ الموفق المقدسي، مباركة، صالحة، عابدة، قال الذهبي: روت لنا عن جدِّها، وابن راجع، وعاشت ستًّا وثمانين سنة[٢].

شامية بنت الحافظ

شامية أمة الحق بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد البكري، روت عن جدِّ أبيها، وجدِّها، وحنبل، وابن طبرزد، وتفرَّدت بعدة أجزاء، وتُوفيتْ بشيزر عند أقاربها، في أواخر رمضان عن سبعٍ وثمانين سنة[٣].

صفية بنت عبد الرحمن

صفية بنت عبد الرحمن بن عمرو القرَّاء المبادئ، أمُّ محمد، روت في الخامسة عن الشيخ الموفق، وعدمت في الجبل، قاله في العبر[٤].

---

(١) المرجع السابق (٥/ ٢١١) حوادث سنة ٦٤١هـ.
(٢) المرجع السابق (٥/ ٤٣٨) حوادث سنة ٦٩٧هـ.
(٣) المرجع السابق (٥/ ٣٩١) حوادث سنة ٦٨٥هـ.
(٤) انظر: «شذرات الذهب» (٥/ ٤٤٩) حوادث سنة ٩٩٩ هـ.

صفية بنت الواسطي

صفية بنت الواسطي أخت الشيخ إبراهيم المذكور أول هذه السنة، روت عن الموفق، وابن راجع، وتُوفيتْ في ذي الحجة عن نيِّف وثمانين سنة[١].

زهرة بنت محمد

زهرة بنت محمد بن أحمد بن حاضر، شيخة، صالحة، صوفية، روت عن ابن البطر، ويحيى بن ثابت، وتُوفيتْ في جمادى الأولى عن تسعٍ وسبعين سنة[٢].

زينب بنت إبراهيم

زينب بنت إبراهيم القيسي، زوجة الخطيب ضياء الدين الدولعي، أمُّ الفضل، سمعت من نصر الله المصيصي، وأجاز لها أبو عبد الله الفراوي، وخلق، تُوفيتْ في ربيع الأول[٣].

زبيدة زوجة هارون الرشيد وابنة عمه[٤]

كانت عالمة، فقيهة، وذكر ابن خلكان أنه كان لها مائة جارية كلُّهن يحفظن القرآن العظيم، وكان يُسْمَعُ لهن في القصر دويٌّ كدويِّ النحل، وكان وِرد كل واحدة عُشر القرآن.

---

(١) المرجع السابق (٥/ ٤٢١) حوادث سنة ٦٩٢هـ.

(٢) المرجع السابق (٥/ ١٥٩) حوادث سنة ٦٣٣هـ.

(٣) المرجع السابق (٥/ ٤٢) حوادث سنة ٦١٠هـ.

(٤) انظر: «البداية والنهاية» (١٠/ ٧١).

وقاية

امرأة عالمة، فاضلة، كانت بإحدى مدن ليبيا، وكان ليجيء إليها أفاضل العلماء، ويقولون: تَعَالَوْا بنا نستشير وقاية، فعصابتها خَيْرٌ من عمائمنا[١].

فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي[٢]

المسندة، المحدثة، الدمشقية، الصالحة، سمعت صحيح البخاري من ابن الزبيدي مرَّات، وسمعت صحيح مسلم من ابن الحصيري، وأخذ عنها العلامة السبكي، والعلامة المحقق ابن قيم الجوزية.

ستُّ العرب بنت محمد بن الفخر علي بن أحمد، البخاري[٣]

الشيخة، الصالحة، الحنبلية، المسْنِدَة، المكثرة، حضرت على جدِّها كثيرًا، وعلى عبد الرحمن بن الزين، وغيرهما، وحَدَّثت، وانتشرت عنها حديث كثير، وسمع منها الحافظان العراقي، والهيثمي.

---

(١) «حقائق ثابتة فى الإسلام» - (ص/٧٨) لابن الخطيب، و«عودة الحجاب» (٢/ ٥٩٦).

(٢) «شذرات الذهب» (٦/ ٢٨)، و«الأعلام» (٥/ ١٢٩)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٨)، و«طبقات المفسرين» (٢/ ٩).

(٣) انظر: «شذرات الذهب» (٦/ ٢٠٨).

عائشة بنت محمد

عائشة بنت محمد بن عبد الهادي، محدثة دمشق، وُلدت سنة ٧٢٣هـ، وحضرت في أوائل الرابعة من عمرها جميع صحيح البخاري على مُسْند الآفاق الحجار، وروت عن خلق، وروى عنها الحافظ ابن حجر، وقرأ عليها كُتُبًا عديدة، وكانت في آخر عمرها أسند أهل زمانها، مكثرة سماعًا، وشيوخًا[١].

خاتون السفرية[٢]

حظيَّة السلطان ملكشاه، وهي أمُّ السلطانين محمد وسنجر، كانت كثيرة الصدقة، والإحسان إلى الناس، لها في كل سنة سبيل يخرج مع الحجاج، وفيها دين وخير، أسلمت أمها على يديها، جزاها الله خَيْرًا، وقد تفرَّدت بولادة ملكة من ملوك المسلمين في دولة الأتراك والعجم، ولا يُعرف لها نظير في ذلك، إلا اليسير من ذلك، وهي ولادة بنت العباس.

فاطمة بنت الإمام الحافظ البرزالي

كتبت البخاري في ثلاثة عشر مجلدًا، فقبله لها أبوها الإمام، وكان يقرأ فيه على الحافظ المزِّي تحت القبة، حتى صارت نسختها أصلًا معتمدًا يكتب منه الناس[٣] وكتبت ربعة شريفة، وأحكام مجد الدين ابن تيمية[٤].

---

(١) المرجع السابق (٦/ ٧٠).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١٢/ ١٦٢) حوادث سنة ٥١٥هـ.

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (١٤/ ١٨٥)

(٤) انظر: «شذرات الذهب» (٦/ ٩٧).

ستُّ الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا[(١)]

الشيخة الصالحة، راوية صحيح البخاري وغيره.

ربيعة خاتون بنت أيوب

أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي، الملقبة بستِّ الشام، واقفة المدرستين، البرانية، والجوانية، الستُّ الجليلة «خاتون»، أخت الملوك، وعمَّة أولادهم، وأمُّ الملوك، كان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون مَلِكًا، وكانت «ست الشام» من أكثر النساء صدقة وإحسانًا إلى الفقراء والمحاويج، وكانت تعمل في كلٍّ سنة في دارها بألوف من الذهب أشربة، وأدوية، وعقاقير، وغير ذلك، وتفرقه على الناس، ولها تعليق على سنن أبي داود[(٢)]

كريمة المروزية

كريمة بنت أحمد بن محمد بن أبي حاتم المروزية[(٣)]، كانت عالمة، صالحة، سمعت صحيح البخاري على الكشميهني، وقرأ عليها الأئمة كالخطيب، وأبي المظفر السمعاني، وغيرهما.

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٧٩).

(٢) «البداية والنهاية» (١٣/ ٨٤-٨٥)، و«تتمة أضواء البيان» (٩/ ٣٦٠).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (١٢/ ٩٠) حوادث سنة ٤٦٣هـ.

فاطمة بنت الحسين بن الحسن

فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلوية[1]، سمعت الخطيب، وابن المسلمة، وغيرهما، وكانت واعظة، لها رباط تجتمع فيه الزاهدات، وقد سمع عليها ابن الجوزي مسند الشافعي وغيره.

عائشة بنت محمد

عائشة بنت محمد بن عبد الهادي[2]، محدثة دمشق، وُلِدَتْ سنة ٧٢٣هـ، وحضرت في أوائل الرابعة من عمرها جميع صحيح البخاري علي مسند الآفاق الحجار، وروت عن خلق، وروى عنها الحافظ ابن حجر، وقرأ عليها كُتُبًا عديدة، كانت في آخر عمرها أسنَّ أهل زمانها مكثرة سماعًا، وشيوخًا.

تجني[3]

بنت عبد الله، أم عتب الوهبانية، عتيقة أبي المكارم بن وهبان.

هي آخر من سمع طراد الزينبي، وأبي عبد الله بن طلحة النعالي موتًا ببغداد.

حدث عنها السمعاني، وابن عساكر، والشيخ الموفق، والناصح ابن الحنبلي، والبهاء عبد الرحمن، وأبو الفتوح بن الحصري، وهبة الله بن الحسن الدوامي، ومحمد بن عبد الكريم السيدي، وفخر النساء بنت الوزير محمد بن رئيس الرؤساء، وإبراهيم بن الخير، ويحيى بن قميرة، وآخرون.

قال ابن الدبيثي: أجازت لنا، وتُوفيتْ في شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

---

(١) المرجع السابق (١٢/ ١٦٩).
(٢) انظر: «شذرات الذهب».
(٣) «السير» (٢٠/ ٥٥٠-٥٥١) برقم (٣٥١) «تحقيق الأرناؤوط».

خديجة[١]

بنت أحمد بن الحسن بن عبد الكريم، فخر النساء، بنت النهرواني، امرأة صالحة، معمرة.

روت عن ابن طلحة النعالي.

حدث عنها ابن أخيها علي بن روح، والشيخ الموفق، ونصر بن عبد الرزاق، والشيخ العماد المقدسي، وآخرون.

تُوفيتْ في رمضان سنة سبعين وخمسمائة.

وآخر من تبقَّى من أصحابها بالسماع المقرئ إبراهيم بن الخير.

وفيها مات أحمد بن المبارك بن سعد المرقعاني، وقاضي القضاة أبو طالب زوج ابنة أحمد الحديثي، وعبد الله بن عبد الصمد السلمي والد أحمد العطار، وأبو بكر محمد بن علي بن محمد الطوسي، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن خليل القيسي اللبلي.

---

(١) المرجع السابق (٢٠/ ٥٥١-٥٥٢) برقم (٣٥٢).

أمُّ الخير الحجازية(١)

تصدَّرت حلقات وعظ وإرشاد المسلمات بجامع عمرو بن العاص رحمه الله في القرن الرابع الهجري.

«وجاء في مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون: «أن القاضي الورع عيسى بن مسكين كان يقرئ بناته وحفيداته.. قال عياض: فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه، وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية «أسد بن الفرات» بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة.

وروى الخُشني أن مؤدبًا كان بقصر الأمير محمد بن الأغلب، وكان يعلم الأطفال بالنهار، والبنات في الليل ».

قال الإمام ابن الحاج رحمه الله تعالى: «وقد كان في زماننا هذا سيدي أبو محمد رحمه الله تعالى: قرأت عليه زوجته الختمة وحفظتها، وكذلك رسالة الشيخ أبي محمد بن أبي زيد رحمه الله، ونصف الموطأ للإمام مالك رحمه الله تعالى، وكذلك ابنتاها قريبان منها، فإذا كان هذا في زماننا فما بالك بزمان السلف رضوان الله عليهم أجمعين؟ والعالم أولى من يحمل أهله، ومن يلوذ به على طلب المراتب العلية؛ فيجتهد في ذلك جهده، فإنهم آكد رعيته، وأوجبهم عليه وأولادهم به».

---

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٥٨٧).

سُتَيْتَةِ بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المَحَامِلي[1]

«العالمة، الفقيهة، المفتية، تفقَّهت علي أبيها، وروت عنه، وحفظت القرآن، والفقه، والفرائض، والحساب، والدَّور، والعربية، وغير ذلك، وكانت من أحفظ الناس للفقه، ومن أعلم الناس في وقتها بمذهب الشافعي، وكانت تفتي به مع الشيخ أبي علي بن أبي هريرة، وكانت فاضلة في نفسها، كثيرة الصدقة، مسارعة إلى فعل الخيرات، وقد سمعت الحديث أيضًا، وهي والدة القاضي محمد بن أحمد بن القاسم المحاملي».

فاطمة بنت السمرقندي[2]

«وكان لعلاء الدين السمرقندي «صاحب تحفة الفقهاء» ابنته «فاطمة» الفقيهة العلامة، حفظت «التحفة» لأبيها، وطلبها جماعة من ملوك الروم، فلما صنف أبو بكر الكاساني الملقب «ملك العلماء» كتابه «البدائع» وهو شرح التحفة، عرضه على شيخه وهو أبوها، فازداد به فرحًا، وزوَّجه ابنته، وجعل مهرها منه ذلك، فقالوا في عصره: «شرح تحفته، وتزوج ابنته»، قال صاحب «الفوائد البهية ص ١٥٨» في ترجمة السمرقندي: «محمد بن أحمد بن أبي أحمد أبو بكر علاء الدين السمرقندي صاحب «تحفة الفقهاء» أستاذ صاحب «البدائع»، شيخ كبير، فاضل، جليل القدر، تفقَّه على أبي المعين ميمون المكحولي، وعلى صدر الإسلام أبي اليسر البزدوي، وكانت ابنته فاطمة الفقيهة العلامة زوجة علاء الدين أبي بكر صاحب «البدائع» وكانت تفقَّهت على أبيها، وحفظت تحفته،

---

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ٣٠٦) و«السير» (١٥/ ٢٦٤)، و«المرجع السابق» (٢/ ٥٨٩).

(٢) انظر: «عودة الحجاب» (٢/ ٥٨٧-٥٨٨).

وكان زوجها يخطئ فترده إلى الصواب، وكانت الفتوى تأتي فتخرج، وعليها خطُّها، وخطُّ أبيها، فلما تزوجت بصاحب «البدائع» كانت تخرِّج وعليها خطُّها، وخطُّ أبيها، وخطُّ زوجها»[1] اهـ.

وكانت فقيهة، عالمة بالفقه، والحديث، أخذت العلم عن جملة من الفقهاء، وأخذ عنها كثيرون، وكان لها حلقة للتدريس، وقد أجازها جملة من كبار القوم، وكانت من الزهد والورع على جانب عظيم، وألفت المؤلفات العديدة في الفقه والحديث، وانتشرت مؤلفاتها بين العلماء الأفاضل.

وكانت معاصرة للملك العادل «نور الدين الشهيد» وطالما استشارها في بعض أموره الداخلية، وأخذ عنها بعض المسائل الفقهية، وكان دائمًا ينعم عليها ويعضد مسعاها[2].

نفيسة[3]

وتُسمَّى فاطمة بنت محمد بن علي البزازة البغدادية أخت أبي الفرج بن البزازة.

سمعت من طراد الزينبي، وابن طلحة النعالي.

وعنها الحافظ عبد الغني، والشيخ الموفق، وأبو إسحاق الكاشغري، وعدة، ومن القدماء أبو سعد السمعاني وأجازت لابن مسلمة.

تُوفيتْ في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

---

(١) المرجع السابق نَقْلاً من «من أخلاق العلماء» (ص١٢٥)، وجولة في رياض العلماء د/عمر الأشقر (ص١٥٥).

(٢) المرجع السابق نَقْلاً من «الدُّرّ المنثور في طبقات ربات الخدور» (ص/٣٦٧).

(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢٠/٤٨٩)، و«شذرات الذهب» (٤/ ٢١٠).

مولاة لأبي أمامة، شامية(١)

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثتني مولاة أبي أمامة قالت: كان أبو أمامة يحب الصدقة، ويجمع لها، ولا يردُّ سائلًا ولو ببيضة، ولو بتمرة، أو بشيء مما يؤكل، فأتاه سائل ذات يوم، وقد أفقر من ذلك كلِّه، وما عنده إلا ثلاثة دنانير. فسأله فأعطاه دينارًا، «ثم أتاه سائل فأعطاه دينارًا، ثم أتاه سائل فأعطاه دينارًا» قالت: فغضبت، وقلت: لم تترك لنا شيئًا، قالت: فوضع رأسه للقائلة، قالت: فلمَّا نودي للظهر أيقظته فتوضَّأ، ثم راح إلى مسجده، قالت: فرفقت عليه، وكان صائمًا، فافترضت مما جعلت له عشاء، وسرجت له سراجًا، وجئت إلى فراشه لأمهِّد له، فإذا بذهبٍ فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار، قالت: قلت: ما صنع الذي صنع إلا ولقد وثق بما خلف، فأقبل بعد العشاء فلما رأى المائدة، والسراج تبسَّم، وقال: هذا خير من غيره، قالت: فقمت على رأسه حتى تعشَّى، فقلت: رحمك الله خلفت شيئًا، قالت: فرفعت الفراش فلمَّا أن رآه خرج واشتدَّ تعجبُه، قالت: فقمتُ، فقطعتُ زناري، وأسلمت، قال ابن جابر: فأدركتها في مسجد حمص، وهي تعلِّم النساء القرآن، والسنن، والفرائض، وتُفقههن في الدين.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٤٤٤) برقم (٨٢٩).

المرأةُ عابدةٌ

وآن لنا أن ننتقل من سيرة النساء العالمات إلي سيرة النساء العابدات، فإنَّ التاريخ الإسلامي زاخرٌ ومليء بهذه النماذج الطاهرة التي سُطِّرَت بمداد من النور في أنصع صفحاته، وإليكم بعضها علي سبيل المثال لا علي سبيل الحصر...

عائشة وأسماء

عن عبد الله بن الزبير، قال: «ما رأيتُ امرأتين قطُّ أجود من عائشة وأسماء، وجودهما مختلف: أمَّا عائشة فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمت، وأمَّا أسماء فكانت لا تمسك شيئًا لغد»[(١)].

قال القاسم: كانت عائشة تصوم الدهر[(٢)].

وعن عروة: أنَّ عائشة كانت تسرد الصوم. وعن القاسم أنها «كانت تصوم الدهر، لا تفطر إلا يوم الأضحى أو يوم الفطر»[(٣)].

وعنه قال: كنتُ إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة، فأُسَلِّمُ عليها، فغدوتُ يومًا، فإذا هي قائمة تُسَبِّحُ، وتقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾

(١) «أحكام النساء» لابن الجوزي (ص/ ١٢٥).
(٢) ابن سعد (٨/ ٤٧).
(٣) «السِّمط السمية» (ص/ ٩٠).

[الطور: ٢٧] تدعو، وتبكي، وترددها، فقمتُ حتى مللت القيام، فذهبتُ إلي السوق لحاجتي، ثم رجعت، فإذا هي قائمة كما هي تصلي وتبكي»(١).

وعن عروة، قال: «كانت عائشة لا تمسك شيئًا مما جاءها من رزق الله تعالي إلا تصدَّقتْ به»(٢).

وقال عروة: «بعث معاوية مرة إلي عائشة بمائة ألف درهم، فقسَّمتها، لم تترك منها شيئًا». فقالت بَريرة: «أنت صائمة، فهلَّا ابتعتِ لنا منها بدرهم لحمًا؟» قالت: «لو ذكرتيني لفعلت».

وعنه أيضًا قال: «وإنَّ عائشة تصدقت بسبعين ألف درهم، وإنها لترقع جانب درعها» رضي الله تعالي عنها(٣).

عن محمد بن المنكدر، عن أم ذَرة -وكانت تغشى عائشة- قالت: بعثَ إليها ابن الزبير بمال في غرارتين، قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، فدعَتْ بطبق، وهي صائمة يومئذ، فجلست تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: «يا جاريةُ هلمي فَطُوري» فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أم ذَرَّة: «أما استطعت مما قسمتِ اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحمًا نفطر عليه؟» فقالت: «لا تُعَنِّفيني لو كنت ذكرتِني لفعلتُ»(٤).

---

(١) المرجع السابق.
(٢) السابق (ص٨٨).
(٣) ابن سعد (٨/ ٤٥).
(٤) ابن سعد (٨/ ٤٦)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٤٧).

معاذةُ بنت عبد الله العدوية[١]

قال محمد بن فضيل: حدَّثنا أبي قال: كانت معاذة العدوية إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموتُ فيه، فما تنام حتى تمسي، وإذا جاء الليل قالت: هذه ليلتي التي أموتُ فيها، فلا تنام حتى تصبح، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم.

وقال الحكم بن سنان الباهلي: حدَّثتني امرأة كانت تخدم معاذة العدوية، قالت: كانت تُحيي الليل صلاةً، فإذا غلبها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول: يانفس، النوم أمامك لو قدمت لطالت رقدتك في القبر علي حسرة أو سرور، قالت: فهي كذلك حتى تصبح.

وقال عبد الرحمن، عن عمرو الباهلي: وحدَّثتنا دلالة ابنة أبي المدل، قالت: حدَّثتني آسية بنت عمرو العدوية، قالت: كانت معاذة العدوية تصلي في كل يوم وليلة ستمائة ركعة وتقرأ جزأها من الليل تقوم به، وكانت تقول: عجبتُ لعينٍ تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظُلَم القبور.

وقال الحسن بن علي بن مسلم الباهلي: سمعتُ أبا السوار العدوى يقول: بنو عدى أشدُّ أهل هذه البلدة اجتهادًا؛ هذا أبو الصهباء لا ينام ليله ولا يفطر نهاره، وهذه امرأته معاذة ابنة عبد الله لم ترفع رأسها إلي السماء أربعين عامًا.

عن زهير السلولي، عن رجل من بنى عدي، عن امرأة منهم أرضعتها معاذة ابنة عبد الله، قالت: قالت لي معاذة: يا بنية، كوني من لقاء الله عزَّ وجلَّ علي حذرٍ ورجاءٍ، وإني رأيتُ الراجي له محقوقًا بحسن الزلفي لديه يوم يلقاه،

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٤٣-٤٤) برقم (٥٨٤).

ورأيتُ الخائف له مؤملًا للأمان يوم يقوم الناس لربِّ العالمين. ثم بكتْ حتى غلبها البكاءُ.

وقال حَمَّاد بن سَلَمة: أنبأ ثابت البُناني أنَّ أصلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابن له، فقال: أي بني، تقدَّم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل ثم تقدَّم فقتل فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية، فقالت: مرحبًا إن كنتنَّ جئتن لتهنئني فمرحبًا بكنَّ، وإن كنتن جئتن بغير ذلك فارجعن.

وقال سلمة بن حسان العدوي: أنبأ الحسن أن معاذة لم توسد فراشًا بعد أبي الصهباء حتى ماتت.

وقال عمران بن خالد: حدَّثتني أمُّ الأسود بنت زيد العدوية -وكانت معاذة قد أرضعتها- قالت: قالت لي معاذة لما قُتل أبو الصهباء وقُتل ولدها: واللهِ يا بنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش، ولا لروح نسيم، ولكن واللهِ أحبُّ البقاء لأتقرب إلى ربي عزَّ وجلَّ بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة.

وقال روح بن سلمة الوراق: سمعتُ عفيرة العابدة تقول: بلغني أنَّ معاذة العدوية لما احتضرها الموت بكتْ ثم ضحكت، فقيل لها: مِمَّ بكيت ثم ضحكت؟ فمِمَّ البكاء ومِمَّ الضحك؟ قالت: أمَّا البكاءُ الذي رأيتم فإني ذكرت مفارقة الصيام، والصلاة، والذكر فكان البكاء لذلك، وأمَّا الذي رأيتم من تَبَسُّمي وضحكي فإنِّي نظرتُ إلى أبي الصهباء قد أقبل في صحن الدار، وعليه حُلتان خضراوان وهو في نفرٍ -واللهِ- ما رأيتُ لهم في الدنيا سبهًا، فضحكتُ إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضًا. قال: فماتتْ قبل أن يدخل وقت الصلاة.

أدركتْ معاذةُ عائشةَ وروتْ عنها، وروى عن معاذة الحسن البصري وأبو قلابة، ويزيد الرشك.

كريمة بنت سيرين[١] أختُ حَفْصَة

عن مهدي بن ميمون، قال: مكثتْ كريمة بنت سيرين أختُ حفصة بنت سيرين خمس عشرة سنة ما تخرج من مُصَلَّاها إلا لقضاء حاجة.

رابعة بنت إسماعيل العدوية[٢]

«ومن هؤلاء الناسكات رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، وكانت مضربَ المثل في تَدَلُّه القلب واحتراق الكبد؛ حُبًّا لله وإيثارًا لرضاه، وكانت علي تواصل صيامها وقيامها، وتتابع زفراتها وتدفق عبراتها، تستقل كل ذلك في جنب الله. قال يومًا شيخ الزهاد سفيان الثوري وهو عندها: «واحزناه!» فقالت: «لا تكذب! بل قل: وا قلة حزناه، ولو كنت محزونًا لم يتهيأ لك أن تتنفس».

ومن حديث خادمتها عبدة بنت أبي شوال -وكانت أشبه الناس بها في نسكها وعبادتها-: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعتْ في صلاتها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنتُ أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك، وهي فزعة: «يا نفس كم تنامين؟! يوشك أن تنامي نومةً لا تقومين منها إلا بصرخة يوم النُّشُور».

قالت عبدة: وكان هذا دأبها أمد دهرها حتى ماتت، ولما حضرتها الوفاة دعتنى، وقالت: «يا عبدة! لا تؤذني بموتى أحدًا، وكفنيني في جُبَّتي هذه». وهي جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٢٤٦) برقم (٥٨٦).

(٢) «عودة الحجاب» (٢/ ٦٢٤-٦٢٦).

ومن قولها: «ما ظهر من أعمالي فلا أعده شيئًا». ومن وصاياها: «اكتموا حسناتكم، كما تكتمون سيئاتكم»(١).

عن أزهر بن مروان قال: دخل علي رابعة رياح القيسي، وصالح بن عبد الجليل، وكلاب فتذاكروا الدنيا، فأقبلوا يذمونها، فقالت رابعة: «إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم» قالوا: «ومن أين توهمت علينا؟». قالت: «إنكم نظرتم إلي أقرب الأشياء من قلوبكم، فتكلمتم فيه»(٢).

قال خالد بن خداش: سَمِعَتْ رابعة صالحًا المُرّي يذكر الدنيا في قصصه، فنادته: «يا صالح، مَن أَحَبَّ شيئًا أكثرَ مِن ذِكْرِه».

وقال محمد بن الحسين البُرْجُلاني: حدَّثنا بشر بن صالح العَتَكي، قال: استأذن ناسٌ علي رابعة، ومعهم سفيان الثوري، فتذاكروا عندها ساعة، وذكروا شيئًا من الدنيا، فلما قاموا، قالت لخادمتها: «إذا جاء هذا الشيخ وأصحابه، فلا تأذني لهم؛ فإني رأيتهم يحبون الدنيا».

وعن أبي يسار مِسْمَع، قال: «أتيتُ رابعة، فقالت: جئتني وأنا أطبخ أرزًا، فآثرتُ حديثك علي طبيخ الأرز، فرجعتُ إلي القدر، وقد طُبخَتْ».

وعن حماد، قال: دخلتُ أنا وسلام بن أبي مطيع علي رابعة، فأخذ سلام في ذكر الدنيا، فقالت: «إنما يُذكر شيء هو شيء، أمَّا شيء ليس بشيء فلا»(٣).

وقال أبو سعيد بن الأعرابي: أمَّا رابعة، فقد حَمَل الناس عنها حِكمًا كثيرة، وحكي عنها سفيان وشُعْبة وغيرهما ما يَدُل علي بطلان ما قيل عنها، وقد تمثلته بهذا:

---

(١) «المرأة العربية» (٣/ ٩٦-٩٧).

(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ٢٩).

(٣) «السير» (٨/ ٢٤١-٢٤٢).

ولقد جعلتُك في الفؤادِ مُحَدِّثي وَأَبَحْتُ جسمي مَن أَرادَ جُلوسي

فنسبها بعضهم إلي الحلول بنصف البيت، وإلي الإباحة بتمامه.

قلتُ -أي الحافظ الذهبي-: فهذا غُلُوٌّ وجهل، ولعل مَنْ نسبها إلي ذلك مُباحِيٌّ حلولي ليحتج بها علي كفره، كاحتجاجهم بخبر: «كنت سمعه الذي يسمع به»(١).

قال ابنُ كثير: «وقد ذكروا لها أحوالًا وأعمالًا صالحة، وصيام نهارٍ، وقيام ليل، ورأيتُ لها منامات صالحة، فالله أعلم». وقال أيضًا: «وأثنى عليها أكثر الناس، وتكلَّم فيها أبو داود السجستاني، واتهمها بالزندقة، فلعله بلغه عنها أمر»(٢).

---

(١) المرجع السابق (٨/ ٢٤٢-٢٤٣).

(٢) «البداية والنهاية» (١٠/ ١٨٦-١٨٧).

رابعة العدوية(١)

قال عبد الله بن عيسى: دخلتُ علي رابعة العدوية بيتها فرأيتُ علي وجهها النور، وكانت كثيرة البكاء فقرأ رجل عندها آية من القرآن فيها ذِكر النار، فصاحت ثم سقطت.

ودخلتُ عليها وهي جالسة علي قطعة بوري خلق، فتكلَّم رجل عندها بشيء فجعلتُ أسمع وقع دموعها علي البوري مثل الوكف، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا.

وعن مسمع بن عاصم و رياح القيسي، قالا: شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين دينارًا، فقال لها: تستعينين بها علي بعض حوائجك. فبكتْ ثم رفعت رأسها إلي السماء فقالت: هو يعلمُ أنى أستحيي منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها؟!

وقال محمد بن عمرو: دخلتُ على رابعة -وكانت عجوزًا كبيرة بنت ثمانين سنة كأنها الشن تكاد تسقط- ورأيت في بيتها كراخة بواري ومشجب قصب فارسي طوله من الأرض قدر ذراعين، وستر البيت جلد وربما كان بوريًا، وحب وكوز ولبد هو فراشها وهو مُصَلاها، وكان لها مشجب من قصب عليه أكفانها، وكانت إذا ذكرت الموت انتفضت وأصابتها رعدة، وإذا مرَّت بقوم عرفوا فيها العبادة.

وقال لها رجل: ادعي. فالتحقت بالحائط، وقالت: مَن أنا يرحمك الله؟ أطع ربَّكَ وادعه؛ فإنه يجيب المضطرين.

---

(١) المرجع السابق (٢/٢٤٧-٢٤٩) برقم (٥٨٨).

وقال سجف بن منظور: دخلتُ علي رابعة وهي ساجدة، فلمَّا أحسَّت بمكانى رفعت رأسها؛ فإذا موضع سجودها كهيئة الماء المستنقع من دموعها، فسلَّمت فأقبلت عليَّ فقالت: يا بُنيَّ، ألك حاجة؟ فقلتُ: جئتُ لأسلم عليك. قال: فبكتْ، وقالت: سترك اللهم سترك. ودعتْ بدعوات ثم قامت إلي الصلاة وانصرفت.

وقال العباس بن الوليد: قالت رابعة: أستغفر الله من قلة صدقي في قولي، أستغفر الله.

وقال أزهر بن مروان: دخل على رابعة رياح القيسي، وصالح بن عبد الجليل، وكلاب، فتذاكروا الدنيا، فأقبلوا يذمونها، فقالت رابعة: إني لأرى الدنيا بترابيعها في قلوبكم. قالوا: ومِن أين توهمت علينا؟ قالت: إنكم نظرتم إلي أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلمتم فيه.

وقال أبو جعفر المديني، عن شيخ من قريش: قيل لرابعة: هل عملتِ عملًا ترين أنه يقبل منك؟ قالت: إنْ كان فمخافتي أن يُردَّ عليَّ.

وقال جعفر بن سليمان: أخذ بيدي سفيانُ الثوري وقال: مُرَّ بنا إلي المؤدبة التي لا أجد مَن أستريح إليه إذا فارقتها. فلمَّا دخلنا عليها رفع سفيانُ يده وقال: اللهم إني أسألك السلامة. فبكت رابعة، فقال لها: ما يبكيكِ؟ قالت: أنت عرَّضتني للبكاء. فقال: وكيف؟ قالت: أَمَا علمتَ أنَّ السلامة من الدنيا تركُ ما فيها، فكيف وأنت مُتَلَطِّخٌ بها؟

وقال الثوري -بين يدي رابعة-: واحزناه. فقالت: لا تكذب، قل: وا قلة حزناه، لو كنتَ محزونًا ما هناك العيش.

وقال جعفر بن سليمان: سمعتُ رابعة تقول لسفيان: إنما أنت أيامٌ معدودة،

فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضُك، ويوشك إذا ذهب البعضُ أن يذهب الكلُّ وأنت تعلم، فاعمل.

وقال عيسى بن مرحوم العطار: حدَّثتني عبدة بنت أبي شوال -وكانت من خيار إماء الله، وكانت تخدم رابعة- قالت: كانت رابعة تُصلي الليل كلَّه، فإذا طلع الفجر هجعتْ في مُصَلَّاها هجعةً خفيفةً حتى يُسْفر الفجر، فكنتُ أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلي كم تقومين؟ يوشك أن تنامي نومةً لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

قالت: فكان هذا دأبها دهرها حتى ماتت، فلما حضرتها الوفاة دعتني فقالت: يا عبدة، لا تؤذني بموتى أحدًا، وكفنيني في جُبَّتي هذه. جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون.

قالت: فكفناها في تلك الجبة وخمار صوف كانت تلبسه.

قالت عبدة: رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة من إستبرق خضراء وخمار من سندس أخضر لم أر شيئًا قطُّ أحسن منه، فقلت: يا رابعة، ما فعلت الجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: إنه واللهِ نزع عني وأُبدلت به هذا الذي ترينه عليَّ، وطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.

قالت: فقلت لها: لهذا كنتِ تعملين أيام الدنيا؟ فقالت: وما هذا إلا من كرامة الله عزَّ وجلَّ لأوليائه، قالت: فقلتُ: فما فعلت عبدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات، سبقتنا واللهِ إلي الدرجات العُلي. قالت: قلت: وبِمَ وقد كنتِ عند الناس؟ أي أكثر منها. قالت: إنها لم تكن تُبالي علي أيِّ حالة أصبحت من الدنيا وأمست. قالت: فقلتُ: فما فعل أبو مالك؟ تعني ضيغما،

قالت: يزور الله متى يشاء. قالت: قلتُ: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخٍ بخٍ؟ أُعطي واللهِ فوق ما كان يأمل.

قالت: قلتُ: فمريني بأمر أتقرب به إلي الله عزَّ وجلَّ. قالت: عليك بكثرة ذِكْرِه، أوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك.

قلتُ: اقتصرتُ هاهنا علي هذا القدر من أخبار رابعة؛ لأني قد أفردتُ لها كتابًا جمعتُ فيه كلمها وأخبارها.

منيبة البصرية وابنتها(١)

أبو عياش القطان، قال: كانت امرأة بالبصرة متعبدة يقال لها منيبة، وكانت لها ابنة أشد عبادة منها، فكان الحسن ربما رآها وتعجَّب من عبادتها علي حداثتها.

فبينما الحسن ذات يوم جالس إذ أتاه آتٍ فقال: أَمَا علمت أن الجارية قد نزل بها الموت، فوثب الحسن فدخل عليها، فلما نظرت الجارية إليه بكتْ، فقال لها: يا حبيبتي، ما يبكيكِ؟ قالت له: يا أبا سعيد، التراب يحثى علي شبابي، ولم أشبع من طاعة ربي، يا أبا سعيد انظر إلي والدتي وهي تقول لوالدي: احفر لابنتي قبرًا واسعًا وكفنها بكفن حسن، واللهِ لو كنت أجهز إلي مكة لطال بكائي، كيف وأنا أجهز إلي ظلمة القبور ووحشتها وهو بيت الظلمة والدود؟

---

(١) المرجع السابق (٢/٢٤٦) برقم (٥٨٧).

عجردة العمية[(١)]

قال رجاء بن مسلم العبدي: كنا نكون عند عجردة العمية في الدار، قال: فكانت تحيي الليل صلاةً، وربما قال: تقوم من أول الليل إلي السَّحَر، فإذا كان السحر نادتْ بصوتٍ لها مخزون: إليكَ قطع العابدون رجي الليالي بتبكير الدلج إلى ظلم الأسحار يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك، وأن ترفعني إليك في درجة المقربين، وأن تلحقني بعبادك الصالحين، فأنت أكرم الكرماء، وأرحم الرحماء، وأعظم العظماء، يا كريم، ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر، فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة.

عبد الرحمن بن عمرو الباهلي، قال: حدَّثتني دلال بنت أبي العدل قالت: حدَّثتني أُمِّي آمنة بنت يعلي بن سهيل، قالت: كانت عجردة العمية تغشانا فتظل عندنا اليوم واليومين، قالت: فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنعت ثم قامت إلي المحراب فلا تزال تصلي إلي السَّحَر، ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر.

قالت: فقلتُ لها -أو قال لها بعض أهل الدار-: لو نمتِ من الليل شيئًا. فبكتْ، وقالت: ذكر الموت لا يدعني أنام.

وقال جعفر بن سليمان: حدَّثني بعض نسائي، أُمِّي أو غيرها من أهلي، قالت: رأيتُ عجردة العمية في يوم عيد عليها جبة صوف، وقناع صوف، وكساء صوف، قالت: فنظرت فإذا هي جلد وعظم، قالت: وسمعتهم يذكرون عنها أنها لم تفطر ستين عامًا.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٢٤٩-٢٥٠) برقم (٥٨٩).

حبيبة العدوية[١]

عن عبد الله المكي أبي محمد، قال: كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت علي سطح فشدَّت عليها درعها وخمارها، فقالت: إلهي غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كلٌّ حبيبٍ بحبيبه وهذا مقامي بين يديك.

فإذا كان السَّحر قالت: اللهم وهذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري، هل قبلت مني ليلتي فأهنى أم رددتها علي فأُعزى؟ فوعزتك لهذا دأبي ودأبك أبدًا ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني ما برحت من بابك، ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك.

أُمُّ الأسود بنت زيد العدوية[٢]

أبو عبد الرحمن السلمي قال: كانت معاذة العدوية أرضعت أم الأسود، وقالت أُمُّ الأسود: قالت لي معاذة العدوية: لا تفسدي رضاعي بأكل الحرام، فإني جهدت جهدي حين أرضعتك حتى أكلت الحلال فاجتهدي أن لا تأكلي إلا حلالًا لعلك أن توفقي لخدمة سيدك والرضا بقضائه.

فكانت أمُّ الأسود تقول: ما أكلتُ شبهة إلا فاتتني فريضة أو وِرد من أوْرَادي.

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٥٠) برقم (٥٩٠).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٢٥٠-٢٥١) برقم (٥٩١).

مريم البصرية(١)

كانت تخدم رابعة العدوية، وكانت إذا سمعت علوم المحبة طاشت، فحضرت بعض المذكرين فتكلم في المحبة، فماتت في المجلس.

وعن عبد العزيز بن عمير قال: قامت مريم البصرية المتعبدة من أول الليل فقالت: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩] ثم لم تجزه حتى أصبحت.

وقالت مريم: ما اهتممت بالرزق، ولا تعبت في طلبه، منذ سمعتُ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذاريات: ٢٢](٢).

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٥١) برقم (٥٩٢).
(٢) سورة الذاريات (٢٢).

عفيرة العابدة(١)

قال روح بن سلمة الوراق لعفيرة العابدة: بلغني أنك لا تنامين بالليل. فبكتْ، ثم قالت: ربما اشتهيت أن أنام فلا أقدر عليه، وكيف ينام أو كيف يقدر علي النوم، من لا ينام عنه حافظاه ليلًا ولا نهارًا؟! قال: فأبكتني واللهِ، وقلتُ في نفسي: أراني في شيء وأراكِ في شيء.

يحيى بن بسطام قال: ودخلتُ مع نفرٍ من أصحابنا علي عفيرة، وكانت قد تعبَّدت وبكت حتى عميت، فقال بعض أصحابنا لرجل إلي جنبه: ما أشد العمى على مَن كان بصيرًا. فسمعتْ عفيرة فقالت له: يا عبد الله، عمى القلب -واللهِ- عن الله أشدُّ من عمى العين عن الدنيا، واللهِ وددتُ أن الله وَهَبَ لي كُنْه محبته وأنه لم تبق مني جارحة إلا أخذها.

وقال عبد الوهاب بن صالح: سمعتُ محمد بن عبيد يقول: دخلنا علي امرأة بالبصرة يقال لها عفيرة، فقيل لها: يا عفيرة ادعي الله لنا. فقالت: لو خرس الخاطئون ما تكلمت عجوزكم، ولكن المحسن أَمَرَ المسيء بالدعاء، جعل الله قِراكم من بيتي بالجنة، وجعل الموت مني ومنكم علي بال.

وقال مالك بن ضيغم: سمعت عفيرة تقول: عصيتُكَ بكل جارحة مني علي حدتها، واللهِ لئن أعنت لأطيعنَّك ما استطعت بكل جارحة عصيتُكَ بها.

وقال محمد بن الحسين: وحدَّثني سعيد العمى، قال: قلت لعفيرة: أَمَا تسأمين من طول البكاء. قال: فبكت ثم قالت: يا بني، كيف يسأم ذو داءٍ من شيء يرجو أن له فيه من دائه شفاء؟ قال: ثم بكت، فقمت فخرجت وتركتها.

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٢٥١-٢٥٢) برقم (٥٩٣).

وقال يحيي بن راشد: أنه كنا عند عفيرة العابدة فقدم ابن أخ لها كانت طالت غيبته فبشرت به، فبكت، فقيل لها: ما هذا البكاء؟ اليوم يوم فرح وسرور، فازدادت بكاء ثم قالت: واللهِ ما أجد للسرور في قلبي مسكنًا مع ذكر الآخرة، ولقد ذَكَّرني قدومه يوم القدوم علي اللهِ، فمن بين مسرور ومثبور. ثم غشي عليها.

جارية حبشية(١)

وقال بعض الصالحين: «خرجتُ يومًا إلي السوق، ومعي جارية حبشية، فاحتبستها في موضع بناحية السوق، وذهبت في بعض حوائجي، وقلت: «لا تبرحيَ حتى أنصرف إليك». قال: فانصرفت، فلم أجدها في الموضع، فانصرفتُ إلي منزلي، وأنا شديد الغضب عليها، فلما رأتني عرفتْ الغضب في وجهي، فقالت: «يا مولاي لا تعجل عليَّ، إنك أجلستني في موضع لم أر فيه ذاكرًا لله تعالي، فخفتُ أن يخسف بذلك الموضع». فعجبتُ لقولها وقلت لها: «أنت حُرَّة». فقالت: «ساء ما صنعت، كنتُ أخدمك فيكون لي أجران؛ وأمَّا الآن فقد ذهب عني أحدهما».

(١) «الإحياء» بتحقيقي، و«عودة الحجاب» (٢/ ٦٢١).

آمنةُ بنت أبي الورع

«كانت آمنة بنت أبي الورع من العابدات الخائفات، وكانت إذا ذكرت النار قالت: «أُدْخِلُوا النار، وأكلوا النار، وشربوا النار، وعاشوا» ثم تبكي، وكأنها حبة على مِقْلي» وكانت إذا ذكرت النار بكتْ وأبكت[(١)].

وذكر الحافظ ابن الجوزي: أن امرأة من الصالحات كانت تعجن عجينة، فبلغها -وهي تعجن- موتُ زوجها، فرفعت يدها منه، وقالت: «هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء»!!

وأُخرى كانت تستصبح بمصباح، فجاءها خبرُ زوجها، فأطفأت المصباح، وقالت: «هذا زيتٌ قد صار لنا فيه شركاء»[(٢)].

---

(١) «المرأة العربية» (٣/ ٩٧).

(٢) «التخويف من النار» لابن رجب (ص/ ٢٣)، و«عودة الحجاب» (٢/ ٦٢٢).

ميمونة[1]

بنت شاقولة، الواعظة التي هي للقرآن حافظة، ذكرت يومًا في وعظها أن ثوبها الذي عليها -وأشارت إليه- له في صحبتها تلبسه منذ سبع وأربعين سنة وما تغير، وأنه كان من غزل أمها، قالت: «والثوب إذا لم يُعْصَ الله فيه لا يتخرق سريعًا».

وقال ابنها عبد الصمد: كان في دارنا حائط يريد أن ينقض، فقلت لأمي: «ألا ندعو البَنَّاءَ ليصلح هذا الجدار؟» فأخذت رقعة، فكتبت فيها شيئًا، ثم أمرتني أن أضعها في موضع من الجدار، فوضعتها، فمكث علي ذلك عشرين سنة، فلما توفيت؟ أردت أن أستعلم ما كتبتْ في الرقعة، فحين أخذتها من الجدار سقط، وإذا في الرقعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ «اللهم ممسك السماوات والأرض أمسكه».

(١) «البداية والنهاية» (١١/ ٣٣٣)، و«أحكام النساء» (ص/ ٢٠٩) برقم (٦٧).

عبيدة بنت أبي كلاب(١)

قال شعيب بن محرز: حدَّثتني سلامة العابدة، قالت: بكتْ عبيدة بنت أبي كلاب أربعين سنة حتى ذهب بصرُها.

وعن يحيى بن بسطام الأصغر، قال: حدَّثني سلمة الأفقم، وكان ينزل الطفاوة، قال: قلت لعبيدة بنت أبي كلاب: ما تشتهين؟ قالت: الموت. قلتُ: وَلِمَ؟ قالت: لأني واللهِ في كل يوم أصبح أخشى أن أجني على نفسي جنايةً يكون فيها عطبي أيام الآخرة.

وعن عبد العزيز بن سلمان، قال: اختلفت عبيدة وأبي إلي مالك بن دينار عشرين سنة، قال أبي: فما سمعتها تسأل مالكًا عن شيء قط إلا مرة، قالت: يا أبا يحيى، متى يبلغ المتقي الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة؟ قال مالك: بخٍ بخٍ يا عبيدة، إذا بلغ المتقي تلك الدرجة العليا التي ليس فوقها درجة لم يكن شيء أحب إليه من القدوم علي الله. قال: فصرختْ عبيدة صرخةً سقطت مغشية عليها.

عن داود بن المحبر، قال: سمعتُ البراء الغنوي يقول يوم ماتت عبيدة بنت أبي كلاب: ما خلفت بالبصرة أفضل منها.

عبد الله بن رشيد السعدي» وكان قد صحب عبد الواحد بن زيد، قال: رأيتُ الشيوخ، والشباب، والرجال، والنساء من المتعبدين، فما رأيت امرأة ولا رجلًا أفضل ولا أحسن عقلًا من عبيدة بنت أبي كلاب.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٢٥٢-٢٥٣) برقم (٥٩٤).

وقال عبيس بن مرحوم: حدَّثتني عبدة بنت أبي شوال، قالت: رأيتُ رابعة في المنام، فقلتُ: ما فعلت عبيدة بنت أبي كلاب؟ فقالت: هيهات سبقتنا واللهِ إلي الدرجات العلى. قلت: بِمَا وقد كنتِ عند الناس؟ أي أكثر منها، قالت: إنها لم تكن تُبالي على ما أصبحت من الدنيا أو أمست.

عمرة... امرأة حبيب العجمي(١)

قال الحسيني بن عبد الرحمن: حدَّثني بعض أصحابنا قال: قالت امرأة حبيب أبي محمد -وانتبهت ليلة وهو نائم فأنبهته في السَّحر- وقالت له: قم يا رجل، فقد ذهب الليل وجاء النهار، وبين يديك طريق بعيد، وزاد قليل، وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا.

وقال مسلم بن إبراهيم: سمعتُ سهيلًا -أخا حزم- قال: كانت لحبيب أبي محمد امرأة يقال لها عمرة، فاشتكت عينها فقيل لها: كيف تجدينك؟ قالت: وجعُ قلبي أشدُّ من وجع عيني.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/٢٥٣) برقم (٥٩٥).

بردة الصريمية[١]

كانت إذا قيل لها: كيف أصبحتِ؟ تقول: أصبحنا أضيافًا منتعجين بأرض غربة تنتظر إجابة الداعي.

أشرش أبو شيبان -وكان عابدًا من البكائين- عن ثابت البناني: أنَّ امرأة من الصدر الأول كان يقال لها بردة، وكانت تكثر البكاء حتى فسد بصرُها، فقيل لها: اتقي الله، أَمَا تخافين علي بصرك أن يذهب؟ قالت: دعوني، فإن أكن من أهل النار فأبعدني بالله وأبعد بصري، وإن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله عينين خيرًا من عيني.

عن موسى بن سعيد، أو غيره، قال: قيل للحسن: يا أبا سعيد، إن هاهنا امرأة يُقال لها بردة قد فسدت عيناها من البكاء، فدخل عليها فقال لها: يا بردة، إنَّ لبدنك عليك حقٌّ، وإنَّ لبصرك عليك حقٌّ، قالت: يا أبا سعيد، إن أكن من أهل الجنة فسيبدلني الله بصرًا خيرًا من بصري، وأن أكن من أهل النار فأبعد الله بصري.

وعن عطاء بن المبارك، قال: كانت بالبصرة امرأة جليلة متعبدة يُقال لها بردة، وكانت تقوم الليل، فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوتٍ لها حزين: هدأت العيون وغارت النجوم، وخلا كل حبيب بحبيبه، وقد خلوتُ بك يا محبوبي، أفتراك تعذبني وحبُّك في قلبي؟ لا تفعل يا حبيباه.

وقال محمد بن الحسين: حدَّثني شاذ بن فياض قال: حدَّثني رجل أدرك الحسن، قال: كانت امرأة في زمن الحسن إذا سمعت القرآن صرخت، فربما

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٥٣-٢٥٤) برقم (٥٩٦).

تكلمت بما لا تريد، فقيل لها في ذلك، فقالت: ربما سمعت القرآن فأرى ملك ابن مروان قد حوي لي، وكانت تبكى حتى يرحمها مَن رآها.

وذكر محمد بن الحسين أنَّ الحميدي حدَّثه قال: ذكر سفيان يومًا بردة، فقال: رحمها الله، ما كان هاهنا من أولئك النساء المجاورات أشد اجتهادًا منها بكتْ حتى ذهب بصرُها.

قال سفيان: كانت إذا سمعت صوت الصواعق صرخت ولم تزل تصيح حتى يغشى عليها.

أُمُّ طلق[١]

قال محمد بن سنان الباهلي: سمعتُ شعبة بن دخان يذكر أنَّ أمَّ طلق كانت تصلي في كل يوم وليلة أربعمائة ركعة، وتقرأ من القرآن ما شاء الله.

وقال شيبة بن الأرقم: سمعتُ عاصمًا الجحدري يقول: كانت أُمُّ طلق تقول: ما ملكت نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطانًا.

وعن سفيان بن عُيَيْنَة، قال: قالت أُمُّ طلق لطلق: ما أحسن صوتك بالقرآن، فليته لا يكون عليك وَبَالًا يوم القيامة. فبكى حتى غشي عليه.

وعن سلمة الأبهم، قال: سمعتُ عاصمًا الجحدري يقول: كانت أُمُّ طلق تقول: النَّفْسُ مَلِكٌ إنْ اتَّبَعْتَها، ومَملوكٌ إنْ أَتْعَبْتَها.

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٢٥٤) برقم (٥٩٧).

أمة الجليل بنت عمرو العدوية[(١)]

قال أبو بكر بن عبيد: قرأتُ في كتاب محمد بن الحسين بخطِّه: حدَّثني حليم ابن جعفر، قال: حدَّثني مسمع بن عاصم، قال: اختلف العابدون عندنا في الولاية، فقال بعضهم: إذا استحقها عبدٌ لم يهم بشيء إلا ناله، في دِين كان أو دنيا. وقال الآخر: الولي لا يعصي، غير أنه لا يدرك الشيء الذي يريده من الدنيا بهمته ولا يدركه إلا بطلبه، كأنهم يقولون يدعو فيجاب. وقال آخرون: المستحق للولاية لا يعرض لانتقاص حقه من الآخرة.

فتكلموا في ذلك بكلام كثير فأجمعوا علي أن يأتوا امرأة من بني عدي يُقال لها أمة الجليل بنت عمرو العدوية، وكانت منقطعة جدًّا من طول الاجتهاد، فأتوها، قال مسمع: وأنا يومئذ مع أصحابنا فاستأذنوا عليها فأذنت، فعرضوا عليها اختلافهم وما قالوا، فقالت: ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا، ليس للولي في الدنيا حاجة، ثم أقبلت على كلاب فقالت: بنفسي أنت يا كلاب، مَن حدَّثك أو أخبرك أن وليَّه له هم غيره فلا تصدقه.

قال مسمع: فما كنت أسمع إلا الصارخ من نواحي البيت.

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٥٤-٢٥٥) برقم (٥٩٨).

أُمُّ حيان السلمية[1]

عن أبي خلدة، قال: ما رأيتُ رجلًا قطُّ ولا امرأة أقوى ولا أصبر علي طول القيام من أمِّ حيان السلمية؛ إن كانت لتقوم في مسجد الحي كأنها نخلة تصعقها الرياح يمينًا وشمالًا.

وقال مكي البصري: حدَّثتني سوادة السلمية قالت: كانت أُمُّ حيان تقرأ القرآن في كل يوم وليلة، وكانت لا تتكلم إلا بعد العصر فإنها تأمر بالحاجة والشيء تريده.

أُمُّ إبراهيم العابدة[2]

قال عبد المؤمن بن عبد الله القيسي: ضربت أم إبراهيم العابدة دابة فكسرت رجلها، فأتاها قوم يعزونها، فقالت: لولا مصائب الدنيا وردنا الآخرة مفاليس.

وقال أبو موسى الشواء: كنتُ مع أُمِّ إبراهيم العابدة، فلما صرنا عند الجمار رأت الناس قد أقبلوا علي الشراء والبيع، فرفعتْ رأسها إلي السماء وقالت: حبيبي أقبلوا علي الدنيا وتركوك. قال: ثم صاحتْ واجتمع الناس فغطيتها بثوبي، ثم قلت للناس: أصابها شيء وأوهمتهم أنَّ بها عِلَّة، قال: ثم أقمت عليها حتى أفاقت فرفعت رأسها، فقلت لها: يا أم إبراهيم، أي شيء هذه الشهرة؟ فقالت: يا بطال إذا كان هو يقسم الثناء فلمن يتصنع؟!

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٢٥٥) برقم (٥٩٩).

(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٥٥-٢٥٦) برقم (٦٠٠).

بحرية العابدة[1]

قال رباح بن أبي الجراح: رأيت بحرية العابدة تبكي وتقول: تركتك وأنا رطبة، وأتيتك وأنا حشفة، فاقبل الحشفة علي ما كان منها.

وكان بها مسحة من جمال، وكان الجوع قد أضرَّ بها ومكثت أربعين يومًا لم تأكل فيها شيئًا إلا شيئًا من حمص، وكانت مجتهدة، وكان لها مجلس تذكر فيه، وكانت إذا تكلمت اضطربت واقشعرت.

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدَّثتني عجوز من أهل البصرة، قالت: سمعت بحرية تقول: إذا ترك القلبُ الشهوات أَلِفَ العلم واتَّبعه واحتمل كل ما يَرِد عليه.

أُمُّ الحريش[2]

عن رباح بن الجراح، قال: رأيت أُمَّ الحريش، وكانت من عبَّاد الناس، وابتليت بزوج من الجند، فكانت لا تأكل من طعامه، تعد لنفسها شيئًا تأكله، وكان ربما لم يقبل منها حتى تأكل معه، فكانت تقعد تريه أنها تأكل فتضع أصابعها خارج القصعة.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/٢٥٦) برقم (٦٠١).

(٢) المرجع السابق (٢/٢٥٦) برقم (٦٠٢).

حسنة العابدة[1]

عن محمد بن قدامة، قال: بلغنا أن امرأة كان يقال لها حسنة تركت نعيم الدنيا فأقبلت على العبادة؛ فكانت تصوم النهار وتحيي الليل وليس في بيتها شيء، كلما عطشت خرجت إلي النهر فشربت بكفيها.

وكانت جميلة، فقالت لها امرأة: تزوجي، فقالت: هاتِ رجلًا زاهدًا لا يكلفني من أمر الدنيا شيئًا، وما أظنك تقدرين عليه، فواللهِ ما في نفسي أن أعبد الدنيا ولا أتنعم مع رجال الدنيا، فإن وجدتِ رجلًا يبكي ويُبْكِني، ويصوم ويأمرني، ويتصدق ويحضني عليها، فبها ونعمت، وإلا فعلى الرجال السلام.

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/٢٥٦-٢٥٧) برقم (٦٠٣).

زجلة العابدة مولاة معاوية[١]

أحمد بن سهل الأزدي، قال: دخل على زجلة العابدة نفرٌ من القراء فكلموها في الرفق بنفسها، فقالت: ما لي وللرفق بها؟ فإنها هي أيام مبادرة، فمن فاته اليوم شيء لم يدركه غدًا، واللهِ يا إخواتاه لأصلينَّ ما أقلتنى جوارحي، ولأصومنَّ له أيام حياتي، ولأبكينَّ له ما حملت الماءَ عيناي، ثم قالت: أيكم يأمر عبده بأمرٍ فيجب أن يقصر فيه؟!

وقال أبو عتبة الخواص: دخلنا على زجلة العابدة، وكانت قد صامت حتى اسودت، وبكت حتى عمشت، وصلَّت حتى أُقعدت، وكانت صلاتها قاعدة، فسلَّمنا عليها ثم ذكرناها شيئًا من العفو، أردنا أن نهون عليها الأمر هناك، فشهقت ثم قالت: علمت بنفسي قرح فؤادي، وكلم قلبي، واللهِ لوددت أن الله لم يخلقني ولم أكُ شيئًا مذكورًا، ثم أقبلت علي صلاتها، وتركناها فخرجنا من عندها.

وقال كليب بن عيسى بن أبي حجير: كانت زجلة لا ترفع بصرها إلى السماء، وكانت تخرج إلي الساحل فتغسل ثياب المرابطين.

قال كليب: وسمعت سعيد بن عبد العزيز يقول: ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة.

---

(١) المرجع السابق (٢/٢٥٧) برقم (٦٠٤).

غضنة وعالية[1]

قال أبو الوليد العبدي: ربما رأيت غضنة وعالية تقوم إحداهما من الليل فتقرأ البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف في ركعةٍ.

كردويه بنت عمرو البصرية[2]

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين، قال: كانت كردويه تخدم شعوانة، فقيل لها: ما الذي أصابك من بركات خدمة شعوانة؟ قالت: ما أحببت الدنيا منذ خدمتها، ولا اهتممت لرزقي، ولا عَظُم في عيني أحد من أرباب الدنيا لطمع لي فيه، وما استصغرت أحدًا من المسلمين قطُّ.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/٢٥٧) برقم (٦٠٥، ٦٠٦).

(٢) المرجع السابق (٢/٢٥٨) برقم (٦٠٨).

مسكينة الطفاوية[1]

قال إسحاق بن إبراهيم: أخبرنا عمَّار الراهب -وكان واللهِ من العاملين لله في دار الدنيا- قال: رأيت مسكينة الطفاوية في منامي وكانت من المواظبات علي حِلق الذِّكْر، فقلت: مرحبًا مسكينة مرحبًا. فقالت: هيهات يا عمار، ذهبت المسكنة وجار الغنى الأكبر. قلت: هيه. قالت: ما تسأل عمَّن أبيح الجنة بحذافيرها يظل منها حيث يشاء. قال: قلتُ: وبِمَ ذاك، يرحمك الله؟ قالت: بمجالس الذكر والصبر على الحقِّ. قال عمَّار: وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان بالأبلة، تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة، قال عمار: قلت: يا مسكينة، ما فعل عيسى؟ فضجت ثم قالت: كُسي حُلَّة البهاء، وطافت بأباريق حوله الخُدَّام، ثم حلي وقيل: يا قارئ ارق فلعمري لقد برأك الصيام، وكان عيسى قد صام حتى انحنى وانقطع صوته.

غنضكة[2]

عن يوسف بن بهلول، قال: كانت امرأة بالبصرة يُقال لها: غنضكة العابدة تُصلي عامة الليل، ثم تقول: أعوذ بالله من ملائكة غِلاظٍ شِداد لا يَعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون. فإذا قضت صلاتها، قالت: هذا الجهد مني وعليك التُّكْلَان.

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٥٩) برقم (٦١١).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٢٥٩) برقم (٦١٢).

امرأةُ أبي عمران الجوني[(١)]

عويد بن أبي عمران الجوني، قال: كانت أمي تقوم من الليل تصلي حتى تعصب ساقيها بالخرق، فيقول لها أبو عمران الجوني: دون هذا، يا هذه. فتقول: هذا عند طول القيام في الموقف قليل. فيسكت عنها.

امرأةُ رياح القيسي[(٢)]

قال أبو يوسف البزاز: تزوج رياحُ القيسي امرأة فبنى بها. فلما أصبح قامتْ إلي عجينها، فقال: لو نظرت إلي امرأةٍ تكفيكِ هذا. فقالت: إنما تزوجت رياحًا القيسي، ولم أرني تزوجتُ جبارًا عنيدًا. فلما كان الليل نام ليختبرها فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، فلم يقم، فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت: قم يا رياح، فقال: أقوم، فقالت: مضى الليل، وعسكر المحسنون، وأنت نائم، ليت شعري مَن غرَّني بك يا رياح. قال: وقامت الربع الباقي.

وقال عبد الله بن الحارث: زوَّج شميط بن العجلان امرأة رياح القيسي، فبينما هو قاعد معها إذ نظرت إلى السماء، فشهقت شهقة فخرَّت مغشيًّا عليها.

وقال رياح: اغتممتُ مرة في شيء من أمر الدنيا، فقالت: أراك تغتم لأمر

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٦٠) برقم (٦١٣).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٢٦٠) برقم (٦١٤).

الدنيا غرَّني منكم شميط. ثم أخذت هدبة من مقنعتها فقالت: الدنيا أهون عليَّ من هذه.

وعن سيار، قال: حدَّثني رياح، قال: ذُكِرتْ لي امرأة، فتزوجتها، فكانت إذا صلت العشاء الآخرة تطيبت، وتدخنت ولبست ثيابها ثم تأتيني فتقول: ألك حاجة؟ فإن قلت: نعم، كانت معي، وإن قلت: لا، قامت فنزعت ثيابها ثم صفَّت بين قدميها حتى تصبح. قال رياح: فضحتني واللهِ.

ابنةُ أُم حسان الأسدية[1]

عن سفيان الثوري، قال: دخلتُ علي بنت حسان الأسدية -وفي جبهتها مثل ركبة العنز من أثر السجود- فقلت لها: يا بنت أم حسان، ألا تأتين عبد الله بن شهاب بن عبد الله؟ فلو رفعت إليه رقعة فلعله أن يعطيك من زكاة ماله ما تُغَيِّرين به بعض الحاجة التي أراها بكِ. فدعت بمعجر فاعتجرتْ به وقالت: يا سفيان، قد كان لك في قلبي رجحان كثير، فقد أذهبَ اللهُ برجحانك من قلبي، يا سفيان، تأمرني أن أسأل الدنيا مَن لا يملكها؟!

قال سفيان: وكان إذا جَنَّ عليها الليلُ دخلت محرابًا لها وأغلقت عليها ثم نادت: إلهي خلا كلٌّ حبيب بحبيبه، وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سخن يسخن من عصاك إلا جهنم، ولا عذاب إلا النار.

قال سفيان: فدخلتُ عليها بعد ثلاث فإذا الجوع قد أثَّر في وجهها، فقلتُ لها: يا بنت أم حسان إنك لن تؤتي أكثر مما أوتي موسى والخضر عليهما السلام؛ إذ أتيا أهل قرية استطعما أهلها. فقالت: يا سفيان، قل: الحمدُ لله. فقلتُ: الحمد لله. فقالت: اعترفت له بالشكر؟ قلت: نعم. قالت: وَجَبَ عليك من معرفة الشكر شكر، وبمعرفة الشكرين شكر لا ينقضي أبدًا.

قال سفيان: فقصر واللهِ علمي، وسفه لساني، فوليت أريد الخروج، فقالت: يا سفيان، كفي بالمرء جهلًا أن يُعجب بعلمه، وكفي بالمرء عِلمًا أن يخشى الله، اعلم أنه لن تنقى القلوب من الرَّدى حتى تكون الهموم كلها في الله همًّا واحدًا.

قال سفيان: فقصرت إلي والله نفسي.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٢٦١) برقم (٦١٥).

جاريةُ خالد الوراق[1]

بلغنا عن خالد الوراق أنَّه قال: كانت لي جارية شديدة الاجتهاد، فدخلتُ عليها يومًا فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل، فبكتْ، ثم قالت: يا خالد، إني لأؤمل من الله تعالى آمالًا لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها، كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإني لأعلم أنَّ في كرم الله مستغاثًا لكلِّ مذنب، ولكن كيف لي بحسرة السباق؟ قال: قلتُ: وما حسرة السباق؟ قالت: غداة الحشر إذا بُعْثِرَ ما في القبور، وركب الأبرار نجائب الأعمال، فاستبقوا إلى الصراط، وعزة سيدي لا يسبق مقصر مجتهدًا أبدًا، ولو حبا المجد حبوًا، أَم كيف لي بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون وقد رُفعت أعلام المحسنين وجاز الصراط المشتاقون ووصل إلى الله المحبون؛ وخُلِّفت مع المسيئين المذنبين؟ ثم بكتْ وقالت: يا خالد، انظر لا يقطعك قاطعٌ عن سرعة المبادرة بالأعمال؛ فإنه ليس بين الدارين دار يُدْرِك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة، فويلٌ لمن قَصَّر عن خدمة سيده، ومعه الآمال، فهلَّا كانت الأعمال توقظه إذا نام البطالون.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٢٦٢) برقم (٦١٨).

شعوانة(١)

قال معاذ بن الفضل -أبو عون-: بكت شعوانة حتى خِفْنَا عليها العمى، فقلنا لها في ذلك، فقالت: أعمى واللهِ في الدنيا من البكاء أحبُّ إليَّ من أن أعمى في الآخرة من النار.

وقال مالك بن ضيغم: كان رجل من أهل الأبلة يأتي أبي كثيرًا فيذكر له شعوانة وكثرة بكائها، فقال له أبي يومًا: صِف لي بكاءها.

فقال: يا أبا مالك أصفُ لك؛ هي واللهِ تبكي الليل والنهار، لا تكاد تفتر. قال: ليس عن هذا أسألك، كيف تبتدئ بالبكاء؟ قال: نعم يا أبا مالك تسمع الشيء من الذكر فترى الدموع تنحدر من جنونها كالقطر. قال: فمجاري الدموع من المآق الذي علي الأنف أكثر أم مؤخر العين مِمَّا يلي الصدغ؟ قال: يا أبا مالك، إنَّ دموعها أكثر من أن يعرف هذا من هذا، ما هي إلا أن تسمع الذكر فتجيء عيناها بأربع نجومًا متبادرة جدًّا.

فبكى أبي، وقال: ما أرى الخوف إلا قد أحرق قلبها كله، ثم قال: كان يُقال: إنَّ كثرة الدموع وقلتها على قدر احتراق القلب، حتى إذا احترق القلبُ كلُّه لم يشأ الحزين أن يبكي إلا بكى، والقليلُ مِن التَّذْكِرة يُجزنه.

قال مالك بن ضيغم: وقال لي أبي يومًا: انطلق مع «منبوذ» حتى تأتي هذه المرأة الصالحة فتنظر إليها -يعني شعوانة- فانطلقتُ أنا وأبوهما إلى الأبلة ثم غدونا عليها فدخلنا فسلَّم عليها منبوذ، وقال: هذا ابنُ أخيك ضيغم، فرحَّبتْ بي وتحفت، وقالت: مرحبًا بابن مَن لم نره ونحن نحبُّه، أَمَا واللهِ يا بني،

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٢٦٨) برقم (٦٣٠).

إني لمشتاقةٌ إلى أبيك، وما يمنعني من إتيانه إلا أني أخاف أن أشغله عن خدمة سيده، وخدمة سيده أَوْلَى به من محادثة شعوانة.

قال: ثم قالت: ومَن شعوانة؟ وما شعوانة؟ أَمَةٌ سوداء عاصية.

قال: ثم أخذت في البكاء، فلم تزل تبكي حتى خرجنا وتركناها.

قال يحيى بن بسطام: كنتُ أشهد مجلس شعوانة كثيرًا، فكنت أرى ما تصنع بنفسها، فقلت لصاحب لي يُقال له عمران بن مسلم: لو أتيناها إذا خلت. قال: فانطلقنا أنا وهو إلى الأبلة فاستأذنا عليها، فأَذِنت لهما، فإذا منزل رث الهيئة، أثرُ الجدب عليه بَيِّنٌ، فقال لها صاحبي: لو رفقتِ بنفسك فقصرت عن هذا البكاء شيئًا كان أقوى لك على ما تريدين. قال: فبكتْ ثم قالت: واللهِ لوددتُ أن أبكي حتى تنفد دموعي، ثم أبكي الدماء حتى لا تبقى في جسدي جارحة فيها قطرة من دم، وأَنَّى لي البكاء. قال: فلم تزل تُردد ذلك حتى انقلبت حدقتاها، ثم مالتْ ساقطةً مغشيًا عليها، فقمنا فخرجنا وتركناها على تلك الحال.

قال روح بن سلمة: قال لي مضر: ما رأيتُ أحدًا أقوى على كثرة البكاء من شعوانة، ولا سمعتُ صوتًا قطُّ أحرق لقلوب الخائفين من صوتها إذا هي نشجت ثم نادت: يا موتى، وبني الموتى، وإخوة الموتى.

قال محمد: وقلتُ لأبي عمر الضرير: أتيت شعوانة؟ قال: قد شهدت مجلسها مِرارًا ما كنت أفهم ما تقول من كثرة بكائها. قلت: فهل تحفظ من كلامها شيئًا؟ قال: ما حفظت من كلامها شيئًا أذكره الساعة إلا شيئًا واحدًا. قلت: وما هو؟ قال: سمعتها تقول: مَن استطاع منكم أن يبكي فليبكِ، وإلا فليرحم الباكي؛ فإنَّ الباكي إنما يبكي لمعرفته بما أتى إلى نفسه.

وعن الحارث بن المغيرة، قال: كانت شعوانة تنوح بهذين البيتين:

يؤمِّل دنيا لتبقى له   فوافى المنية قبل الأمل
حثيثًا يرَوي أصول الفسيل   فعاش الفسيل ومات الرجل

الحسن بن يحيى، قال: كانت شعوانة تُردد هذا البيت فتبكي وتبكي النساء معها، تقول:

لقد أَمِنَ المغرورُ دَارَ مقامه   ويوشكُ يومًا أن يخافَ كَمَا أَمِن

وعن الفضيل بن عياض، قال: قدمت شعوانة فأتيتها فشكوت إليها وسألتها أن تدعو بدعاء، فقالت: يا فضيل، أَمَا بينك وبين الله ما إن دعوته استجاب لك؟ قال: فشهق الفضيل، وخرَّ مغشيًّا عليه.

وعن محمد بن عبد العزيز بن سلمان، قال: كانت شعوانة قد كمدت حتى انقطعت عن الصلاة والعبادة فأتاها آتٍ في منامها فقال:

أذرى جفونك إما كنت شاجية   إنَّ النياحة قد تشفي الحزينينا
جِدِّي وقومي وصومي الدهر   دائبة فإنما الدوب من فعل المطيعينا

فأصبحتْ فأخذت في الترنم والبكاء وراجعت العمل.

وقال إبراهيم بن عبد الملك: قدمت شعوانة وزوجها مكة فجعلا يطوفان، فإذا أكل أو أعيا جلس وجلست خلفه، فيقول في جلوسه: أنا العطشان من حبك لا أروى، وتقول هي بالفارسية: أنبت لكل داء دواء في الجبال، ودواء المحبين في الجبال لم ينبت، ل.

طافية[1]

عن عطاء الخراساني، قال: كانت امرأة عابدة يُقال لها: طافية، تأتي بيت المقدس تتعبد فيه، وكان وهب بن منبه يقول: يا طافية ما أشد العمل عليك. فتقول: ما أجدني أجد شيئًا أشد عليَّ من طول الفكر. قال: وكيف ذلك؟ قالت: إني إذا تفكرت في عظمة الله عزَّ وجلَّ وأمر الآخرة طاش عقلي وأظلم عليَّ بصري، واسترخت لذلك مفاصلي. فقال لها وهب بن منبه: إذا أنت وجدت ذاك فافزعي إلي قراءة القرآن في المصحف.

لبابة[2]

محمد بن روح، قال: قالت لبابة المتعبدة في بيت المقدس: إني لأستحي منه أن يراني مشتغلة بغيره.

محمد بن روح، قال: قالت لبابة المتعبدة: ما زلت مجتهدة في العبادة حتى صرت أستروح بها، وإذا تعبت من لقاءِ الخلق آنسني بذِكْره، وإذا أعياني الخلقُ روَّحني التفرغُ لعبادة الله عزَّ وجلَّ والقيام إلى خدمته.

وقال لها رجل: هو ذا يريد الحج، فما أدعو بالموسم؟ فقالت: سَلِ الله تعالى شيئين: أن يرضى عنك ويبلغك منزل الراضين عنه، وأن يجعل ذِكْرك فيما بين أوليائه.

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/٤٠٦) برقم (٧٨٢).
(٢) المرجع السابق (٢/٤٠٦) برقم (٧٨٣).

خنساء بنت عمرو النخعية[1]

عن عبد الرحمن بن مغراء الدوسي، عن رجلٍ من خزاعة، قال: لَمَّا اجتمع الناسُ بالقادسية دعت خنساء بنت عمرو النخعية بنيها الأربعة فقالت: يا بني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم واللهِ ما نبت بكم الدار ولا أقحمتكم السنة، ولا أرداكم الطمع، والله لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا غيرت نسبكم ولا أوطأت حريمكم، ولا أبحت حماكم، فإذا كان غدًا إن شاء الله، فاغدوا لقتال عدوكم مستنصرين الله، مستبصرين، فإذا رأيتم الحرب قد أبدت ساقها وقد ضربت رواقها فتيمموا وطيسها وجالدوا خميسها؛ تظفروا بالمغنم والسلامة، والفوز والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فانصرف الفتيةُ من عندها وهم لأمرها طائعون، وبنصحها عارفون، فلما لقوا العدو شدَّ أولُهم وهو يقول:

يا إخوتنا إنَّ العجوزَ الناصحة ... قد أشربتنا إذ دعتنا البارحة
نصيحة ذات بيان واضحة ... فباكروا الحرب الضروس الكالحة
فإنما تلقون عند الصائحة ... من آل ساسان كلابًا نابحة
قد أيقنوا منكم بوقع الجائحة ... فأنتم بين حياة صالحة
.... أو ميتة تورث غنمًا رابحة

ثم شدَّ الذي يليه وهو يقول:

واللهِ لا نعصى العجوزَ حَرْفًا ... قد أمرتنا حدبًا وَعَطْفَا
منها وبِرًّا صادقًا ولُطْفَا ... فباركوا الحربَ الضروس زَحْفَا

(١) المرجع السابق (٢/٥٠٣-٥٠٤) برقم (٩٢٦).

حتى تكفوا آل كسرى كفًّا ... وتكشفوهم عن حِمَاكم كَشْفَا
إنَّا نَرَى التقصيرَ عنهم ضَعْفَا ... والقتلَ فيهم نجدةً وعرفا

ثم شدَّ الذي يليه وهو يقول:

لست لخنساء ولا للأخزم ... ولا لعمرو ذي السناء الأقدم
إن لم تزر في آل جمع الأعجم ... جمع أبي ساسان جمع رستم
بكل محمود اللقاء ضيغم ... ماض على الهول خضم خضرم
إمَّا لقهر عاجل أومغنم ... أو لحياة في السبيل الأكرم
نفوز فيها بالنصيب الأعظم
....

ثم شدَّ الذي يليه وهو يقول:

إنَّ العجوز ذات حزم وجلد ... والنظر الأوفق والرأي السدد
قد أمرتنا بالصوابِ والرشد ... نصيحةً منها وبرًّا بالولد
فباكروا الحرب نماءً في العدد ... إمَّا لقهر واحتياز للبلد
أو ميتة تورث خلدًا للأبد ... في جنة الفردوس في عيشٍ رَغَد

فقاتلوا جميعًا حتى فتح اللهُ عزَّ وجلَّ للمسلمين، وكانوا يعطون الفيء فيجيئون به فيصبونه في حجرها فتقسم ذلك بينهم حفنة حفنة، فما يغادر واحد من عطائه درهمًا.

عاتكة المخزومية[١]

إبراهيم بن محمد المخزومي قال: بكت امرأة من بني مخزوم يُقال لها عاتكة حتى ذهب بصرُها، فعوتبت في ذلك وقيل لها: ما بعد ذهاب البصر شيء؟ فقالت: ما ينبغي للمخوف بالنار أن تجفَّ له دمعةٌ حتى يعرف موقع الأمان من ذلك. فلم تزل على ذلك البكاء حتى ماتت عليه.

أمُّ سالم الراسبية[٢]

وبالإسناد حدَّثنا القرشي، قال: قال محمد بن الحسين: حدَّثني أبو سمير (رجل من الأزد) قال: أتيت أم سالم الراسبية بين الظهر والعصر، فاستأذنت عليها فأذنت لي، فدخلتُ عليها وإذا هي تصلي قائمة فلم تنفتل من صلاتها ولم تلتفت إليَّ حتى نودي بصلاة العصر، فخرجت فصليت ثم دخلت عليها، فقالت: إذا كان لك حاجة فلا تأتني في هذا الوقت فإنَّ الذي يدع الصلاةَ في هذا الوقت فإنما يُضيع حظَّ نفسه.

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٥٠٤) برقم (٩٢٨).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٠٥) برقم (٩٣١).

مليكة بنت المنكدر[1]

عن موسى بن عبد الملك -أبو عبد الرحمن المروزي- قال: قال مالك بن دينار: بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة جهيرة في الحِجْر وهي تقول: أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك، فأنلني معروفًا من معروفك تغنيني به عن معروف مَن سواك، يا معروفًا بالمعروف. فعرفت أيوب السختياني، فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها، فقال لها أيوب: قولي خيرًا يرحمك الله. قالت: وما أقول؟! أشكو إلى الله قلبي وهواي؛ فقد أضرَّا بي وشغلاني عن عبادة ربِّي، قوما فإنِّي أبادر طيَّ صحيفتي.

قال أيوب: فما حدثت نفسي بامرأة قبلها، فقلت لها: لو تزوجت رجلًا كان يعينك على ما أنتِ عليه. قالت: لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختياني ما أردته. فقلتُ: أنا مالك بن دينار، وهذا أيوب السختياني. فقالت: أُفٍّ لقد ظننتُ أنه يشغلكما ذكرُ الله عن محادثة النساء. وأقبلتْ على صلاتها، فسألنا عنها، فقالوا: هذه مليكة بنت المنكدر.

وعن أبي خالد البراد، قال: كلمنا ابنة المنكدر في تخفيف بعض العبادة، فقالت: دعوني أبادر طيَّ صحيفتي. رحمها الله.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١/ ٤٣٤) برقم (٢٠٠).

فاطمة بنت محمد بن المنكدر[١]

عن إبراهيم بن مسلم القرشي، قال: كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمة، فإذا جَنَّها الليلُ تُنادي بصوتٍ حزين: هدأ الليلُ، واختلط الظلامُ، وأوى كلٌّ حبيبٍ إلى حبيبه، وخلوتي بك أيُّها المحبوب أن تعتقني من النار. رحمها الله.

حكيمة المكية[٢]

عن سلمة بن خالد المخزومي -وكان من خيار بني مخزوم- قال: كان هاهنا امرأة من بني مخزوم مجاورة، وكان يُقال لها: حكيمة، وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة قد فُتح صرخت كما تصرخ الثُّكْلى، فلا تزال تصرخ حتى يغمى عليها، وكانت لا تكاد تفارق المسجد إلَّا للأمر الذي لا بدَّ منه.

قال: ففُتحت الكعبةُ يومًا وهي في بعض حاجتها، فلما جاءت قالت لها امرأة كانت تُجالسها: حكيمة، فُتح اليوم بيتُ ربِّك، فلو رأيت الطائفين يطوفون بالبيت والباب مفتوح، وهم ينتظرون الرحمة من مليكهم لقد قرَّت عينُك.

قال: فصرختْ حكيمة صرخةً، ثم لم تزل تضطرب حتى ماتت، رحمها الله.

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٣٤) برقم (٢٠١).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١/ ٤٧٥) برقم (٢٢٩).

نقيش بنت سالم[1]

عن أبي المورق، قال: حدَّثني مَن سَمِعَ نقيش بنت سالم بمكة وهي تقول: يا سيد الأنام، رحلت بي الشقة، وهذا مقام العائذ بعفوك من سخطك، وبرحمتك من غضبك، يا حبيب الأوابين، يا مَن لا يكديه الإعطاء، يا ذا المنِّ والآلاء، زدني بالثقة منك وصلة، واجعل قراي عتق رقبتي، وأقرر عيني برضاك.

قال: ورأيتها بالموقف وهي تقول: بهظتني الآثام يا سيد الأنام، كحلت عيني بملمول الحزن، فوعزتك لا نعمت بضحك أبدًا حتى أعلم أين قراري، وإلى أين تصير داري. فلمَّا رأت أيدي الناس مبسوطة للدعاء، **قالت:** يا رب، أقامهم هذا المقام خوف النار، يا قرة عيني وعيون الأبرار، يلتمسون نائلك ويرجون فضلك. فلما رجعوا وضعتْ خَدَّها وصرختْ: انصرفَ الناسُ ولم أُشْعِر قلبي منك اليأس.

عائشة المكية[2]

عن أبي عبيد القاسم بن سلام، قال: دخلت مكة، وكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة، وربما كنت أستلقي وأمد رجلي، فجاءتني عائشةُ المكية -وكانت من العابدات ممن صَحِبَ الفضيل- فقالت لي: يا عبد الله، يُقال إنك عالِم، اقبل مني كلمة: لا تجالسه إلا بأدبٍ فيمحو اسمك من ديوان القُرب.

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٧٥) برقم (٢٣٠).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١/ ٤٧٥) برقم (٢٣١).

ابنة أبي الحسن المكي[(١)]

عن عبد الله بن أحمد بن بكر، قال: كان لأبي الحسن المكي ابنة مقيمة بمكة أشدُّ ورعًا منه، وكانت لا تقتات إلا ثلاثين درهمًا ينفذها إليها أبوها في كل سنة مما يستفضله من ثمن الخوص الذي يسفه ويبيعه. فأخبرني ابن الرواس التمار -وكان جاره- قال: جئتُ أودعه للحج، وأستعرض حاجته وأسأله أن يدعو لي، فسلم إليَّ قرطاسًا وقال: تسأل بمكة عن الموضع الفلاني عن فلانةٍ وتسلم هذا إليها، فعلمت أنها ابنته.

فأخذت القرطاس وجئت فسألت عنها، فوجدتها بالعبادة والزهد أشد اشتهارًا من أن تخفى، فتتبعت نفسي أن يصل إليها شيء من مالي يكون لي ثوابه، وعلمت أنني إن دفعت إليها ذاك لم تأخذه، ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين خمسين درهمًا، ورددته كما كان وسلمته إليها، فقالت: أيُّ شيء خبر أبي؟ فقلت: سلامة. فقالت: قد خالط أهل الدنيا وترك الانقطاع إلي الله تعالي؟ فقالت: أسألك بالله وبمن حججت إليه عن شيء فتصدقني؟ فقلت: نعم. فقالت: خلطت بهذه الدراهم شيئًا من عندك؟ فقلت: نعم، فمن أين علمت بهذا؟ قالت: ما كان أبي يزيدني علي الثلاثين شيئًا لأنَّ حاله لا يحتمل أكثر منها إلا أن يكون ترك العبادة، فلو أخبرتني بذلك ما أخذت منه أيضًا شيئًا.

ثم قالت لي: خذ الجميع فقد عققتني من حيث قدرت أنك تبرني. فقلت: وَلِمَ؟ قالت: لا آكل شيئًا ليس هو من كسبي ولا كسب أبي، ولا آخذ من مال لاَ أعرف كيف هو شيئًا.

---

(١) المرجع السابق (١/ ٧٦) برقم (٢٣٢).

فقلت: خذي منها الثلاثين كما أنفذ إليك أبوك وردي الباقي. فقالت: لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لأخذتها ولكن قد اختلطت بما لا أعرف جهته فلا آخذ منها شيئًا، وأنا الآن أقتات إلى الموسم الآخر من المزابل؛ لأنَّ هذه كانت قوتي تلك السنة، فقد أجعتني، ولولا أنك ما قصدت أذاي لدعوتُ عليك.

قال: فاغتممتُ وعدتُ إلى البصرة، وجئتُ إلى أبي الحسن فأخبرته واعتذرت إليه، فقال: لا آخذها وقد اختلطت بغير مالي، وقد عققتني وإيَّاها. قال: فقلتُ: فما أعمل بالدراهم؟ قال: لا أدرى. فما زلت مدة أعتذر إليه وأسأله ما أعمل بالدراهم؟ فقال لي بعد مدة: تصدق بها. ففعلتُ.

خنساء بنت خدام[1]

وليست بالصحابية . . .

عن حفص بن عمرو الجعفي، قال: كانت باليمن امرأة من العرب جليلة جهورية حسنًا وجمالًا كأنها بدنة، يُقال لها: خنساء بنت خدام، فصامت أربعين عامًا حتى لصق جلدُها بعظمها، وبكت حتى ذهبت عيناها، وقامت حتى أُقعدت من رجليها.

وكان طاوس ووهب بن منبه يُعَظِّمان قدرها، وكانت إذا جَنَّ عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تُنادي بصوتٍ لها حزين: يا حبيب المطيعين، إلي كم تحبس خدود المطيعين في التراب، ابعثهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذي أتعبوا له أنفسهم ثم أنصبوها.

قال: فَيُسْمع البكاءُ من الدور حولها.

---

(1) انظر: «صفة الصفوة» (١/ ٤٩١) برقم (٢٥١).

سوية[1]

عن أبي هشام -رجل من قريش من بني عامر- قال: قدمت علينا امرأةٌ من أهل اليمن يُقال لها: سوية، فنزلت في بعض رباعنا، فكنتُ أسمع لها من الليل نحيبًا وشهيقًا، فقلت للجارية: أشرفي على هذه المرأة فانظري ما تصنع؟ فإذا هي قائمة مستقبلة القبلة رافعة رأسها إلي السماء، فقلتُ: ما تصنع؟ قالت: ما أراها تصنع شيئًا غير أنها لا ترد طرفها عن السماءِ. فقلتُ: اسمعي ما تقول. قالت: لا أفهم كثيرًا من قولها؛ غير أني أسمعها تقول: أراكَ خلقت سوية من طينة لازبة، غمرتها بنعمتك تغذوها من حال إلي حال، وكل أحوالك لها حسنة، وكل بلائك عندها جميل، وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب علي معاصيك، فلتة في إثر فلتة، أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعالها، بلي وأنت علي كل شيء قدير.

ثم صرختْ وسقطتْ، ونزلت الجارية فأخبرتني بسقطتها، فلما أصبحنا نظرنا فإذا هي قد ماتت والسلام.

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٩١) برقم (٢٥٢).

جوهرة العابدة البراثية[(١)]

نزلت مع زوجها أبي عبد الله البراثي.

حكيم بن جعفر، قال: كانت جوهرة امرأة أبي عبد الله البراثي جارية لبعض الملوك، فعتقت، فخلعت الدنيا ولزمت أبا عبد الله البراثي، فتزوج بها وتعبَّدت.

وقال أبو عبد الله البراثي: قالت لي جوهرة يومًا: يا أبا عبد الله، النساء يحلين في الجنة إذا دخلنها؟ قلت: نعم. قال: فصاحت صيحةً غشي عليها، فلما أفاقت قلت: ما هذا الذي أصابك؟ قالت: ذَكَرْتُ حالي تلك وما كنت قد نلت من الدنيا فخشيتُ واللهِ حرمان الآخرة.

وقال: رأت جوهرة في منامها خيامًا مضروبة، فقالت: لمن ضُربت هذه الخيام؟ فقيل: للمتهجدين بالقرآن. فكانت بعد ذلك لا تنام.

عن أبي عبد الله البراثي، قال: كانت جوهرة تنبهني من الليل وتقول: يا أبا عبد الله «كاروان رفت» معناه: قد سارت القافلة.

وقال حكيم بن جعفر: كنا نأتي أبا عبد الله بن أبي جعفر الزاهد، وكان يسكن براثة، وكانت له امرأة متعبدة يُقال لها: جوهرة، وكانَ أبو عبد الله يجلس على جلة خوص بحرانية، وجوهرة جالسة حذاءه علي جلة أخرى مستقبلة القبلة في بيت واحد.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١/٦٠٧) برقم (٣٦٠).

قال: فأتيناه يومًا وهو جالس على الأرض ليست الجلة تحته، فقلنا: يا أبا عبد الله، ما فعلت بالجلة التي كنت تقعد عليها؟ قال: إنَّ جوهرة أيقظتني البارحة، فقالت: أليس يُقال في الحديث: «إنَّ الأرضَ تقول لابن آدم: تجعل بيني وبينك سترًا وأنت غدًا في بطني؟» قال: قلتُ: نعم. قالت: فأخرج هذه الجلال لا حاجة لنا فيها، فقمتُ واللهِ فأخرجتها.

زوجةُ أبي شعيب البراثي العابد[١]

الجنيد بن محمد قال: كان أبو شعيب البراثي أول مَن سكن براثا في كوخ يتعبد فيه، فمرَّت بكوخه جارية من بنات الكبار من أبناء الدنيا؛ كانت رُبيت في قصور الملوك، فنظرت إلى أبي شعيب فاستحسنت حاله، وما كان عليه، فصارت كالأسيرة له، فعزمت علي التجرد من الدنيا والاتصال بأبي شعيب.

فجاءت إليه وقالت: أريد أن أكون خادمة. فقال لها: إن ذلك أردت فغيِّري هيئتك، وتجردي كما أنت فيه حتى تصلحي لما أردت. فتجردت عن كل ما تملكه ولبست لبسة النُّساك وحضرته، فتزوجها. فلمَّا دخلت الكوخ رأت قطعة خصاف كانت مجلس أبي شعيب تَقيه من النَّدى، فقالت: ما أنا مقيمة فيه، حتى تُخرِجَ ما تحتك؛ لأني سمعتك تقول: إنَّ الأرضَ تقول لابن آدم: تجعل اليوم بيني وبينك حجابًا وأنت غدًا في بطني؟ فما كنتُ لأجعل بيني وبينها حجابًا.

فأخذ أبو شعيب الخصاف ورمى بها، فمكثتْ معه سنين كثيرة يَتَعبَّدان أحسن عبادة، وتوفيا على ذلك متعاونين.

---

(١) المرجع السابق (١/٦٠٨) برقم (٣٦١).

أخواتُ بِشْر الحافي[1]

وهنَّ ثلاث: مضغة، ومخة، وزبدة، بنات الحارث، وأكبرهنَّ مضغة.

قال السلمي: أخواتُ بشر: مخة، وزبدة، ومضغة.

وكانت زبدة تُكَنَّى أُمَّ عليٍّ. وكانت «مضغة» أخت بشر أكبر منه، وماتت قبله، وقيل: لما ماتت مضغة توجَّع عليها بشر توجعًا شديدًا وبكى بكاءً كثيرًا، فقيل له في ذلك، فقال: قرأتُ في بعض الكتب أنَّ العبد إذا قَصَّر في خدمة ربِّه سَلَبَه أَنيسه، وهذه كانت أنيستي من الدنيا.

وقال الخطيب: وَذَكَرَ إبراهيمُ الحربيُّ أنَّ بشرًا قال: هذا يوم ماتت أخته مخة، والله أعلم.

وقال أبو عبد الله بن يوسف الجوهري: سمعتُ بشر بن الحارث يوم ماتت أخته يقول: إنَّ العبد إذا قَصَّر في طاعة الله عزَّ وجلَّ سَلَبَه مَن يُؤنِسه.

قال أبو عبد الله القحطبي: كان لبشر أخت صوَّامة قوَّامة.

وعن غيلان القصائدي، قال: قال بشر بن الحارث: تعلَّمتُ الورع من أختي؛ فإنها كانت تجتهد ألا تأكل ما للمخلوق فيه صنع.

عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كنتُ مع أبي يومًا من الأيام في المنزل، فَدَقَّ داق البابَ، فقال لي: اخرج فانظر من بالباب، فخرجت فإذا امرأة، فقالت لي: استأذن لي على أبي عبد الله. قال: فاستأذنته، قال: أدخلها.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١/٦٠٨-٦٠٩) برقم (٣٦٢).

قال: فدخلت فسلَّمت عليه، وقالت له: يا أبا عبد الله، أنا امرأة أغزل بالليل في السراج فربما أطفئ السراج فأغزل في القمر، فعلي أن أبين غزل القمر من غزل السراج؟ قال: فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك. قال: قالت: يا أبا عبد الله أنين المريض شكوى؟ قال: أرجو ألَّا يكون؛ ولكنه اشتكاء إلي الله عزَّ وجلَّ.

قال: فودعته وخرجت، فقال: يا بني ما سمعت قطُّ إنسانًا عن مثل هذا يسأل، اتبع هذه المرأة فانظر أين تدخل؟ قال: فاتبعتها، فإذا قد دخلت إلي بيتِ بِشْر بن الحارث، وإذا هي أخته، قال: فرجعتُ فقلت له، فقال: محالٌ أن تكون مثل هذه إلا أخت بِشْر.

قال المصنف: **قلتُ**: هذه المرأة التي سألت أحمد هي مخة، وقد نقلت عنها حكاية سميت فيها تشبه هذه الحكاية.

عبد الله بن أحمد بن حنبل ببغداد قال: جاءت مخة أختُ بِشْر بن الحارث إلى أبي فقالت: إني امرأة رأس مالي دانقان، أشترى القطن فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأتقوت بدانق من الجمعة، فمرَّ ابن طاهر الطائف ومعه مشعل، فوقف يكلم أصحاب المسالح، فاستغنمتُ ضوءَ المشعل فغزلتُ طاقات، ثم غاب عني المشعل، فعلمتُ أن لله في ذلك مطالبة، فخلِّصني خلَّصك اللهُ. فقال لها: تُخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرًا منه.

قال عبد الله: قلتُ لأبي: يا أبتِ، لو قلت لها: لو أخرجت الغزل الذي أدرجت فيه الطاقات؟ فقال: يا بني سؤالها لا يتحمل هذا التأويل، ثم قال: مَن هذه؟ قلت: مخة أختُ بِشْر بن الحارث. فقال: من هاهنا أتيت.

قرأتُ بخطِّ أبي علي الراذاني، قال: كانت مخة من بين أخوات بشر تقصدُ أحمد بن حنبل وتسأل عن الورع والتقشف، وكان أحمد يُعجب بمسائلها.

السلمي قال: قالت زبدة أختُ بِشْر: أثقلُ شيء علي العبد الذنوب، وأخفُّه عليه التوبة، فما له يَدْفع أثقل شيء بأخف شيء؟!

امرأةُ عبد الله بن الفرج العابد[١]

أبو بكر محمد بن الحسين الآجري قال: بلغني أنَّ عبد الله بن الفرج لما مات لم تُعْلِم زوجتُه إخوانه بموته، وهم جلوس بالباب ينتظرون الدخول عليه في عِلَّته، فَغَسَّلَته وكفَّنته في كساءٍ له، وأخذت فرد باب من أبواب بيته وجعلته فوقه وشدته بشريط، ثم قالت لإخوانه: قد مات، وقد فرغتُ من جهازه. فدخلوا واحتملوه إلى قبره، وأغلقت الباب خلفهم.

أمة الواحد بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي[٢]

أبو بكر البرقاني قال: كانت بنت المحاملي تفتي مع أبي علي بن أبي هريرة.

أبو الحسن الدارقطني قال: أمة الواحد بنت الحسين بن إسماعيل بنت محمد القاضي المحاملي سمعت أباها وإسماعيل بن العباس الوراق، وعبد الغافر بن سلامة الحمصي، وأبا الحسن المصري، وحمزة الهاشمي الإمام وغيرهم.

وحفظت القرآن والفقه على مذهب الشافعي، والفرائض وحسابها والنحو، وغير ذلك من العلوم، وكانت فاضلة في نفسها، كثيرة الصدقة، مسارعة في الخيرات، وحدَّثت وكُتب عنها الحديث.

وتوفيت في رمضان من سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١/ ٦١٠) برقم (٣٦٣).

(٢) المرجع السابق (١/ ٦١٠) برقم (٣٦٧).

عصمت الدين خاتون

زوجةُ الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بنت الأتابك معين الدين [(١)]: تكثر القيام في الليل، فنامت ذات ليلة عن وردها، فأصبحت وهي غضبى، فسألها نور الدين عن أمرها، فذكرت نومها الذي فَوَّت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة في القلعة وقت السحر؛ لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجرًا جزيلًا، وجراية كثيرة.

ميمونة[(٢)]

بنت شاقولة، الواعظة التي هي للقرآن حافظة، ذَكَرَت يومًا في وعظها أن ثوبها الذي عليها -وأشارت إليه- له في صحبتها تلبسه منذ سبع وأربعين سنة، وما تغيَّر، وأنه كان من غزل أمها. قالت: والثوبُ إذا لم يُعص الله فيه، لا يتخرَّق سريعًا.

وقال ابنها عبد الصمد: كان في درانا حائط، يُريد أن يَنْقَضَّ، فقلتُ لأمي: ألا ندعو البَنَّاء ليصلح هذا الجدار؟ فأخذتْ رقعة، فكتبت فيها شيئًا، ثم أمرتني أن أضعها في موضع من الجدار، فوضعتها، فمكث على ذلك عشرين سنة، فلما توفيت، أردتُ أن أستعلم ما كتبت في الرقعة، فحين أخذتها من الجدار سقط، وإذا في الرقعة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١] «اللهم ممسك السماوات والأرض أمسكه».

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» حوادث سنة ٥٦٩هـ، فصل في وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى، وذكر شيء من سيرته العادلة وأيامه الكاملة.

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ٢٩٢) حوادث سنة ٣٩٣هـ.

الماوردية[1]

ذكر ابن الجوزي أنها كانت عجوزًا صالحة، من أهل البصرة، تتعظ النساءُ بها، وكانت تكتب وتقرأ، ومكثت خمسين سنة من عمرها لا تفطر نهارًا، ولا تنام ليلًا، وتقتات بخبز الباقلا، وتأكل من التين اليابس لا الرطب، وشيئًا يسيرًا من العنب والزيت، وربما أكلت من اللحم اليسير، وحين توفيت تبع أهلُ البلد جنازتها، ودُفنت في مقابر الصالحين.

عابدتان مدنيتان[2]

بلغنا عن عبد الله بن أخت مسلم بن سعد أنه قال: أردتُ الحجَّ فدفع إليَّ خالي عشرة آلاف درهم، وقال لي: إذا قدمت المدينة فانظر إلي أفقر أهل بيتٍ في المدينة فأعطهم إيَّاها. فلما دخلتُ سألتُ عن أفقر أهل بيت في المدينة، فدُللت على أهل بيت، فطرقتُ الباب، فأجابتني امرأة: مَن أنت؟

فقلتُ: رجلٌ من أهل بغداد أُودعت عشرة آلاف وأُمرت أن أُسلِّمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة، وقد وصفتم لي فخذوها. فقالت: يا عبد الله، إنَّ صاحبك اشترط أفقر أهل بيتٍ وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منَّا. فتركتُهم وأتيتُ أولئك فطرقتُ الباب، فأجابتني امرأة، فقلت لها مثل الذي قلته لتلك المرأة، فقالت: يا عبد الله، نحن وجيراننا في الفقر سواء فاقسمها بيننا وبينهم.

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٢/ ٩٤) حوادث سنة ٤٦٦هـ.

(٢) المرجع السابق (ص/ ٢٠١) برقم (٤٠، ٤١).

أختُ بِشْر الحافي(١)

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دقَّ البابُ يومًا، فخرجتُ، فإذا امرأة تستأذن على أبي، فَأَذِنَ لها، فقالت: أنا أغزل بالليل في السراج فربما طفئ السراج، فأغزل في ضوء القمر، فهل عليَّ أن أُبين غزل القمر من غزل السراج؟ فقال: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك.

فقالت: يا أبا عبد الله، أنينُ المريض شكوى؟ قال: أرجو ألا تكون شكوى؛ ولكنه اشتكاء إلى الله عزَّ وجلَّ. فخرجت.

فقال: يا بني، اتَّبع هذه المرأة وانظر أين تدخل. فتتبعتها فإذا قد دخلت بيت بِشْر وإذا هي أُخته، قال: فرجعتُ فقلتُ له، فقال: مُحال أن تكون مثل هذه إلَّا أخت بِشْر.

وقال عبد الله بن أحمد: جاءت مُخَّة، أختُ بشر إلى أبي، فقالت: إني امرأة رأس مالي دانقان، أشترى القطن فأردنه فأبيعه بنصف درهم، فأتقوت بدانق من الجمعة إلى الجمعة، فمرَّ ابن طاهر الطائف ومعه مشعل فوقف يكلم أصحاب المصالح، فاغتنمت ضوء المشعل، فغزلتُ طاقات ثم غاب عني المشعل، فعلمت أن لله في ذلك مطالبة، فخلِّصني خلَّصك الله. فقال: تخرجين الدانقين، وتبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله تعالى خيرًا منه.

(١) نفس المرجع السابق (ص/٢٠٣-٢٠٤) برقم (٤٨).

حبيبة العدوية[١]

وكانت حبيبة العدوية تقف بالليل إلى السَّحر، وتقول: قد خلا كلٌّ حبيبٍ بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك. فإذا جاء السَّحر، قالت: يا ليت شعري هل قبلت من ليلتي فأهنأ، أم رددتها عليَّ فأُعزَّى؟

عفيرة العابدة[٢]

ودخلوا على عفيرة العابدة، فقالوا: ادعي الله لنا. فقالت: لو خرس الخاطئون ما تكلمت عجوزكم، ولكن المحسن أمر المسيء بالدعاء، جعل الله قراكم الجنة، وجعل الموت مني ومنكم على بال.

وقدم ابنُ أخٍ لها من غيبةٍ طويلةٍ، فَبُشِّرت به؛ فبكت، فقيل لها: ما هذا البكاء؟! اليوم يوم فرح وسرور، فازدادت بكاءً، ثم قالت: واللهِ ما أجد للسرور في قلبي سكنًا مع ذِكْر الآخرة، ولقد أذكرني قدومه يوم القدوم على الله فمن بين مسرور ومثبور.

(١) «أحكام النساء» (ص/٢٠٦-٢٠٧) برقم (٥٥).
(٢) المرجع السابق (ص/٢٠٧) برقم (٥٦).

راهبة العابدة[1]

وكانت راهبة العابدة كثيرة التعبد، فلما احتضرت قالت: ياذُخري وذخيرق، ومَن عليه اعتمادي، لا تخذلني عند الموت، ولا تُوحشني في قبري، فماتت.

وكان ابنها يتردد إلى قبرها كل جمعة فرآها في المنام، فقال: يا أُمَّاه كيف أنت؟ قالت: يا بني إن للموت كربة شديدة، وأنا بحمد الله لفي برزخ محمود، نفترش فيه الريحان، ونتوسد فيه السندس والاستبرق إلى يوم النشور، وإنِّي لأبشر بمجيئك يوم الجمعة، فيقال لي: يا راهبة، هذا ابنك قد أقبل من أهله زائرًا لكِ، فأُسَرُّ بذلك، ويُسَرُّ مَنْ حَوْلي من الأموات.

بنتُ حاتم الأصم[2]

واختار بعض الأمراء بيت حاتم الأصم، فطلب ماءً، فَسُقي، فرمى إليهم شيئًا من المال، فوافقه أصحابُه، فبكت بُنَيَّة صغيرة لحاتم، فقالوا: ما يُبكيكِ؟ قالت: مخلوقٌ نَظَرَ إلينا فاستغنينا؛ فكيف لو نَظَرَ إلينا الخالقُ سبحانه وتعالي.

(١) نفس المرجع السابق (ص/٢٠٧-٢٠٨) برقم (٦٠).
(٢) أحكام النساء» (ص/٢٠٨) برقم (٦٤).

زمرد خاتون[1]

بنت جاولي، أخت الملك دقماق بن تتش لأمه، وهي بانية الخاتونية، ظاهر دمشق عند قرية صنعاء، بمكان يُقال له: تل الثعالب، غربي دمشق، على جانب الشرق القبلي بصنعاء الشام، وهي قرية معروفة قديمًا، وأوقفتها على الشيخ برهان الدين علي بن محمد البلخي الحنفي، المتقدم ذكره، وكانت زوجة الملك بروي بن طغتكين، فولدت له ابنيه: شمس الملوك إسماعيل المذكور، وقد ملك بعد أبيه، وسار سيرته، ومالأ الفرنج على المسلمين، وهمَّ بتسليم البلد والأموال إليهم، فقتلوه، وتملك أخوه، وذلك بعد مراجعتها ومساعدتها، وقد كانت قرأت القرآن، وسمعت الحديث، وكانت حنفية المذهب، تحب العلماء والصالحين، وقد تزوجها الأتابكي زنكي صاحب حلب؛ طمعًا في أن يأخذ بسببها دمشق، فلم يظفر بذلك، بل ذهبت إليه إلى حلب، ثم عادت إلى دمشق بعد وفاته، وقد دخلت بغداد، وسارت من هناك إلى الحجاز، وجاوزت بمكة سنة، ثم جاءت فأقامت بالمدينة النبوية حتى ماتت بها، ودُفنت بالبقيع في هذه السنة، وقد كانت كثيرة البر والصدقات، والصلاة، والصوم. قال السبط: ولم تمت حتى قلَّ ما بيدها، وكانت تغربل القمح، والشعير، وتتقوت بأجرته. هذا من تمام الخير والسعادة، وحسن الخاتمة، رحمها الله تعالى، والله أعلم.

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٢/ ٢١٢) حوادث سنة ٥٨٩هـ.

الشيخة الصالحة فاطمة خاتون(١)

بنت محمد بن الحسن العميد، كانت عابدةً زاهدةً، عمَّرت مائة سنة وست سنين، كان قد تَزَوَّجها في وقت أمير الجيوش مطر وهى بِكْر، فبقيت عنده إلى أن توفي، ولم تتزوج بعده؛ بل اشتغلت بذكر الله عزَّ وجلَّ.

ستُّ الشام

واقفة المدرستين البرانية والجوانية، الستُّ الجليلة المصونة، خاتون ست الشام بنت أيوب بن شادي، أختُ الملوك وعمَّةُ أولادهم، وأُمُّ الملوك، كان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكًا، منهم شقيقها المعظم توران شاه بن أيوب، صاحب اليمن، وهو مدفون عندها في القبر القبلي من الثلاثة، وفي الأوسط منها زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي، صاحب حمص، وكانت قد تزوَّجته بعد أبي ابنها حسام الدين عمر بن لاجين، وهي وابنها حسام الدين عمر في القبر الثالث، وهو الذي يلي مكان الدرس، ويُقال للتربة والمدرسة: الحسامية؛ نسبة إلى ابنها هذا حسام الدين عمر بن لاجين، وكان من أكابر العلماء عند خاله صلاح الدين، وكانت ستُّ الشام من أكثر النساء صدقة وإحسانًا إلى الفقراء والمحاويج، وكانت تعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب أشربة، وأدوية، وعقاقير، وغير ذلك، وتفرقه على الناس.

وكانت وفاتها يوم الجمعة آخر النهار، السادس عشر من ذى القعدة من هذه السنة في دارها التي جعلتها مدرسة، وهى عند المارستان، وهى الشامية الجوانية، ونُقلت منها إلى تربتها بالشامية البُرانية، وكانت جنازتها حافلة، رحمها الله.

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٣/٧) حوادث سنة ٥٨٩هـ.

عائشة بنت أبي عثمان
سعيد بن إسماعيل الحيرى النيسابوري[١]

عن أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، قال: كانت عائشة بنت أبي عثمان من أزهد أولاد أبي عثمان، وأورعهم، وأحسنهم حالًا ووقتًا، وكانت مجابة الدعوة، سمعت ابنتها أم أحمد بن عائشة تقول: قالت لي أمي: لا تفرحي بفانٍ، ولا تجزعي من ذاهب، وافرحي بالله عزَّ وجلَّ، واجزعي من سقوطك من عين الله عزَّ وجلَّ.

وسمعتها تقول: قالت لي أمي: الزمي الأدب ظاهرًا وباطنًا، فما أساء أحدٌ الأدب في الظاهر إلا عُوقب ظاهرًا، ولا أساء أحدٌ الأدب باطنًا إلا عُوقب باطنًا.

وقالت عائشة: مَن استوحش من وحدته، فذاك لقلة أُنْسِه بربِّه.

وقالت: مَن تهاون بالعبد فهو من قلة معرفته بالسيد، فمَن أحبَّ الصانع أحبَّ صنعته.

ماتت عائشة سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

(١) المرجع السابق (٢/ ٣٢٠) برقم (٦٨٩).

ألوف الموصلية[(١)]

أبو سليمان قال: خطب رجلٌ امرأةً من أهل الموصل يُقال لها: ألوف، فقالت للرسول: قل له ما يسرني أنك لي عبد وجميع ما تملكه لي، وأنك شغلتني عن الله عزَّ وجلَّ طَرْفةَ عينٍ.

رقية[(٢)]

عن عبيد الله بن عمر بن عبيد الله المعمري، قال: أنبأ جدي، **قال:** سمعت فتحًا الموصلي يقول: سمعتُ امرأة متعبدة عندنا تقول: إلهي وسيدي ومولاي: لو أنك عذَّبتني بعذابك كله لكان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب، ولو نَعَّمْتَني بنعيم أهل الجنة كلهم كانت لذة حُبِّك في قلبي أكثر.

قلتُ: هذه العابدة هي رقية.

وعن منصور بن محمد، قال: قالت رقية الموصلية: إني لأحب ربِّي حُبًّا شديدًا، فلو أمر بي إلى النار ما وجدتُ للنار حرارةً مع حُبِّه، ولو أمر بي إلى الجنة لما وجدتُ للجنة لذةً مع حُبِّه؛ لأنَّ حُبَّه هو الغالب عليَّ.

وعن محمد بن كثير المصيصي، قال: قالت رقية العابدة -وكانت بالموصل-: حرامٌ على قلب في رهبانية المخلوقين أن يذوق حلاوة الإيمان، شغلوا قلوبهم بالدنيا عن الله عزَّ وجلَّ ولو تركوها لجالت في الملكوت ورجعت إليهم بطرف الفوائد.

وكانت تقول: تفقهوا في مذاهب الإخلاص؛ ولا تفقهوا فيما يؤديكم إلى الركوب على القلاص.

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٣٦٣) برقم (٧٢٧).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٣٦٣) برقم (٧٢٨).

أمية بنت أبي المورع[1]

أبو الوليد، رباح بن أبي الجراح العبدي قال: ما رأيتُ قطُّ مثل أمية بنت أبي المورع الموصلية، وكانت من الخائفين، وكانت إذا ذكرت النار قالت: أدخلوا النار وأكلوا من النار، وشربوا من النار، وعاشوا، ثم تبكي، وكان بكاؤها أطول من ذلك، وكانت كأنها جبة على مقلي، وكانت إذا ذكرت النار بكت وأبكت دمًا، وما رأيت أحدًا أشد خوفًا ولا أكثر بكاءً منها.

موافقة، ويُقال موفقه[2]

أبو عبد الله الحصري قال: سمعتُ فتحًا الموصلي يقول: مرَّت بي امرأة متعبدة يُقال لها: موافقة، فعثرت فسقط ظفرُ إبهامها، فضحكت، فقيل لها: يا موافقة، يسقط إبهامك وتضحكين؟! فقالت: إنَّ حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

وعن عبد الله بن ضيق، قال: مرَّت بفتح الموصلي امرأة يُقال لها: موفقة، فعثرت فسقط ظفر إبهامها، فضحكت، فقيل لها: يا موفقة، سقط ظفر إبهامك وتضحكين؟ فقالت: واللهِ إنَّ حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

وقد رُوِي أن هذه القصة جرت لامرأة فتح الموصلي.

قال زيد بن أبي الزرقاء: عثرت امرأةُ فتح الموصلي فانقطع ظفرُها؛ فضحكت، فقيل لها: فأين ما تجدينه من حرارة الوجع؟ فقالت: إنَّ لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

(١) المرجع السابق (٢/ ٣٦٣) برقم (٧٢٩).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٣٦٤) برقم (٧٣٠).

عثمامة[١]

عن محمد بن سليمان: أنَّ عثمامة كُفَّ بصرُها، وكانت متعبدة.

وقال الجروي: حدَّثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عبد العزيز، قال: ما نعلمُ أحدًا أحنث في مشي فمشى إلا عثمامة، فإنها حنثت فمشت إلى مكة، فأنفقت خمسمائة دينار.

وعن محمَّد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء: أن أُمَّه عثمامة كُفَّ بصرُها فدخل عليها ابنها يومًا وقد صلًّى، فقالت: أصليتم أي بني؟ قال: نعم. فقالت:

عشام ما لك لاهية ... حلَّت بدارك داهيه
ابكي الصلاة لوقتها ... إن كنت يومًا باكيه
وابكي القرآن إذا تلي ... قد كنت يومًا تاليه
تتلينه بتفكر ... ودموع عينك جاريه
فاليوم لا تتلينه ... إلا وعندك تاليه
لهفي عليك صبابة ... ما عشت طول حياتيه

---

(١) المرجع السابق (٢/٤٣٨) برقم (٨٢٠).

عبدة أخت أبي سليمان الداراني[1]

عن أبي سليمان، قال: وصفتُ لأختي عبدة قنطرةً من قناطر جهنَّم، فأقامت يومًا وليلة في صيحةٍ واحدة ما تسكت، ثم انقطع عنها بعد، فكلما ذكرت لها صاحت، قلتُ: من أيِّ شيء كان صياحها؟ قال: مثلت نفسها على القنطرة وهي تكفأ بها.

وقد روى أحمد بن أبي الحواري، عن أبي سليمان أنه قال: سمعتُ أختي تقول: الفقراءُ كلُّهم أموات إلا من أحياه الله تعالى بعزِّ القناعة والرضا بفقره.

وذكر أبو عبد الرحمن السلمي: أنه كان لأبي سليمان أختان: عبدة وآمنة، قال: وكانتا من العقل والدين بمحل عظيم.

(١) المرجع السابق (٢/ ٤٣٩) برقم (٨٢٢).

رابعة بنت إسماعيل «زوجةُ أحمد بن أبي الحواري»[1]

كذا نسبها أبو بكر ابن أبي الدنيا، وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي أن رابعة العدوية تشارك هذه في اسمها واسم أبيها، وعموم ما يأتي في الحديث عن زوجة أحمد أنها رابعة بالباء، والعدوية بصرية، وهذه شامية.

وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: قلت لرابعة -وهي امرأتي وقد قامت بليل-: قد رأينا أبا سليمان وتعبدنا معه، ما رأينا من يقوم من أول الليل. فقالت: سبحان الله، مثلك يتكلم بهذا؟ إنما أقوم إذا نوديت. قال: وجلستُ آكل وجعلت تذكرني، فقلت لها: دعينا يهنينا طعامنا. قالت: ليس أنا وأنت ممن يتنقص عليه الطعام عند ذكر الآخرة.

وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: قالت لي رابعة: أي أُخي، أعلمت أنَّ العبد إذا عمل بطاعة الله أطلعه الجبار على مساوئ عمله فيتشاغل به دون خَلْقِه؟

وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: كانت لرابعة أحوال شتَّى؛ مرة يغلب عليها الحُبُّ، ومرة يغلب عليها الأُنْسُ، ومرة يغلب عليها الخوفُ، فسمعتها تقول في حالة الحُبِّ:

حبيبٌ ليس يَعْدله حبيب ... ولا لسواه في قلبي نَصيب
حبيب غَابَ عن بصري وشخص ... ولكن عن فؤادي ما يغيب

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٤٣٩-٤٤١) برقم (٨٢٣).

وسمعتها في حالة الأُنْس تقول:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحتُ جسمي مَن أراد جلوسي
فالجسمُ مني للجليس مؤانس وحبيبُ قلبي في الفؤاد أَنيسي

وسمعتها في حالة الخوف تقول:

وزادي قليلٌ ما أراه مُبَلِّغي أللزاد أبكي أم لطولِ مسافتي؟
أتحرقني بالنار يا غاية المُنَى فأين رجائي فيك؟ أين محبتي؟

أحمد بن أبي الحواري قال: سمعتُ رابعة تقول: إني باللقمة الطيبة أن أطعمها نفسي، وإني لأرى ذراعي قد سمن فأحزن. قال: وربما قلتُ لها: أصائمة أنت اليوم؟ فتقول: ما مثلي يفطر في الدنيا. قال: وربما نظرتُ إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبي على رؤيتها ما لا يتحرك مع مذاكرتي أصحابنا من أثر العبادة. وقالت لي: لستُ أحبُّكَ حبَّ الأزواج؛ إنما أحبُّكَ حبَّ الإخوان، وإنما رغبتُ فيك رغبةً في خدمتك؛ وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل ملكي ومالي مثلك ومثل إخوانك.

قال أحمد: وكانت لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها عليَّ؛ فكانت إذا طبخت قدرًا قالت: كلها يا سيدي والله ما نضجت إلا بالتسبيح. وقالت لي: لست أستحل أن أمنعك نفسي وغيري، اذهب فتزوج. قال: فتزوجت ثلاثًا وكانت تطعمني اللحم، وتقول: اذهب بقوتك إلى أهلك.

وكنتُ إذا أردتُ جماعها نهارًا، قالت: أسألك بالله لا تفطر في اليوم، وإذا أردتها بالليل، قالت: أسألك بالله لما وهبتني لله الليلة.

وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعتُ رابعة تقول: ما سمعتُ الأذان إلا ذكرت منادي القيامة، ولا رأيتُ الثلج إلا رأيتُ تطاير الصحف، ولا رأيتُ جرادًا إلا ذكرت الحشر.

وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: قالت لنا رابعة: نَحُّوا عَنِّي ذلك الطست، فإنما عليه مكتوب: مات أمير المؤمنين هارون الرشيد. وقال أحمد: فنظروا فإذا هو مات ذلك اليوم.

وقال: سمعتُ رابعة تقول: ربما رأيت الجنَّ يذهبون ويجيئون، وربما رأيت الحور العين يستترون منهنَّ بأكمامهنَّ، وقالت: بيدها على رأسها.

وقال أحمد: ودعوت رابعة فلم تجبني، فلما كان بعد ساعة أجابتني وقالت: إنما منعني من أن أجيبك، أن قلبي قد كان امتلأ فرحًا بالله، فلم أقدر أن أجيبك.

أُمُّ هارون(١)

عبد العزيز بن عمير قال: قالت أُمُّ هارون -وكانت من الخائفين العابدين-: قد أنزلت الدنيا منزلتها. وكانت تأكل الخبز وحده، قالت: يأبى الليل ما أطيبه، إني لأغتم بالنهار حتى يجيء الليل، فإذا جاء الليل قمت أوله، فإذا جاء السَّحر دخل الروح قلبي.

قال أحمد بن أبي الحواري: وخرجت أُمُّ هارون من قريتها تريد موضعها، فصاح صبيٌّ بصبيٍّ خذوه، فسقطت أُمُّ هارون فوقعت على حجر فدُميت، فظهر الدم من مقنعتها.

قال: وقال أبو سليمان: مَن أراد أن ينظر إلى صعق صحيح فلينظر إلى أُمِّ هارون.

وقال أبو سليمان: ما كنت أرى أن يكون بالشام مثلها.

قال أحمد بن أبي الحواري: وقالت لي رابعة: ما دهنت أُمُّ هارون رأسها منذ عشرين سنة، فإذا كشفنا رءوسنا كان شَعْرها أحسن من شعورنا.

وبالإسناد، قال أبو بكر القرشي: وبلغني عن القاسم الجوعي قال: مرضت أُمُّ هارون فأتينا نعودها أنا وصاحب لي، فدخلنا عليها وهى على طرف الدرجة فسألنا عن حالها، فقلت لها: أم هارون، أيكون من العباد من يشغله خوف النيران عن الشوق إلى الجنان؟ فقالت: آه. وسقطتْ عن الدرجة مغشيًّا عليها.

(١) المرجع السابق (٢/ ٤٤١-٤٤٢) برقم (٨٢٤).

قال قاسم: وكانت أُمُّ هارون تأتي بيت المقدس من دمشق كل شهر مرة على رجليها، فدخلت عليها، فقالت: يا قاسم، كنتُ أمشي ببيسان فإذا قد تعرض لي هذا الكلب (الأسد) فمشى نحوي، فلما قرب مني نظرتُ إليه، فقلتُ: تعال يا كلب، إنْ كان لك رزق فكُل، فلما سمع كلامي أقعد ثم ولَّى راجعًا.

وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: قلت لأمِّ هارون: أتحبين الموت؟ قالت: لا. قلت: وَلِمَ؟ قالت: لو عصيتُ آدميًا ما أحببتُ لقاءه، فكيف أحبُّ لقاءَ الله وقد عصيته؟!

فاطمة بنت عبد الرحمن بن عبد الغفار الحراني[(١)]

علي بن أبي سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى المصري قال: أنبأ أبي، قال: فاطمة بنت عبد الرحمن تكنى أم محمد، مولدها ببغداد، وقدم بها إلى مصر وهي حدثة، سمعت من أبيها، وطال عمرها حتى جاوزت الثمانين، وكانت تُعرف بالصوفية؛ لأنها أقامت تلبس الصوف ولا تنام إلا في مُصَلاها بلا وطاء فوق ستين سنة.

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٤٦١) برقم (٨٥٠).

أُمُّ أيمن بنتُ علي[(١)]

امرأةُ أبي علي الروذباري، واسمها عزيزة.

قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين: سمعتُ بعض أصحابنا يقول: كانت عزيزة امرأة أبي علي تقول: كيف لا أرغب في تحصيل ما عندك، وإليك مرجع؟ وكيف لا أحبك وما لقيت خيرًا إلا منك؟ وكيف لا أشتاق إليك وقد شوقتني إليك؟

وحكي عنها أنها قالت: لا ينتفع العبد بشيء من أفعاله كما ينتفع بطلب قوته من حلال.

قال: وخرجت يومًا من مصر وقت خروج الحاج والجِمال تمرُّ بها وهى تبكي، وتقول: واضعفاه، وتنشد على أثره وتقول:

فقلتُ: دعوني واتباعي ركابكم أكن طوع أيديكم كما يفعل العبد
وما بال رغمي لا يهون عليهم وقد علموا أن ليس لي منهم بد

وتقول: هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف ترى حسرة من انقطع عن الوصول إلى ربِّ البيت؟

(١) المرجع السابق (٢/ ٤٦١) برقم (٨٥١).

تحية النوبية(١)

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال: سمعت المالِيني الصوفي يقول: دخلتُ على تحية زائرًا فسمعتها من داخل البيت وهى تناجي وتقول في مناجاتها: يا مَن يُحبني وأحبه.

فدخلتُ إليها وسلَّمتُ عليها وقلت: يا تحية، هبي أنك تحبين الله تعالى؛ فمن أين تعلمين أنه يحبك؟ فقالت: نعم، إني كنت في بلد النوبة، وأبواي كانا نصرانيين، وكانت أمي تحملني إلى الكنيسة وتجيء بي عند الصليب وتقول: قبِّلي الصليبَ، فإذا هممتُ بذلك أرى كفًّا تخرج فترد وجهي حتى لا أقبله، فعلمتُ أنَّ عنايته بي قديمة.

عليلة بنت الكميت(٢)

أبو خالد القرشي قال: استأذنا على عليلة بنت الكميت وكانت من العابدات، قال: وذلك وقت الظهر، فقالوا: هي تصلي. فلم نزل ننتظرها إلى العصر، فلما صلَّت العصر أذنت لنا، فدخلنا عليها، فقلنا: رحمك الله، لم نزل قعودًا منذ الظهر ننتظرك. قالت: سبحان الله قعودًا لم تصلوا بين الظهر والعصر؟ قلنا: لا. قالت: ما ظننتُ أنَّ أحدًا لا يصلي بين الظهر والعصر. قال: وانقبضت عنَّا انقباضًا شديدًا.

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٤٦١-٤٦٢) برقم (٨٥٢).
(٢) المرجع السابق (٢/ ٥٠٦-٥٠٧) برقم (٩٣٤).

هنيدة[١]

عن عامر بن أسلم الباهلي، عن أبيه قال: كانت لنا جارية في الحيِّ يُقال لها: «هنيدة» فكانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه، فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها، فتقول لهم: قوموا فتوضئوا وصلوا، فستغبطون بكلامي هذا. فكان هذا دأبها معهم حتى ماتت. فرأى زوجها في منامه: إنْ كنت تحب أن تزوجها هناك فاخلفها في أهلها بمثل فعلها. فلم يزل دأب الشيخ حتى مات. فأتى أكبر ولده في منامه فقيل له: إنْ كنت تحب أن تجاور أبويك في درجتهما من الجنة فاخلفهما في أهلهما بمثل عملهما. قال: فلم يزل دأبه حتى مات، فكانوا يدعون القوامين.

فاطمة النيسابورية[٢]

عن محمد بن الحسن بن علي بن خلف، قال: سمعتُ ابن ملوك -وكان شيخًا كبيرًا رأى ذا النون المصري- قال: وسألته: مَن أجلُّ من رأيت؟ قال: ما رأيتُ أجلَّ من امرأة رأيتها بمكة يُقال لها: فاطمة النيسابورية؛ وكانت تتكلم في فهم القرآن، وتعجبت منها، فسألت ذا النون عنها، فقال لي: هي ولية من أولياء الله عزَّ وجلَّ، وهي أستاذي، فسمعتها تقول: مَن لم يكن الله عزَّ وجلَّ منه على بال؛ فإنه يتخطى في كل ميدان، ويتكلم بكل لسان، ومَن كان الله منه على بالٍ أخرسه إلا عن الصدق، وألزمه الحياء منه والإخلاص.

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٥٠٧) برقم (٩٣٥).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٣١٩) برقم (٦٨٨).

قال: وقالت فاطمة: الصادق المغرب في بحر تضطرب عليه أمواج، يدعو ربَّه دعاء الغريق، يسأل ربَّه الخلاص والنجاة.

وقالت فاطمة: مَن عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومَن عمل على مشاهدة الله إيَّاه فهو مخلص.

قال السلمي: كانت فاطمة النيسابورية من قدماء نساء خراسان، أتى إليها أبو يزيد البسطامي، وسألها ذو النون عن مسائل، وكانت مجاورة بمكة، وربما دخلت إلى بيت المقدس ثم رجعت إلى مكة.

وقال أبو يزيد البسطامى: ما رأيتُ في عمري إلا رجلًا وامرأة؛ والمرأة فاطمة النيسابورية ما أخبرتها عن مقام من المقامات إلا وكان الخبر لها عيانًا.

وقال لها ذو النون: أعطيني، وقد اجتمعا ببيت المقدس. فقالت له: الزم الصدق، وجاهد نفسك في أفعالك.

ماتت فاطمة بمكة في طريق العمرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين.

وآن لنا الآن أن ننتقل إلى سيرة النساء المجاهدات؛ حيث تاريخنا الإسلامي زاخر ومليء بمواقف بطولية رائعة للنساء المسلمات المجاهدات، وإليكم بعضها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

المرأة مجاهدة

أُمُّ عُمارَة نَسِيبَةُ بنتُ كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول

الفاضلةُ المجاهدةُ الأنصاريةُ الخزرجيةُ النجاريةُ المازنيةُ المدنيةُ. كان أخوها عبد الله بن كعب المازني من البدريين. وكان أخوها عبد الرحمن من البكائين.

شَهِدتْ أُمُّ عُمارة ليلة العقبة، وشهدتْ أُحُدًا، والحديبية، ويوم حُنين، ويوم اليمامة. وجاهدت، وفعلت الأفاعيل.

رُوي لها أحاديث. وقطعت يدها في الجهاد.

وقال الواقدى: شهدتْ أُحُدًا مع زوجها غَزِية بن عمرو، ومع ولديها.

خرجت تَسقي، ومعها شَنٌّ وقاتلتْ، وأبلتْ بلاءً حسنًا، وجرحت اثني عشر جرحًا.

وكان ضَمْرةُ بن سعيد المازني يحدث عن جَدته، وكانتْ قد شَهدتْ أُحُدًا، وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**لَمقامُ نَسْيبَة بنت كعبٍ اليومَ خَيْرٌ من مُقَام فُلان وفُلان**».

وكانت تراها يومئذ تُقاتل أشد القتال، وإنها لحاجزةٌ ثوبَها على وسطها، حتى جُرحت ثلاثة عشر جرحًا، وكانت تقول: إني لأنظر إلى ابن قَمِئةَ وهو يضربها على

عاتقها، وكان أعظم جراحها، فداوتْهُ سنةً، ثم نادى منادي رسول الله ﷺ: إلى حمراء الأسد. فشدت عليها ثيابَها، فما استطاعت من نزف الدم.

وعن عمارة بن غزية، قال: قالت أُمُّ عمارة: رأيتني، وانكشف الناسُ عن رسول الله ﷺ، فما بقي إلا في نُفَير ما يتمُّون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نَذُبُّ عنه، والناس يمرون به منهزمين، ورآني ولا تُرْس معي، فرأى رجلًا موليًا ومعه ترس، فقال: **«ألقِ تُرسكَ إلى مَن يقاتلُ»** فألقاه، فأخذتُهُ، فجعلت أُتَرِّسُ به عن رسول الله ﷺ.

وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، لو كانوا رجالةً مثلنا أصبناهم، إن شاء الله. فيُقبلُ رجلٌ على فرس، فيضربني، وترستُ له، فلم يصنع شيئًا وولَّى، فأضرب عرقوب فرسه، فوقع على ظهره. فجعل النبي ﷺ يصيح: **«يابن أُمِّ عمارة، أُمَّكَ! أُمَّكَ!»** قالت: فعاونني عليه، حتى أوردتهُ شعوب(١)

قلت: ضعيف.

وعن عبد الله بن زيد، قال: جُرحت يومئذ جرحًا، وجعل الدم لا يرقأ. فقال النبي ﷺ: **«اعصبْ جُرحك»**. فتقبل أُمّي إليَّ، ومعها عصائب في حقوها، فربطت جرحي، والنبي ﷺ واقف، فقال: **«انهض بني، فضارب القومَ!»** وجعل يقول: **«مَن يُطيقُ ما تُطيقين يا أُم عُمارة؟!»**. قالت: فأقبل الذي ضرب ابني، فقال رسول الله ﷺ: **«هذا ضاربُ ابنِك»**. قالت: فأعترض له، فأضرب ساقه، فبرك. فرأيت رسول الله ﷺ يبتسم، حتى رأيت نواجذه، وقال: **«استقدت يا أُم عُمارة!»** ثم أقبلنا نَعْلُه بالسلاح، حتى أتينا على نفسه؛ فقال النبي ﷺ: **«الحمدُ لله الذي ظَفَّرِكِ»**. قلتُ: ضعيف.

---

(١) انظر: «السير» (٣/٥١٦-٥١٨) برقم (١٤٦) ط التوفيقية، وانظر: «من أعلام النساء» (ص/٤١-٤٢). وانظر: «صفة الصفوة» برقم (١٤٥).

وعن **الحارث بن عبد الله، قال**: سمعتُ عبد الله بن زيد بن عاصم يقول: شهدت أُحُدًا، فلما تفرَّقوا عن رسول الله ﷺ، دنوتُ منه أنا وأُمِّي، نَذُبُّ عنه، فقال ﷺ: «**ابنَ أُم عُمارة؟**» قلت: نعم. قال: «**ارم**» فرميتُ بين يديه رجلًا بحجر -وهو على فرس- فأصبتُ عين الفرس؛ فاضطرب الفرس، فوقع هو وصاحبه، وجعلتُ أعلوه بالحجارة، والنبي ﷺ يبتسم.

ونظر إلى جرح أُمِّي على عاتقها، فقال ﷺ: «**أُمَّكَ أُمَّكَ! اعصبْ جُرحَها، اللهم اجعلهم رُفقائي في الجنة**». قلتُ: ما أُبالي ما أصابني من الدنيا.

وعن **موسى بن ضمرة بن سعيد، عن أبيه، قال**: أتى عمر بن الخطاب بمروط فيها مِرْط جيدٌ، فبعث به إلي أُمِّ عُمارة.

وعن **امرأةٍ، عن أُمِّ عُمارة، قالت**: أتانا رسول الله ﷺ فقرَّبنا إليه طعامًا، وكان بعض من عنده صائمًا، فقال النبي ﷺ: «**إذا أُكلَ عند الصائم الطعامُ؛ صلَّت عليه الملائكة**».

وعن **محمد بن يحيى بن حبان، قال**: جُرحت أُمُّ عُمارة بأُحُد اثني عشر جرحًا، وقطعت يدها يوم اليمامة، وجُرحت يوم اليمامة سوى يدها أحد عشر جرحًا. فقدمت المدينة وبها الجراحة، فلقد رئي أبو بكر -وهو خليفة- يأتيها يسألُ عنها.

وابنها خبيب بن زيد بن عاصم هو الذي قطعه مسيلمةُ؛ وابنها الآخر عبد الله بن زيد المازني، الذي حكى وضوء رسول الله ﷺ، وقُتل يوم الحرة، وهو الذي قتل مسيلمة الكذَّاب بسيفه.

الخنساء(١)

في الجاهلية: ملأت البوادي نواحًا على شقيقها صَخْر.

وفي الإسلام: قدمت أشطاء كبدها، ونياط قلبها، أربعة من الأسود خرجوا إلى القادسية، فكان مما أوصتهم به قولها: يابَنِيَّ، إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، واللهِ الذي لا إله إلا هو؛ إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجنت حسبكم، وما غيرت نسبكم، واعلموا أنَّ الدار الآخرة خيرٌ من الدار الفانية. اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شَمَّرت عن ساقها، وجللتم نارًا علي أوراقها؛ فيمموا وطيسها وجالدوا رسيسها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة ... فلما كشَّرت الحرب عن نابها، تدافعوا إليها، وتواقعوا عليها، وكانوا عند ظنِّ أُمهم بهم حتى قُتلوا واحدًا في إثر واحد، ولما وافتها النعاة بخبرهم لم تزد على أن قالت: الحمدُ لله الذي شرَّفني بقتلهم، وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة(٢).

---

(١) انظر: علو الهمة: للعفاني (٧/ ١٧٤).

(٢) المرجع السابق نَقْلًا من «الاستيعاب» لابن عبد البر (٤/ ٢٩٧)، والإصابة (٧/ ٦١٥-٦١٦).

أم سليم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: شهدت أُمُّ سُليم «حنينًا» مع رسول الله ﷺ ومعها خنجر قد حزمته على وسطها، وإنها يومئذ حامل بعبد الله بن أبي طلحة، فقال أبو طلحة: يا رسول الله، إنَّ أُمَّ سليم معها خنجر. فقالت: يا رسول الله، أتخذه إنْ دنا مني أحد من المشركين بَقَرْتُ بطنه، أقتل به الطلقاء، وأضرب أعناقهم إن انهزموا بك. فتبسَّم رسول الله ﷺ، وقال: «يا أم سليم، إنَّ الله قد كفى وأحسن»[1].

(١) انظر: «عودة الحجاب» (٢/ ٥٤٨) نَقْلًا من «الطبقات» (٨/ ٣١١) وصححه الحافظ في «الإصابة» (٨/ ٢٢٩).

صفية بنت عبد المطلب

ولمَّا مات عبد الله بن الفرج لم تُعْلِم زوجته لإخوانه بموته، وهم جلوس بالباب ينتظرون الدخول عليه في علته، فغسلته، وكفنته في كساء كان له، فأخذت فرد باب من أبواب بيته، وجعلته فوقه، وشدته بشريط، ثم قالت لإخوانه: قد مات، وقد فرغت من جهازه. فدخلوا، فاحتملوه إلى قبره، وأغلقت الباب خلفهم[١].

ولما انهزم المسلمون بأُحُد بعد أن خالف الرماة أمر رسول الله ﷺ بالثبات سواء كان النصر أم كانت الأخرى، وانفض أكثر الناس عن رسول الله ﷺ، ولم يبق حوله سوى القلائل من أصحابه، قامت صفية رضي الله عنها وبيدها رمح تضرب به في وجوه الناس الفارين المنهزمين، والأعداء المشركين، وتقول لهم: انهزمتم عن رسول الله!! فلما رآها رسول الله ﷺ أشفق عليها فقال لابنها -الزبير بن العوام-: «**القها فأرجعها؛ لا ترى ما بشقيقها**» أي: حمزة بن عبد المطلب. فلقيها الزبيرُ فقال: يا أماه، إنَّ رسول الله ﷺ يأمركِ أن ترجعي... ».

فقالت صفية: وَلِمَ؟ فقد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي، وذلك في الله عزَّ وجلَّ قليلٌ، فما أرضانا بما كانَ من ذلك، لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله تعالى.

وعاد الزبيرُ إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فقال ﷺ: «**خَلِّ سبيلها**». فأتتْ صفيةُ «حمزة» فنظرت إليه، وصلت عليه، واسترجعت، واستغفرت، ثم أَمَرَ رسول الله ﷺ به فَدُفِن[٢].

---

(١) المرجع السابق نَقْلًا من «الغرباء» للآجري (ص/٦٧).

(٢) المرجع السابق نَقْلًا من «المرأة المسلمة» عبد الله عفيفي (٢/ ١٢٩-١٣٠)، «الروض الأنف» للسهيلي (٣/ ١٧٢).

وَلَمَّا خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق[١]، جعل نساءه في أطم يُقال له: فارع.

ويروى عن أبي أسامة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: «كان النبي ﷺ إذا خرج لقتال عدوه رفع نساءه في أطم حسان تلأنه كان من أحص الآطام، إلى أن قال: فجاء يهودي فلصق بالأطم ليسمع، قالت صفية: فأخذتُ عمودًا فنزلت إليه حتى فتحت الباب قليلًا قليلًا، فحملت عليه فضربته بالعمود فقتلته».

وفي رواية: «... فجاء إنسان من اليهود فرقي في الحصن» حتى أطلَّ عليهنَّ، قالت صفية بنت عبد المطلب: فقمتُ إليه، فضربته حتى قطعت رأسه، فأخذت رأسه فرميت به عليهم»[٢].

في طريق عودة النبي ﷺ من غزوة أُحُد إلى المدينة خرج الناسُ من المدينة للاستفسار عن نبيهم ﷺ وذويهم المشتركين في المعركة، ويروى أنه كانت من بينهم امرأة من بني دينار قُتل يوم أُحُد أبوها وزوجها وأخوها وابنها، فلما نعوا لها لم تكترث كثيرًا، فقد أنساها قلقُها علي حياةِ رسول الله ﷺ كلَّ أحدٍ، ولهذا فإنها قالت بعد أن نُعي لها أبوها وابنها وأخوها وزوجها: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه. فلما رأته سالمًا قالت -مشيرة إلى مصيبتها بفقد أبيها وزوجها وابنها وأخيها-: كلُّ مصيبةٍ بعدك جللٌ.

---

(١) ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٢٧)، والحاكم (٤/ ٥١) وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: لمروة لم يدرك صفية. وأورده الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٣٤) وقال: رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح، ولكنه مرسل. انظر: هامش «عودة الحجاب» (٢/ ٥٥١).

(٢) انظر: «الإصابة» (٧/ ٧٤٤)، وهامش المرجع السابق.

وفي رواية: أن الدينارية هذه جاءت إلى مصارع القوم في المعركة فمرت بأبيها وابنها وزوجها صَرْعَى، وكلما سألت عن واحدٍ وقالت: «مَن هذا؟» قيل لها: «هذا أبوك، وابنك، وزوجك، وأخوك» فلم تكترث، بل صارت تقول: «ما فعل رسول الله؟» فيقولون: «أمامك» حتى جاءته وأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أُبالي إذا سَلِمْتَ من عطب»[(١)].

وقبل أن يدخل الرسول ﷺ عزَّاها بابنها عمرو بن معاذ -وقد استشهد في غزوة أُحُد وله اثنتان وثلاثون سنة- فقالت: «أما إذا رأيتك سالمًا؛ فقد اشتويت المصيبة» -أي استقللتها- ثم دعا رسول الله ﷺ لأهل من قُتل بأُحُد، وقال لأُمِّ سعد: «**يا أم سعد أبشري، وبشري أهلهم أنَّ قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعًا، وقد شفعوا في أهلهم جميعًا**». قالت: رضينا يا رسول الله، ومَن يبكي عليهم بعد هذا؟! ثم قالت: يا رسول الله، ادع لمن خلفوا منهم. فقال ﷺ: «**اللهم أذهب حزن قلوبهم، واجبر مصيبتهم، وأحسن الخلف على مَن خلفوا**»[(٢)].

وفي وقعة اليرموك حرَّض أبو سفيان رضي الله عنه النساء، فقال[(٣)]: «مَن رأيتنه فارًّا فاضربنه بهذه الأحجار والعصي حتى يرجع». وحمل المسلمون على الروم حملة منكرة، ودارت بينهم الحرب كما تدور الرحى، وتكاثرت جموع الروم على ميمنة المسلمين،

فعادت الخيل تنكص بأذنها راجعة على أعقابها منكشفة كانكشاف الغنم بين

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» (٢/ ٤٤)، وهامش المرجع السابق.
(٢) من «السيرة الحلبية» (٢/ ٤٧)، وهامش المرجع السابق.
(٣) «عودة الحجاب» نقلًا من «البداية والنهاية» (٧/ ١١).

يدي الأسد، ونظرت النساء خيل المسلمين راجعة على أعقابها، فنادت النساء: «يا بنات العرب! دونكنَّ والرجال، ردوهم من الهزيمة حتى يعودوا إلي الحرب». قالت سعيدة بنت عاصم الخولاني: «كنتُ في جملة النساء يومئذ على التل، فلما انكشفت ميمنة المسلمين صاحت بنا عقيرة بنت غفار، وكانت من المترجلات الباذلات، ونادت: «يا نساء العرب! دونكنَّ والرجال، واحملن وأولادكن على أيديكن، واستقبلنهن بالتحريض» فأقبلت النسوة، واستقبلن من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة، ويرجمن وجوه الخيل بالحجارة، وجعلت ابنة العاص بن منبه تنادى: «قبَّح الله وجه رجل يفرعن حليلته». وجعلت النساء يقلن لأزواجهن: «لستم لنا ببعولة إن لم تمنعوا عنَّا هؤلاء الأعلاج»(١). وكانت خولة بنت الأزور تقول هذه الأبيات:

يا هاربًا عن نسوة ثقاتْ ... لها جمال ولها ثباتْ
تُسْلِمُوهُنَّ إلى الهَنات ... تَمْلِكُ نواصينا مع البنات
أعداء فُسْق عُتاة ... ينلن منا أعظم الشتات

قال ابن جرير: وقد قال نساء المسلمين في هذا اليوم، وقتلوا خلقًا كثيرًا من الروم، وكنَّ يضربن مَن انهزم من المسلمين، ويقلن: «أين تذهبون وتدعونا للعلوج؟ فإذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال» اهـ.

ورجعت النساء تحرض الفرسان على القتال، فرجع المنهزمون رجعة عظيمة، عند ما سمعوا تحريض النساء، وخرجت هند بنت عتبة، وبيدها مزهر، ومن خلفها نساء من المهاجرين، وهي تقول الشعر الذي قالته يوم أُحُد:

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق

---

(١) المرجع السابق، وانظر: «البداية والنهاية» (٧/ ١١).

مشى القطا الموافق قيدي مع المرافق
ومَن أَبى نفارق إن تغلِبوا نعانق
أو تدبروا نفارق فراق غير وائق
هل من كريم عاشق يحمي عن العواتق

ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين، فرأتهم منهزمين، فصاحت بهم: «إلى أين تهزمون؟ وإلى أين تفرون؟ مِن الله ومن جنته؟! هو مُطَّلِع عليكم» ونظرت إلى زوجها أبي سفيان منهزمًا، فضربت وجه حصانه بعمودها، وقالت له: «إلى أين صخر؟ ارجع إلى القتال، ابذل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله ﷺ». قال: فعطف أبو سفيان عندما سمع كلام هند، وعطف المسلمون معه، ونظرت إلى النساء وقد حمل معهنَّ. وقد رأيتهنَّ يسابقن الرجال، وبأيديهن العمد بين أجل الخل[1]، ولقد رأيت منهنَّ امرأة وقد أقبلت على علج عظيم وهو على فرسه، فتعلقت به، وما زالت به حتى نكبته عن جواده، وقتلته، وهي تقول: «هذا بيان نصر الله للمسلمين». «وفي هذه الموقعة قتلت أسماء بنت يزيد بن السَّكن بعمود خبائها تسعة من الروم». قال الزبير بن العوام رضي الله عنه: «وحمل المسلمون حملةً منكرة لا يريدون غير رضا الله ورسوله ﷺ» فانكسر الروم.

ويروى أنه لما أُسر ضرار بن الأزور في وقعة أجنادين سار خالد بن الوليد في طليعة من جنده لاستنقاذه، فبينا هو في الطريق، مرَّ به فارس معتقل رمحه، لا يبين منه إلا الحدق، وهو يقذف بنفسه، ولا يلوي على ما ورائه، فلما نظر خالد قال: «ليت شعري من هذا الفارس؟ وايم الله إنه لفارس» ثم اتبعه خالد والناس من ورائه، حتى أدرك جند الروم، فحمل عليهم، وأمعن بين صفوفهم، وصاح بين جوانبهم، حتى زعزع كتائبهم، وحطَّم مواكبهم، فلن

(١) المرجع السابق (٢/ ٥٥٨).

تكن غير جولة جائل، حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء، وقد قتل رجالًا، وجندل أبطالًا، ثم عرَّض نفسه للموت ثانية، فاخترق صفوف القوم غير مكترث، وخامر المسلمين من القلق والإشفاق عليه شيء كثير، وظنَّه أناس خالدًا، حتى إذا قدم خالد قال له رافع بن عميرة: «مَن الفارس الذي تقدَّم أمامك؟ فلقد بذل نفسه ومهجته» فقال خالد: «واللهِ لأنا أشدُّ إنكارًا وإعجابًا لِمَا ظهر من خلاله وشمائله». وبينا القوم في حديثهم، خرج الفارس كأنه الشهاب الثاقب، والخيل تعدو في أثره، وكلما اقترب أحدٌ منه ألوى عليه، فأنهل رمحه من صدره حتى قدم على المسلمين، فأحاطوا به وناشدوه كشف اسمه، ورفع لثامه، وناشده ذلك خالد، وهو أمير القوم وقائدهم؛ فلم يحر جوابًا، فلما أَكْثَرَ خالد أجابه وهو مُلَثَّم، فقال: «أيها الأمير، إنِّي لم أُعْرِض عنكَ إلا حياءً منك؛ لأنك أميرٌ جليلٌ، وأنا من ذوات الخدود، وبنات الستور، وإنما حملني على ذلك أنِّي مُحْرَقَةُ الكبد، زائدة الكمد». فقال خالد: «مَن أنتِ؟». قالت: «أنا خَوْلَةُ بنت الأزور، كنتُ مع نساء قومي، فأتاني آت بأنَّ أخي أسير، فركبتُ، وفعلتُ ما رأيت» هنالك صاح خالد في جنده، فحملوا، وحملت معهم خولة، وعظُم على الروم ما نزل بهم منها، فانقلبوا على أعقابهم، وكانت تجول في كل مكان، عليها تعرف أين ذهب القومُ بأخيها، فلم تَرَ له أثرًا، ولا وقفت له على خبر؛ على أنها لم تزل على جهادها، حتى استنقذ لها أخوها.

ومن مواقفها الرائعة موقفها يوم أُسر النساء في موقعة «صحورا» فقد وقفت في النساء -وكانت قد أسرت معهنَّ- فأخذت تثير نخوتهنَّ، وتضرم نار الحمية في قلوبهنَّ، ولم يكن من السلاح شيء معهن، فقالت عفراء بنت عفار: «واللهِ ما دعوت إلى ما هو أحب إلينا مما ذكرت» ثم تناولت كلٌّ واحدة عمودًا من عمد الخيام، وصاحت صيحة واحدة، وألقت خَوْلَةُ على عاتقها عمودها وتتابع النساء وراءها، فقالت لهنَّ خَوْلَةُ: «لا ينفك بعضكنَّ عن بعض، وكنَّ كالحلقة

الدائرة، ولا تتفرقن فَتُملكْنَ، فيقع بكنَّ التشتيت، واحطمن رماح القوم، واكسرن سيوفهم» وهجمت خولة، وهجم النساء وراءها، وقاتلت بهنَّ قتال المستيئس المستميت» حتى استنقذتهنَّ من أيدي الروم، وخرجتْ وهي تقول:

نحن بنات تُبَّعٍ وَحِمْيَر وَضَرْبُنا في القومِ ليس يُنْكَر
لأننا في الحربِ نارٌ تسعر اليوم تُسْقَون العذاب الأكبر(١)

---

(١) المرجع السابق نَقْلًا من «فتوح الشام» (١/٢٨-٢٩).

أُمُّ إبراهيم الهاشمية(١)

أُمُّ إبراهيم الهاشمية -وهي حكاية مشهورة- حكاها جماعة منهم أبو جعفر أحمد بن جعفر بن اللبان في كتابه المسمَّى **«تنبيه ذوي الأقدار على مسالك الأبرار»** قال: وذكر أنه كان بالبصرة نساء عابدات، وكانت منهنَّ أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدو على ثغرٍ من ثغور المسلمين، فانتُدب الناس للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد البصري في الناس خطيبًا فحضَّهم على الجهاد، وكانت أُمُّ إبراهيم هذه حاضرة في مجلسه، وتمادى عبد الواحد على كلامه، ثم وصف الحور العين، وذكر ما قيل فيهنَّ، وأنشد في صفة حوراء:

غادةٌ ذات دلالٍ ومرح ... يجدُ الناعتُ فيها ما اقْتَرَح
خُلقت من كلِّ شيءٍ حَسن ... طيب فالليت فيها مطرح
زَانَها اللهُ بوجهٍ جُمعت ... فيه أوصاف غريبات الملح
وبعين كحلُها من غُنجِها ... وبخدٍّ مِسكُهُ فيه رَشَحْ
ناعم تجرى على صفحته ... نَضرة الملك ولألاءُ الفرح
أترى خاطبها يسمعها ... إذ تدير الكأس طورًا والقدح
في رياض مونق نرجسه ... كلما هبَّ له الريح نفح
وهي تدعوه بودٍّ صادقٍ ... مُلِيء القلبُ به حتى طفح
يا حبيبًا لستُ أهوى غيره ... بالخواتيم يتمُّ المُفْتَتَح
لا تكوننْ كمن جدَّ إلى ... مُنتَهى حاجته ثم جَمَح
لا فما يخطب مثلي من سها ... إنما يخطب مثلي من ألح

(١) انظر: «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» لأبي زكريا أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي ثم الدمياطي، المشهور بابن النحاس (١/ ٢١٥-٢١٨) تحقيق ودراسة لإدريس محمد علي، ومحمد خالد اسطنبولي -دار البشائر الإسلامية. وانظر: ترجمتها في «صفة الصفوة» (٣/ ٣٨-٣٩).

قال: فَمَاجَ الناسُ بعضهم في بعض، واضطرب المجلس، فوثبت أُمُّ إبراهيم من وسط الناس وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد، ألست تعرف ولدي إبراهيم، ورؤساء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم، وأنا أضنُّ به عليهم، فقد - واللهِ- أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عروسًا لولدي، فكَرِّر ما ذكرتَ من حُسْنِها وجمالها. فأخذ عبدُ الواحد في وصفِ حوراء، ثم أنشد:

تولَّدَ نورُ النُّورِ من نورِ وجهِها ... فمازجَ طيبُ الطيبِ من خالص العطر
فلو وطئت بالنَّعل منها على الحصى ... لأعشت الأقطار من غير ما قطر
ولو شئت عَقْدَ الخصر منها عقَدته ... كغصنٍ من الريحانِ ذي ورق خضر
ولو تفلت في البحرِ شَهْدُ رُضَابها ... لَطَابَ لأهل البَرِّ شُرْبٌ من البحر
يكاد اختلاسُ اللحظ يجرح خدَّها ... بجارحِ وهم القلب من خارج البشر

فاضطرب الناسُ أكثر، فوثبت أُمُّ إبراهيم، وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد! قد -واللهِ- أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عروسًا لولدي، فهل لك أن تزوجه منها وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار، ويخرج معك في هذه الغزوة، فلعل الله يرزقه الشهادة، فيكون شفيعًا لي ولأبيه في القيامة؟ فقال لها عبد الواحد: لئن فعلتِ لتفوزن أنتِ وولدك، وأبو ولدك، فوزًا عظيمًا. ثم نادتْ ولدها: يا إبراهيم! فوثبَ من وسط الناس، وقال لها: لبيك يا أُمَّاه. قالت: أي بني، أرضيت بهذه الجارية زوجةً ببذل مُهجتك في سبيله وترك العود في الذنوب؟ فقال الفتى: إي واللهِ يا أُمَّاه، رضيتُ أي رضا. فقالت: اللهم إنِّي أُشهدك أنِّي زوَّجتُ ولدي هذا من هذه الجارية ببذل مهجته في سبيلك، وترك العود في الذنوب فَتَقبَّله مني يا أرحم الراحمين.

قال: ثم انصرفتْ فجاءت بعشرة آلاف دينار، وقالت: يا أبا عبيد! هذا مهر الجارية تجهز به، وجهز الغزاة في سبيل الله. وانصرفتْ، فابتاعت لولدها فرسًا جيدًا، واستجادتْ له سلاحًا، فلما خرج عبد الواحد، خرج إبراهيم يعدو،

والقراء حوله يقرءون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

قال: فلما أرادت فراق ولدها دفعت إليه كفنًا وحنوطًا، وقالت له: أي بني! إذا أردت لقاء العدو فَتَكَفَّن بهذا الكفن، وتحنَّط بهذا الحنوط، وإيَّاك أن يراك الله مقصرًا في سبيله. ثم ضمَّته إلى صدرها، وَقَبَّلتْ بين عينيه، وقالت: يا بني! لا جمعَ اللهُ بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة.

قال عبد الواحد: فلما بلغنا بلاد العدو، ونودي في النفير وبرز الناس للقتال، برز إبراهيم في المقدمة، فَقَتَلَ من العدو خَلْقًا كثيرًا، ثم اجتمعوا عليه فقُتل. قال عبد الواحد: فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلتُ لأصحابي: لا تخبروا أُمَّ إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء؛ لئلا تجزع فيذهب أجرها. قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقوننا، وخرجت أُمُّ إبراهيم فيمن خرج. قال عبد الواحد: فلما وصلنا بصرت بي، قالت: يا أبا عبيد، هل قُبِلَتْ منِّي هديتي فأهنأ، أم رُدَّت عليَّ فأُعزَّى؟ فقلتُ لها: قد قُبلت واللهِ هديتك؛ إنَّ إبراهيم حيٌّ مع الأحياء يُرْزَق(١). قال: فخرَّتْ ساجدة لله شُكرًا، وقالت: الحمدُ للهِ الذي لم يُخَيِّب ظَنِّي وتقبَّلَ نُسكي منِّي، وانصرفتْ. فلما كان من الغد أتت إلى مسجد عبد الواحد، فنادته: السلامُ عليك يا أبا عبيد، بُشراك. فقال: لا زلت مبشرة بالخير. فقالت له: رأيتُ البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء، وعليه قبة خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ، وعلى رأسه تاج وإكليل وهو يقول لي: يا أُمَّاه! أبشري فقد قُبِلَ المهرُ، وَزُفَّت العروس.

---

(١) من قول الله جلَّ وعلا: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤]. ومن قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

أُمُّ الغلام المجاهد(١)

حكي أنه كان بمدينة رسول الله ﷺ رجل يُقال له: أبو قدامة الشامي، وكان قد حَبَّبَ الله إليه الجهاد في سبيل الله تعالى والغزو إلى بلاد الروم، فجلس يومًا في مسجد رسول الله ﷺ يتحدث مع أصحابه، فقالوا له: يا أبا قدامة، حدِّثنا بأعجب ما رأيته في الجهاد. قال: نعم، إني دخلتُ في بعض السنين الرقة أطلب جملًا أشتريه ليحمل سلاحي، فبينا أنا يومًا جالس، إذا دخلت عليَّ امرأةٌ فقالت: يا أبا قدامه، سمعتُك وأنت تحدث عن الجهاد وتحث عليه، وقد رُزِقْتُ من الشَّعْر ما لم يُرْزَقه غيري من النساء، وقد قصصته وأصلحت منه شكالًا للفرس وَعَفَّرْته بالتراب؛ لئلا ينظر إليه أحد، وقد أحببتُ أن تأخذه معكَ فإذا صرت في بلاد الكفار وجالت الأبطال ورميت النبال وجردت السيوف وشرعت الأسنة، فإن احتجت إليه وإلا فادْفَعْه إلى مَن يحتاج إليه ليحضر شعري ويصيبه الغبار في سبيل الله، فأنا امرأة أرملة كان لي زوج وعصبة كلهم قُتلوا في سبيل الله، ولو كان عليَّ جهادٌ لجاهدتُ. قال: وناولتني الشكال.

---

(١) انظر: «مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» (١/ ٢٨٥-٢٩٠). وانظر: «صفة الصفوة» (٢/ ٣٦٩-٣٧٠). وحكاها الحافظ الذهبي في «تاريخ الإسلام» عن أبي المظفر سبط ابن الجوزي: أنه جلس بجامع دمشق يحرض الناس على الجهاد في سنة سبع وستمائة، قال أبو المظفر: وكان الناس من مشهد زين العابدين إلى باب العظاميين وحرزوا بثلاثين ألفًا، وكان يومًا لم يُرَ بدمشق ولا بغيرها مثله، وكان قد اجتمع عندي شعور كثيرة من شعور القائبين -وكنت قد وقفت على حكاية أبي قدامة مع تلك المرأة التي قطعت شعرها وقالت: اجعله قَيْدًا لفرسك في سبيل الله، فعملت من الشعور التي اجتمعت عندي شُكُلا- (جمع ومفرده شكال وهو العقال) لخيل المجاهدين . . . إلى آخر ما ذكر. وانظر: المرجع السابق (١/ ٢١٤-٢١٥).

وقالت: اعلم يا أبا قدامة أنَّ زوجي لما قُتل خَلَّفَ لي غلامًا من أحسن الشباب، وقد تعلَّم القرآن والفروسية والرمي عن القوس، وهو قوَّام بالليل صوَّام بالنهار، وله من العمر خمس عشرة سنة، وهو غائب في ضيعة خلَّفها له أبوه، فلعله يقدم قبل مسيرك فأوجهه معك هديةً إلى الله عزَّ وجلَّ، وأنا أسألك بحُرْمة الإسلام لا تَحْرِمني ما طلبتُ من الثواب.

قال: فأخذتُ الشكال منها فإذا هو مضفور من شعر رأسها، فقالت: ألقه في بعض رحلك وأنا أنظر إليه ليطمئنَّ قلبي. قال: فطرحته في رحلي وخرجت من الرقة ومعي أصحابي، فلما صرنا عند حصن مسلمة بن عبد الملك إذا بفارس يهتف من ورائي: يا أبا قدامة، قف علي قليلًا يرحمك الله. فوقفتُ وقلتُ لأصحابي: لا تقدموا أنتم حتى أنظر من هذا، وإذا بالفارس قد دنا مني وعانقني وقال: الحمد لله الذي لم يحرمني صحبتك ولم يردني خائبًا. قلتُ: حبيبي أَسْفِر عن وجهك؛ فإذا غلام كأنه القمر ليلة البدر وعليه آثار النعمة، قلتُ: حبيبي، لك والدٌ؟ قال: لا، بل أنا خارج معك أطلبُ ثأرَ والدي؛ لأنه استشهد فلعلَّ الله أن يرزقني الشهادة كما رزق أبي. قلتُ: حبيبي لك والدة؟ اذهب إليها واستأذنها فإنْ أَذِنتْ وإلَّا فأقم عندها، فإنَّ طاعتك لها أفضل من الجهاد؛ لأنَّ الجنةَ تحت ظلال السيوف، وتحت أقدام الأمهات.

قال: يا أبا قدامة أَمَا تعرفني؟ قلتُ: لا. قال: أنا ابن صاحبة الوديعة، ما أسرعَ ما نسيت وصيةَ أُمِّي صاحبة الشكال، وأنا -إن شاء الله- الشهيد ابن الشهيد، سألتُكَ بالله لا تحرمني الغزو معك في سبيل الله، فإني حافظٌ لكتاب الله، عارفٌ بسُنَّة رسول الله ﷺ، عارفٌ بالفروسية والرمي، وما خلَّفت ورائي أفرس مني، فلا تحقرني لصغر سِنِّي، وإنَّ أُمِّي قد أقسمت عليَّ ألا أرجع، وقالت: يا بني، إذا لقيت الكفار فلا تولهم الدُّبر، وَهَبْ نفسك لله واطلب مجاورة الله ومجاورة أبيك مع أخوالك الصالحين في الجنة، فإذا رزقك اللهُ

الشهادة فاشفع فيَّ، فإنه قد بلغني أنَّ الشهيد يشفع في سبعين من أهله، وسبعين من جيرانه، ثم ضمَّتني إلى صدرها، ورفعت رأسها إلى السماء، وقالت: إلهي وسيدي ومولاي، هذا ولدي، وريحانة قلبي، وثمرة فؤادي سلَّمته إليكَ فقرِّبه من أبيه.

قال: فلمَّا سمعتُ كلام الغلام، بكيتُ بكاءً شديدًا؛ أسفًا علي حُسنه، وجمال شبابه، ورحمةً لقلب والدته، وتعجبًا من صبرها عنه. فقال: يا عم مِمَّ بكاؤك؟ إنْ كنتَ تبكي لصغر سِنِّي، فإنَّ الله يعذب مَن هو أصغر مني إذا عصاه. قلتُ: لم أبك لصغر سنك؛ ولكن أبكي لقلب والدتك، كيف تكون بعدك؟! قال: فسرنا ولازلنا تلك الليلة، فلما كان الغداة رحلنا، والغلام لا يفتر من ذِكْر الله تعالى، فتأملته فإذا هو أفرس منا إذا ركب، وخادمنا إذا نزلنا منزلًا، وصار كلما سِرْنَا يقوى عزمه، ويزداد نشاطه ويصفو قلبه، وتظهر علامات الفرح عليه.

قال: فلم نزل سائرين حتى أشرفنا على ديار المشركين عند غروب الشمس، فنزلنا فجلس الغلام يطبخ لنا طعامًا لإفطارنا، وكنَّا صيامًا فغلبه النعاسُ فنامَ نومةً طويلة، فبينا هو نائم إذ تَبَسَّم في نومه، فقلتُ لأصحابي: ألا ترون إلى ضحك هذا الغلام في نومه؟ فلما استيقظ، قلتُ: حبيبي، رأيتك الساعة تبتسم في منامك ضاحكًا. قال: رأيتُ رؤيا فأعجبتني وأضحكتني. قلت: ما هي؟ قال: رأيتُ كأني في روضة خضراء أنيقة، فبينما أنا أجول فيها، إذ رأيت قصرًا من فِضَّة شُرفه من الدُّر والجوهر، وأبوابُه من الذهب، وستوره مرخية، وإذا جواري يرفعن الستور، وجوههنَّ كالأقمار، فلما رأينني قلن لي: مرحبًا بكَ، فأردتُ أن أمد يدي إلى إحداهنَّ، فقالت: لا تَعْجَل ما آنَ لكَ. ثم سمعتُ بعضهنَّ يقول لبعض: هذا زوج المرضية، فقلن لي: تقدم يرحمك الله، فتقدَّمْن أمامي، فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر عليها سرير من الزَّبرجد

الأخضر، قوائمه من الفضة البيضاء، عليه جارية وجهها كأنه الشمس، لولا الله ثَبَّتَ عليَّ بصري لذهب، وذهب عقلي، من حُسْن الغرفة وبهاء الجارية. قال: فلما رأتني الجارية، قالت: مرحبًا وأهلًا وسهلًا يا ولي الله وحبيبه، أنت لي وأنا لك، فأردتُ أن أضمها إلى صدري، فقالت: مهلًا لا تعجل، فإنك بعيد من الخنا، وإنَّ الميعاد بيني وبينك غدًا عند صلاة الظهر، فأبشر.

قال أبو قدامة: فقلتُ له: حبيبي، رأيت خيرًا وخيرًا يكون.

ثم بتنا متعجبين من منام الغلام، فلما أصبحنا تبادرنا فركبنا خيولنا، فإذا المنادي ينادي: يا خيل الله اركبي، وبالجنة أبشري، ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]. فما كان إلا ساعة وإذا جيش الكفر -خذله الله- قد أقبل كالجراد المنتشر، فكان أول مَن حمل منَّا فيهم الغلام، فَبَدَّدَ شملهم، وفرَّق جمعهم، وغاص في وسطهم، فقتل منهم رجالًا وجندلًا أبطالًا، فلما رأيته كذلك، لحقته فأخذت بعنان فرسه، وقلت: يا حبيبي، ارجع فأنت صبيٌّ ولا تعرف خُدع الحرب. فقال: يا عم، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ [الأنفال: ١٥] أتريد أن أدخل النار؟!

فبينا هو يكلمني إذ حمل علينا المشركون حملة رجل واحد، فحالوا بيني وبين الغلام ومنعوني منه، واشتغل كل واحد بنفسه، وقُتِل خلق كثير من المسلمين، فلما افترق الجمعان، إذا القتلى لا يحصون عددًا، فجعلتُ أجول بفرسي بين القتلى ودماؤهم تسيل على الأرض، ووجوههم لا تُعرف من كثرة الغبار والدم.

فبينا أنا أجول بين القتلى؛ إذ أنا بالغلام بين سنابك الخيل، قد علاه التراب وهو يتقلب في دمائه ويقول: يا معشر المسلمين، بالله ابعثوا لي عمي أبا قدامة،

فأقبلتُ إليه عندما سمعتُ صياحه، فلم أعرف وجهه لكثرة الدماء والغبار ودوس الدواب، فقلتُ: هأنا أبو قدامة. قال: يا عم، صدقت الرؤيا ورب الكعبة، أنا ابن صاحبة الشكال. فعندها رميتُ بنفسي عليه فقبَّلتُ بين عينيه، ومسحتُ التراب والدم عن محاسنه، وقلت: يا حبيبي، لا تنس عمَّك أبا قدامة، اجعله في شفاعتك يوم القيامة.

فقال: مثلُك لا يُنسى، تمسح وجهي بثوبك؟ ثوبي أحق به من ثوبك، دعه يا عم حتى ألقى الله تعالى به، يا عم هذه الحور التي وصفتها لك قائمة على رأسي، تنتظر خروج روحي، وتقول لي: عَجِّل فأنا مشتاقةٌ إليك.

بالله يا عم، إن ردَّكَ اللهُ سالمًا، فتحمل ثيابي هذه المضمَّخة بالدم لوالدتي المسكينة الثكلى الحزينة وتسلمها إليها، لتعلم أني لم أضيع وصيتها، ولم أجبن عند لقاء المشركين، واقرأ مني السلام عليها، وقل لها: إنَّ الله قد قبل الهدية التي أهديتها، ولي يا عم أختٌ صغيرة، لها من العمر عشر سنين، كنتُ كلما دخلتُ استقبلتني تُسلِّم عليَّ، وإذا خرجتُ تكون آخر مَن يودعني، وإنها ودَّعتني عند مخرجي هذا، وقالت لي: بالله يا أخي لا تبطئ عنَّا، فإذا لقيتها فاقرأ عليها مني السلام، وقل لها: يقول لك أخوك: اللهُ خليفتي عليكِ إلى يوم القيامة. ثم تبَسَّم، وقال: أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله. ثم خرجتْ روحه، فكفَّنَّاه في ثيابه، وواريناه، رحمه الله.

قال أبو قدامة: فلما رجعنا من غزوتنا تلك ودخلنا الرقة، لم تكن لي همة إلا دار أم الغلام، فإذا جارية تشبه الغلام في حُسْنِه وجماله، وهي قائمة بالباب، وكلُّ من مَرَّ بها تقول: يا عم، من أين جئت؟ فيقول: من الغزاة. فتقول: أَمَا رجع معكم أخي؟ فيقولون: لا نعرفه. فلما سمعتها تقدَّمتُ إليها، فقالت لي: يا عم، من أين جئت؟ قلتُ: من الغزو. قالت: أَمَا رجع معكم أخي؟ ثم

بكتْ، وقالت: ما بالي أرى الناس يرجعون، وأخي لم يرجع. فغلبتني العبرةُ، ثم تجلَّدْتُ خشيةً على الجارية، ثم قلتُ لها: يا جارية، قولي لصاحبة المنزل: كلِّمي أبا قدامة فإنه على الباب. فسمعت المرأةُ كلامي، فخرجت إليَّ وقد تغيَّر لونُها، فسلَّمتُ عليها، فردَّت السلام، وقالت: أمبشر أنت يا أبا قدامة أَم معزِّي؟ قلتُ: بيِّني لي البشارةَ من التعزية رحمك الله. قالت: إنْ كان ولدي رجع سالمًا فأنت معزٍّ، وإنْ كان قُتل في سبيل الله فأنت مبشر. فقلتُ: أبشري فقد قَبِلَ اللهُ هديتك. فبكتْ وقالت: قَبِلَها؟ قلتُ: نعم. فقالت: الحمدُ لله الذي جعله ذخيرةً لي يوم القيامة.

قلتُ: فما فعلت الجارية أخت الغلام؟ قالت: هي التي كانت تكلمك الساعة. فتقدمت إليَّ، فقلتُ لها: إنَّ أخاك يُسلِّم عليكِ ويقول لكِ: اللهُ خليفتي عليكِ إلى يوم القيامة. فصرختْ وخرَّتْ على وجهها مغشيًّا عليها، فحركتها بعد ساعة، فإذا هي ميتة، فتعجبتُ من ذلك ثم سلَّمتُ ثيابَ الغلام التي كانت معي لأُمِّه، وودعتها، وانصرفتُ حزينًا على الغلام والجارية، ومتعجبًا من صبر أُمِّهما.

وفي نهاية المطاف أقول: إنَّ المرأة (الأم الصالحة) هي صانعة الرجال؛ بمعنى أنَّ الأم الصالحة هي التي تُخرج إلى المجتمع أنماط الرجال العظماء المجاهدين، والعلماء، والعبَّاد، والأدباء، وإنْ شئت فاقرأ تلك الورقات حتى تقف على هذه الحقيقة.

المرأةُ الأمُ هي صانعة الرجال

أُمُّ عَمَّار بن ياسر(١)

أُمُّ عمَّار بن ياسر: كانت سابعة سبعة في الإسلام، وكان بنو مخزوم إذا اشتدت الظهيرة، والتهبت الرمضاء، خرجوا بها هي وابنها وزوجها إلى الصحراء، وألبسوهم دروع الحديد، وأهالوا عليهم الرمال المتقدة وأخذوا يرضخونهم بالحجارة. واعتصمت بالصبر وقرَّت على العذاب، وَأَبَتْ «سُمَيَّة» أن تعطي القوم ما سألوا من الكفر بعد الإيمان، فذهبوا بروحها وأفظعوا قِتلتَها، فقد أنفذ النَّذل أبو جهل بن هشام حَرْبَتَه فيها، فمات رضي الله عنها، وكانت أول شهيدة في الإسلام(٢):

سُمَيَّة لا تُبَالي حين تَلْقَى ... عذاب النكر يومًا أوتلينا
وَتَأْبَى أنْ تُرَدِّدَ مَا أرادوا ... فكانت في عِداد الصابرينا

(١) انظر: «علو الهمة» للعفاني (٧/ ١٦٧).
(٢) المرجع السابق نَقْلًا من «عودة الحجاب» (٢/ ٥٤١).

أُمُّ أَنس بن مالك

أَنسُ بن مالك بن النَّضْر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جُنْدب بن عاصم بن غنم بن عدي بن النجار.

الإمام، المفتي، المقرئ، المحدِّث، رَاوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، خادمُ رسول الله ﷺ، وقرابتهُ من النساء[١].

قال أنس: قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة وأنا ابن عشر، ومات وأنا ابن عشرين، وكان أمهاتي يَحُثُثْنِي على خدمة رسول الله ﷺ[٢].

وعنه قال: جاءتْ بي أُمُّ سُلَيْم على رسول الله ﷺ، قد أَزَّرَتْني بنصف خمارها، وردَّتني ببعضه، فقالت: يا رسول الله، هذا أُنَيس ابني أَتيتُك به يخدمك، فَادْعُ الله له. فقال: «اللهمَّ أَكْثِر مَاله وولده» فواللهِ إنَّ مالي لكثير، وإنَّ ولدي وولَدَ ولدي يَتَعَادون على نحو من مائة اليوم[٣].

وعن جابر بن عبد الله: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «رأيتني دخلتُ الجنةَ؛ فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعتُ خشفة، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: بلال»[٤].

وعن أنس، قال: قال النبي ﷺ: «دخلتُ الجنةَ؛ فسمعتُ خشفة بين يدي، فإذا أنا بالغُمَيْصاء بنت ملحان»[٥].

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٩٥، وما بعدها) «تحقيق الأرناءوط».
(٢) المرجع السابق، وأخرجه أحمد (٣/ ١١٠)، ومسلم في «صحيحه» (٢٠٢٩) وغيرهما.
(٣) رواه مسلم في «صحيحه» (٢٤٨١).
(٤) الحديث صحيح: رواه البخاري في «صحيحه» ومسلم في «صحيحه».
(٥) الحديث صحيح: رواه مسلم في «صحيحه» وابن سعد في «الطبقات».

كانت حياتها ملأى بالأعاجيب النيرة المشرقة ... توحي بسموها وعلوها!!

قالت أُمُّ سُلَيم: آمنتُ برسول الله ﷺ فجاء أبو أنس، وكان غائبًا، فقال: أَصَبوتِ؟ فقالت: ما صبوتُ، ولكني آمنتُ!! وجعلت تُلَقن أنسًا: قُلْ: لا إله إلا الله، قُلْ: أشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله ... ففعل، فيقول لها أبوه: لا تُفسدي علي ابني. فتقول: إني لا أفسده. فخرج مالك فلقيه عدوٌّ له فقتله. فقالت: لا جرم، لا أفطم أنسًا حتى يدع الثدي، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس[1].

لله دَرُّها!! تُلَقِّن ابنها دِينه وهو رضيع ... فأين هي ممن يُسكتن أولادهنَّ بذِكْر الطعام الآن؟! تُريد أن تعلمه وتعوِّده على التُّخْمة مثل أبيه!!

وخطبها أبو طلحة وهو مُشْرك فَأَبَتْ، وقالت له يومًا فيما تقول: أرأيت حَجَرًا تعبده لا يضرك ولا ينفعك، أو خشبة تأتي بها النجار فينجرها لك؛ هل يضرك؟ هل ينفعك؟ فوقع في قلبه الذي قالت؛ فأتاها فقال: لقد وقع في قلبي الذي قلت ... وآمن. قالت: فإني أتزوجك ولا آخذ منك صَدَاقًا غيره.

وعند النسائي: «عن أنس، قال: تزوج أبو طلحة أُمَّ سُلَيم، فكان صَدَاق ما بينهما الإسلام»[2].

«وعن أنس، قال: خطب أبو طلحة أُمَّ سُلَيم، فقالت: إنه لا ينبغي أن أتزوج مُشْركًا، أَمَا تعلم يا أبا طلحة أنَّ آلهتكم ينحتُها عبد آل فلان، وأنكم لو

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٤٢٥-٤٢٦).
(٢) الحديث: رواه النسائي بسندٍ صحيح.

أشعلتم فيها نارًا؛ لاحترقت؟! قال: فانصرف وفي قلبه ذلك؛ ثم أتاها وقال: الذي عرضت عليَّ قد قبلت. قال: فما كان لها مهر إلا الإسلام»[(١)].

وعند النسائي: عن ثابت، عن أنس، قال: خطب أبو طلحة أُمَّ سُلَيم، فقالت: واللهِ ما مثلك يا أبا طلحة يُرد؛ ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإنْ تُسْلم؛ فذاك مهري وما أسألك غيره. فَأَسْلَمَ، فكان ذلك مهرها.

قال ثابت: فما سمعتُ بامرأةٍ قط كانت أكرم مهرًا من أُمِّ سُلَيم: الإسلامُ، فدخل بها فولدت له.

صبرها: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «مرض أخٌ لي من أبي طلحة يُدعى: أبا عُمير، فبينا أبو طلحة في المسجد، مات الصبيُّ فهيأت أُمُّ سليم أمره وقالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه؟ قالت: هو أسكن مما كان، وقدمت له عشاءه، فتعشى هو وأصحابه الذين قدموا معه، ثم قامت إلى ما تقوم له المرأة فأصاب من أهله، فلمَّا كان آخر الليل، قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان؟ استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طُلِبتْ إليهم شقَّ عليهم؟ قال: ما أنصفوا. قالت: فإنَّ ابنك فلانًا كان عارية من الله فقبضه إليه. فاسترجع وحمدَ الله، وقال: واللهِ لا أدعك تغلبينني على الصبر؛ حتى إذا أصبح غدا على رسول الله ﷺ فلما رآه قال: «بارك الله لكما في ليلتكما» فاشتملت منذ تلك الليلة على عبد الله بن أبي طلحة، ولم يكن في الأنصار شاب أفضل منه، وخرج منه رجل كثير، ولم يمت عبدُ الله حتى رُزق عشر بنين، كلهم حفظوا القرآن وأبلى في سبيل الله.

---

(١) الحديث: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٤٢٦-٤٢٧) بسندٍ صحيح والذهبي في «السير» (٢/ ٣٠٥-٣٠٦).

أُمُّ الزبير بن العوام(١)

فالزبير بن العوام: فارسُ رسول الله ﷺ، الذي بلغ من بسالته وبطولته أَنْ عَدَلَ به الفاروق رضي الله عنه ألفًا من الرجال، حين أَمَدَّ به جيش المسلمين في مصر، وكتب إلى قائدهم عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: «أَمَّا بعدُ: فإني أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألفٍ: رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعُبادة بن الصامت، ومسلمة بن خالد».

وقد صدقت فراسة الفاروق رضي الله عنه، وسجَّل التاريخ في صفحاته أنَّ الزبير لا يعدل ألفًا فحسب؛ بل يعدل أُمَّة بأسرها، فقد تسلل إلى الحصن الذي كان يعترض طريق المسلمين، وصعد فوق أسواره، وألقى بنفسه بين جنود العدو، وهو يصيح صيحة الإيمان: «الله أكبر»... ثم اندفع إلى باب الحصن، ففتحه على مصراعيه، واندفع المسلمون، فاقتحموا الحصن، وقضوا على العدو قبل أن يفيق من ذهوله.

هذا البطل العظيم إنما قامت بأمره أُمُّه «صفية بنت عبد المطلب» عَمَّة النبي ﷺ، وأخت «حمزة» أسد الله، فقد شبَّ في كنفها، ونشأ على طبعها، وَتَخَلَّق بسجاياها.

والكملة العظماء: عبد الله، والمنذر، وعروة أبناء الزبير: كانوا ثمرات أُمِّهم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، وما منهم إلا له الأثر الخالد، والمقام المحمود.

---

(١) انظر: «عودة الحجاب» (٢/ ١٩٩-٢٠٨) بتصرف.

أُمُّ علي بن أبي طالب

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تنقلَ في تربيته بين صدرين من أملأ صدور العالمين حكمة وأحفلها بجلال الخلال، فكان مغداه على أُمِّه فاطمة بنت أسد، ومراحه على خديجة بنت خويلد زوج رسول الله ﷺ.

أُمُّ عبد الله بن جعفر

وعبد الله بن جعفر: سيد أجواد العرب وأنبل فتيانهم، تركه أبوه صغيرًا، فتعاهدته أُمُّه أسماء بنت عميس، ولها من الفضل والنبل ما لها.

أُمُّ معاوية بن أبي سفيان

وأمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: أريب العرب وألمعها، وَرَثَ عن هند بنت عتبة هِمَّة تجاوز الثريا، وهي القائلة -وقد قِيل لها ومعاوية وليد بين يديها: «إنْ عاش معاوية سَادَ قومه»-: «ثكِلْتُهُ إنْ لم يَسُد إلا قومه».

وَلَمَّا نُعي إليها ولدُها يزيد بن أبي سفيان، قال لها بعض المعزين: «إنا لنرجو أن يكون في معاوية خلف منه» فقالت: «أوَ مِثْلُ معاوية يكون خَلَفًا من أحد؟ واللهِ لو جمعت العرب من أقطارها، ثم رُمِيَ به فيها، لخرج من أيها شاء».

وكان معاوية رضي الله عنه إذا نوزع الفخر بالمقدرة، وجوذب بالمباهاة بالرأي، انتسب إلى أُمِّه فصدع أسماع خصمه بقوله: «أنا ابنُ هند»[1].

---

(١) المرجع السابق نَقْلًا من «المرأة العربية» (٢/ ١٣٣-١٣٤) بتصرف، و«معاوية بن أبي سفيان» لمنير الغضبان (ص/ ٣١).

أُمُّ عبد الله وحبيب

عبد الله بن زيد المازني: الذي حكى وضوء رسول الله ﷺ، والذي قتل مسيلمة الكذاب بسيفه[١]، وقُتل هو يوم الحرة.

وأخوه حبيب بن زيد بن عاصم المازني: الذي أخذه مسيلمة فقطَّعه قطعةً قطعةً.

كلاهما كان ثمرة أم فاضلةٍ مجاهدة هي أُمُّ عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية رضي الله عنها، كان أخوها عبد الله بن كعب المازني من البدريين، وكان أخوها عبد الرحمن من البكائين، شهدت ليلة العقبة، وشهدت أُحُدًا، والحديبية، ويوم حُنين، ويوم اليمامة، وجاهدتْ وفعلت الأفاعيل[٢].

أُمُّ عبد الملك بن مروان

وعبد الملك بن مروان: أُمُّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وكان لها من مضاء العزم، وذكاء القلب، ونفاذ الرأي -ما لم يكن بعض الرجال في شيء منه، وهي التي يعنيها ابنُ قيس الرقيات في قوله لعبد الملك:

أنتَ ابن عائشة التي ... فضلت أَرُومَ نسائها
لم تلتفت لِلِداتها ... وَمَشت على غُلوائها
وَلَدَتْ أَغَرَّ مباركًا ... كالشمس وَسْطَ سمائها

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٢٨١-٢٨٢) وهذا خلاف ما ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» في قصة مقتل مسيلمة.
(٢) «السير» (٢/ ٢٧٨-٢٨٢).

أُمُّ عاصم

وأبو حفص عمر بن عبد العزيز: أورع الملوك وأعدلهم وأجلهم، أُمُّه أُمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، أكمل أهل دهرها كمالًا، وأكرمهنَّ خلالًا، وأُمُّها تلك التي اتخذها عمر لابنه عاصم، وليس لها ما تعتز به من نشب ونسب، إلا ما جرى على لسانها قول الصدق في نصيحتها لأمها، وهي التي نزعت به إلى خلائق جده الفاروق رضي الله عنه.

أُمُّ عبد الرحمن الناصر

وأمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر: الذي وَلِيَ الأندلس وهي ولاية تَمِيدُ بالفتن، وتَشْرَقُ بالدماء فما لبث أن قرَّت له، وسكنت لخشيته، ثم خرج في طليعة جنده، فافتتح سبعين حصنًا في غزوة واحدة، ثم أمعن بعد ذلك في قلب فرنسا، وتغلغل في أحشاء سويسرا، وضمَّ أطراف إيطاليا، حتى روَّض كل أولئك له، ورجف لبأسه، فكان أعظم أمراء بني أمية في الأندلس، حكم مدة خمسين سنة وستة أشهر، وبعد ما كانت قرطبة إمارة، أصبحت مقر خلافة يحتكم إليها عواهل أوربا وملوكها، ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم وفلاسفتها.

أتدري ما سر هذه الهِمَّة، وما مهبط وحيه؟ إنها المرأة وحدها! فقد نشأ عبد الرحمن يتيمًا؛ قَتَلَ عمُّه أبَاه وعمره واحد وعشرون يومًا، فتفردت أُمُّه بتربيته وإيداع سر الكمال وروح السمو في ذات نفسه، فكان من أمره ما علمت[1].

---

(١) «عودة الحجاب» نقلًا من «المرأة العربية» (٢/ ١٣٦) بتصرف، والأعلام «للزركلي» (٣/ ٣٢٤).

أُمُّ سفيان الثوري

وسفيان الثوري: وما أدراك ما سفيان الثوري؟[١]

إنه فقيه العرب ومحدِّثهم، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنه أمير المؤمنين في الحديث، الذي قال فيه زائدة: «الثوري سيد المسلمين». وقال الأوزاعي: «ولم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضا إلا سفيان». وما كان ذلك الإمام الجليل، والعلم الشامخ، إلا ثمرة أُم صالحة، حفظ التاريخ لنا مآثرها، وفضائلها، ومكانتها؛ وإن كان ضنَّ علينا باسمها.

روى الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله بسنده عن وكيع، قال: قالت أُمُّ سفيان لسفيان: «يا بني! اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي»[٢]. فكانت رحمها الله تعمل، وتقدم له، ليتفرغ للعلم، وكانت تتخوله بالموعظة والنصيحة، قالت له ذات مرة -فيما يرويه الإمام أحمد أيضًا-: «يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر: هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم تر ذلك، فاعلم أنها تضرك، ولا تنفعك»[٣].

فهل من غرابة بعد هذا أن نرى سفيان يتبوأ منصب الإمامة في الدين، كيف وهو قد ترعرع في كنف مثل هذه الأم الرحيمة، وتغذَّى بلبان تلك الأم الناصحة التقية؟!

---

(١) المرجع السابق نَقْلًا من «الإمام سفيان الثوري» د/محمد أبو الفتوح البيانوني (ص/٣٦-٣٧).

(٢) المرجع السابق نَقْلًا من «صفة الصفوة» (٣/ ١٨٩).

(٣) صفة الصفوة» (٣/ ١٨٩).

أُمُّ أبي عمرو الأوزاعي

والإمامُ الثقةُ الثبتُ إمامُ أهل الشام وفقيههم، أبو عمرو الأوزاعي: يقول فيه أبو إسحاق الفزَّاري: «ما رأيت مثل رجلين: الأوزاعي، والثوري؛ فأمَّا الأوزاعي فكان رجل عامَّة، والثوري كان رجل خاصة، ولو خُيِّرْتُ لهذه الأمة، لاخترت لها الأوزاعي؛ لأنه كان أكثر توسعًا، وكان واللهِ إمامًا، إذ لا نصيب اليوم إمامًا، ولو أنَّ الأمة أصابتها شدة، والأوزاعي فيهم، لرأيت لهم أن يفزعوا إليه». وقال الخريبي: «كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه».

وقال بقية بن الوليد: «إنا لنمتحن الناس بالأوزاعي، فمن ذكره بخيره عرفنا أنه صاحب سُنَّة».

وقال العجلي: «شاميٌّ ثقةٌ من خيار المسلمين».

وقال الشافعي رحمه الله: «ما رأيتُ أحدًا أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعي»[1].

قال النووي رحمه الله: «وقد أجمع العلماء على إمامة الأوزاعي، وجلالته، وعلو مرتبته، وكمال فضله، وأقاويل السلف رحمهم الله كثيرة مشهورة مُصَرِّحة بورعه وزهده وعبادته وقيامه بالحق، وكثرة حديثه، وغزارة فقهه، وشدة تمسكه بالسُّنَّة، وبراعته في الفصاحة، وإجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له، واعترافهم بمرتبته»[2].

---

(١) «تهذيب التهذيب» (٦/ ٢٣٨-٢٤٢).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٢٢٩).

وعن سفيان الثوري رحمه الله: «أنه لمَّا بلغه مَقْدِم الأوزاعي، خرج حتى لقيه بذي طوى، فصل سفيان رأس البعير عن القطار، ووضعه على رقبته، وكان إذا مرَّ بجماعة قال: الطريق للشيخ»(١).

«وذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في الطبقات أنَّ الأوزاعي سُئل عن الفقه -يعني استُفْتي- وله ثلاث عشرة سنة»(٢).

ذلك الحبر البحر كان أيضًا ثمرة أُمٍّ عظيمة.

قال الذهبي رحمه الله: قال العباس بن الوليد: فما رأيتُ أبي يتعجب من شيء في الدنيا تعجبه من الأوزاعي؛ فكان يقول: سبحانك تفعل ما تشاء! كان الأوزاعي يتيمًا فقيرًا في حِجْر أُمِّه، تنقله من بلدٍ إلى بلد، وقد جرى حكمك فيه أن بلغته حيث رأيته، يا بني! عجزت الملوكُ أن تؤدب أنفسها وأولادها أدبَ الأوزاعي في نفسه، ما سمعت منه كلمةً قط فاصلةً إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكًا قط حتى يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد، أقول في نفسي: أترى في المجلس قلب لم يبكِ؟(٣).

قال أبو مسهر: وكان الأوزاعي رحمه الله يحيي الليل صلاةً وقرآنًا وبكاءً، وأخبرني بعض إخواني من أهل بيروت، أنَّ أُمَّه كانت تدخل منزل الأوزاعي، وتتفقد موضع مُصَلَّاه، فتجده رطبًا من دموعه في الليل(٤).

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٣٠٠).
(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٣٠٠).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ١١٠).
(٤) المرجع السابق (٧/ ١٢٠).

أُمُّ ربيعة الرأي

وهذه أُمُّ ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك رحمه الله: أنفقتْ على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار خَلَّفها زوجُها عندها، وخرج إلى الغزو، ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة والمشيخة، وكانت أُمُّه قد اشترتهما له بمال الرجل، فأحمد الرجل صنيعها، وأربع تجارتها في قصة طلية ساقها ابن خلكان، قال: وكان فروخ أبو ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية، وربيعة حملٌ في بطن أُمِّه، وخلَّف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فَقَدِمَ المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرسًا، وفي يده رمح، فنزل، ودفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، وقال: «يا عدو الله أتهجم على منزلي؟» فقال فروخ: «يا عدو الله أنت دخلت على حرمي؟» فتواثبا حتى اجتمع الجيران، وبلغ مالك بن أنس، فأتوا يعينون ربيعة، وكثر الضجيج، وكل منهما يقول: «لا فارقتك» فلما بصروا بمالك سكتوا، فقال مالك: «أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار». فقال الشيخ: «هي داري، وأنا فروخ» فسمعت امرأتُه كلامَه، فخرجت، وقالت: «هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلَّفه، وأنا حاملٌ به». فاعتنقا جميعًا وبكيا، ودخل فروخ المنزل، وقال: «هذا ابني؟» فقالت: «نعم». قال: «أخرجي المال الذي عندك». قالت تُعَرِّضُ: «قد دفنته، وأنا أخرجه».

ثم خرج ربيعةُ إلى المسجد، وجلس في حلقته، فأتاه مالك والحسن وأشراف أهل المدينة، وأحدق الناس به، فقالت أُمُّه لزوجها فروخ: «اخرج فصل في مسجد رسول الله ﷺ». فخرج فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاها، فوقف عليها، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره، وعليه قلنسوة طويلة، فشكَّ أبوه فيه، فقال: «مَن هذا الرجل؟» فقيل: «هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن». فقال: «لقد رفع الله ابني». ورجع إلى منزله، وقال لوالدته: «لقد رأيت ولدك في حالة ما

رأيت أحدًا من أهل العلم والفقه عليها». فقالت أُمُّه: «فأيهما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه؟». فقال: «لا واللهِ، بل هذا». فقالت: «أنفقتُ المال كله عليه». قال: «فواللهِ ما ضَيَّعْتِهِ»[١] اهـ.

أُمُّ إمام دار الهجرة «مالك بن أنس» رحمه الله

قال مطرف: قال مالك: «قلتُ لأُمِّي: «أذهب، فأكتب العلم؟» فقالت: «تعالى، فالبس ثياب العلم» فألبستني مسمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وَعَمَّمَتني فوقها، ثم قالت: «اذهب فاكتب الآن». وكانت تقول: «اذهب إلى ربيعة، فتعلَّم من أدبه قبل علمه»[٢] . اهـ.

(١) «عودة الحجاب» نَقْلًا من: «من أخلاق العلماء» محمد بن سليمان (ص/١٥٣-١٥٤).
(٢) المرجع السابق، عن منهج التربية نَقْلًا من: مقدمة كتاب «الديباج المذهب» لابن فرحون.

أُمُّ الشافعي

إذا نشرنا صفحة العهد العباسي؛ بل صفحة العهد الإسلامي لا نجد في تضاعيفها امْرَأً دَنَتْ له قطوف العلم والحكمة، ودانتْ له نواصي البلاغة والفصاحة كمحمد ابن إدريس الشافعي، فهو الشهاب الثاقب الذي انتظم حواشي الأرض، فملأ أقطارها عِلمًا وفقهًا، ذلك أيضًا ثمرة الأم العظيمة.

فقد مات أبوه وهو جنين أو رضيع، فتولته أُمُّه بعنايتها، وأشرفت عليه بحكمتها، وكانت امرأة من فضليات عقائل الأزد[١]، وهي التي تنقلت به من «غزة» مهبطه إلى «مكة» مستقر أخواله، فَرَبَّته بينهم هنالك.

وكانت أُمُّ الشافعي رحمها الله -باتفاق النقلة- من العابدات القانتات، ومن أذكى الخلق فطرة[٢]، ومن طريف ما يُحكى عنها من الحذف والذكاء: أنها شهدت عند قاضي مكة هي وأخرى مع رجل، فأراد أن يفرق بين المرأتين، فقالت له أُمُّ الشافعي: «ليس لك ذلك؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فرجع القاضي لها في ذلك[٣]. قال الحافظ ابن حجر: «وهذا فرعٌ غريبٌ، واستنباطٌ قويٌّ»[٤].

---

(١) «طبقات الأدباء» (٦/ ٣٦٨)، «المجموع» للنووي (١/ ١٤).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى» لابن السبكي (٢/ ١٧٩).

(٣) «توالي التأسيس» لابن حجر (ص/ ٤٦).

(٤) «توالي التأسيس» لابن حجر (ص/ ٤٦).

أُمُّ الحسن بن صالح[1]

وعن وكيع، قال: «كان الحسن بن صالح وأخوه وأمهما قد جَزَّءوا الليل ثلاثة أجزاء، فكل واحد يقوم ثلثًا، فماتت أمهما، فاقتسما الليل، ثم مات علي، فقام الحسن الليل كله».

أُمُّ البخاري

مات إسماعيل والد البخاري ومحمد صغير، فنشأ في حجْر أُمِّه، ثم حجَّ مع أُمِّه وأخيه أحمد، وكان أسنَّ منه، فأقام هو بمكة مجاورًا يطلب العلم، ورجع أخوه أحمد إلى بخارى فمات بها.

وروى غنجار في تاريخ بخارى، واللالكائي في «باب كرامات الأولياء» منه: أنَّ محمد بن إسماعيل ذهبت عيناه في صغره، فرأت والدتُه الخليلَ إبراهيم في المنام، فقال لها: يا هذه، قد رَدَّ اللهُ عليه بصره.

وأُمُّ البخاري كانت عابدة زاهدة صالحة، وبصلاحها وفقهها ودعائها جعل اللهُ لها كرامة وهي رد بصر ولدها عليه بعد فقدانه، كما أنها هي التي من وراء البخاري الذي ملأ طباق الأرض عِلْمًا.

---

(١) حلية الأولياء» (٧/ ٣٢٨)، و«السير» (٧/ ٣٦١- وما بعدها) .

أُمٌّ المتصدق

واستدعي ابن الفرات يومًا ببعض الكتاب، فقال له: ويحك، إنَّ نيتي فيك سيئة، وإني في كل وقت أريد أن أقبض عليك، وأصادرك، فأراك في المنام تمنعني برغيف، وقد رأيتك في المنام من ليال، وإني أريد القبض عليك، فجعلت تمتنع مني، فأمرت جندي أن يقاتلوك، فجعلوا كلما ضربوك بشيء من سهام وغيرها، تتقي الضرب برغيف في يدك، فلا يصل إليك شيء، فأعلمني ما قصة هذا الرغيف؟

فقال: أيُّها الوزير، إنَّ أُمِّي منذ كنت صغيرًا، كل ليلة، تضع تحت وسادتي رغيفًا، فإذا أصبحت تصدقت به عني، فلم يزل كذلك دأبها حتى ماتت، فعلتُ أنا ذلك مع نفسي، فكل ليلة أضع تحت وسادتي رغيفًا، ثم أُصبح فأتصدق به. فعجب الوزير من ذلك وقال: واللهِ لا ينالك مني بعد اليوم سوء أبدًا، ولقد حَسُنَت نيتي فيك، وقد أحببتك[1].

فهذا قد نفعه اللهُ بأُمِّه وصنيعها، وهي التي زرعت فيه التصدق، وحثَّته وحضَّته عليه.

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١١/ ١٣١-١٣٢) حوادث سنة ٣١٢هـ.

المرأةُ الأم أم العروس(١)

خطب عمرو بن حُجز ملك كندة، أُمَّ إياس بنت عوف بن ملحم الشيباني، ولما حان زفافها إليه خلت بها أُمُّها أمامة بنت الحارث، فأوصتها وصية، تُبين فيها أسس الحياة الزوجية السعيدة، وما يجب عليها لزوجها، فقالت:

أي بُنَيَّة: إنَّ الوصية لو تُركت لفضل أدبٍ لتركت ذلك لك؛ ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة العامل.

ولو أنَّ امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتها إليهما -كنت أغنى الناس عنه؛ ولكنَّ النساء للرجال خُلِقْنَ، ولهنَّ خُلِقَ الرجال.

أي بُنَيَّة: إنك فارقت الجوَّ الذي منه خرجتِ، وخلَّفت العُشَّ الذي فيه درجتِ، إلى وكرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليكًا، فكوني له أَمَة؛ يكن لك عبدًا وشيكًا.

واحفظي له خِصالًا عشرًا، يكن لك ذخرًا:

أمَّا الأولي والثانية: فالخشوع له بالقناعة، وحُسْن السمع له والطاعة(٢).

أمَّا الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه؛ فلا تقع عينُه منكِ على قبيح، ولا يشم منكِ إلا أطيب ريح.

---

(١) انظر: كتابي «تحفة العروس وبدع الأفراح» ط. مكتبة الإيمان (ص/٥٦-٥٨).

(٢) وفي هذا المضمار يقول ﷺ: «لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها»

الحديث صحيح، والحديث له إحدى عشر طريقًا: =

= الطريق الأول: من حديث قيس بن سعد رضي الله عنه، أخرجه أبو داود (٢/ ٦٠٤-٦٠٥) كتاب النكاح (٦) باب (٤١)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٩١) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٨٧) وقال: صحيحُ الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه وأقره الذهبي.

الطريق الثاني: من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، أخرجه البزار «كشف الأستار» (٢/ ١٧٩) «ح» (١٤٦٨) والطبراني في «الكبير» (٥/ ٢٣٧) «ح» (٥١١٧)، والمتقي في «كنز العمال» (١٦/ ٣٣٧) «ح» (٤٤٧٩٩).

الطريق الثالث: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٣/ ٤١٥) كتاب النكاح (١٠) «ح» (١١٥٩) وابن حبان في «صحيحه» (ص/ ٣١٤) كتاب النكاح (١٧) «ح» (١٢٩١)، والبزار في «كشف الأستار» (٢/ ١٧٨) «ح» (١٤٦٦)، والبيهقي في «الكبير» (٧/ ٢٠٩٠) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧١-١٧٢).

الطريق الرابع: من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، أخرجه ابن ماجة (١/ ٥٩٥) كتاب النكاح (٩) «ح» (١٨٥٣)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٢٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (ص/ ٣١٤) «ح » (١٣٩٠)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٨١).

الطريق الخامس: من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٥٦-٣٥٧) «ح» (١٢٠٠٣) والبزار في «كشف الأستار» (٢/ ١٧٨-١٧٩) «ح» (١٤٦٧).

الطريق السادس: من حديث صهيب رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٥-٣٦) «ح» (٧٢٩٤)، والبزار في «كشف الأستار» (٢/ ١٧٩-١٨٠) «ح» (١٤٧٠).

الطريق السابع: من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه وأقره الذهبي، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٠ / ٥٢-٥٣) «ح» (٩٠)، والبزار في «كشف الأستار» (٢/ ١٧٩) «ح» (١٤٦٩).

الطريق الثامن: من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه ابن ماجة (١/ ٥٩٥) كتاب النكاح (٩) (ح) (١٨٥٢)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٧٦).

الطريق التاسع: من حديث غيلان بن سلمة رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٦٣-٢٦٤) «ح» (٦٦٠).

الطريق العاشر: من حديث سُراقة بن مالك رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧/ ١٥٢-١٥٣) «ح» (٦٥٩٠).

الطريق الحادي عشر: من حديث بُريدة رضي الله عنها، أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧٢-١٧٣).

وكلُّ لفظة في هذه الوصية لها شاهد من السُّنَّة النبوية الصحيحة، وإذا تتبعنا ذلك فسيطول المقال ولا تتسع الصفحات.

أَمَّا الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه؛ فإنَّ تواترَ الجوعِ مَلْهَبَةٌ، وتنغيصَ النومِ مَغْضَبَةٌ.

أمَّا السابعة والثامنة: فالاحتراس على ماله والإرعاء على حشمه وعياله؛ وملاك الأمر في المال حُسن التقدير، وفي العيال حُسن التدبير.

أمَّا التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرًا، ولا تفشين له سرًّا؛ فإنك إن خالفتِ أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سرَّه لم تأمني غدره.

ثم إيَّاكِ والفرح بين يديه إن كان مُهتمًّا، والكآبة بين يديه إن كان فَرِحًا.

وأخيرًا أُهدي هذه القصائد لأُمَّهاتي، وأخواتي، وبناتي، وأسأل الله الثبات وحُسن الخاتمة للجميع.

إلى ابنتي[(١)]

أبنيتي ليس التبرج والخروج هو الفضيلة
هذا ادعاء العابثين ليقتلوا الأخلاق غِيلة
جاءوا به من عالم قد ضلَّ في الدنيا سبيله
لا تَخْدَعَنَّكِ دعوةٌ هي بين أظهرنا دَخيلة
أنا لا أقول تَمَرَّغي في ظلمة الجهل الثقيلة
شرفُ الفتاة وحُسْنُها أن لا تميل مع الرذيلة
فتحجبي بين الورى بجلال شِيمتك النبيلة
لك في حمي الإسلام -لو تدرين- منزلة أثيلة
قد صَانك الرحمنُ بالشرع المطهر فاشكري له
وحباكِ أفضل ما حَبَا الإنسان بالنعم الجزيلة
في غير ظل الله سوف تزيغ فطرتك الأصيلة
شقيتْ نساءُ الغرب فهي تئن يائسة ذليلة
لو ترقبين ضميرها لسمعت في ألمٍ عويله
وعلمتِ زيف الواقع المحموم والقيم الهزيلة
يا ربة الشرف المصون على التقى أرخي سدوله
إني أُعيذك أن تكوني يا بنتي أبدًا جهولة
لكِ في ذوات الفضل آيات وأمثلة جميلة
من كل مظاهرة الذيول وكل عالمة جليلة
أو كل مصلحة مربية تدين لها الرجولة
ما ضاق عنك البيت أنت لكل مكرمة وسيلة
عطف الأمومة والحنان أكثر إكسير البطولة
فارعي به أغراسك الخضراء في أزهي خميلة
وتعهدي برعاية الرحمن أزهار الطفولة
ثم اسعدي مرضية ... أمًّا وأختًا ... أو حليلة

---

(١) هذه القصيدة نقلتها من مجلة «التوعية الإسلامية» العدد (٢) السنة الرابعة/ ١٩٨٧م.

رسالة إلى كل محجبة(١)

أختاه يا بنت الإسلام تَحَشَّمِي

أختاه يا بنتَ الإسلام تحشمي ... لا تَرفعي عَنكِ الخِمارَ فتندمي
هذا الخمارُ يزيد وجهَكِ بهجةً ... وحلاوةِ العينين أن تتلثمي
صونِي جمالَكِ إن أردتِ كرامةً ... كيلَا يصولَ عليكِ أدنَى ضَيْغَمِ
لا تُعرضي عن هديِ ربِّك ساعةً ... عُضي عليه مَدَى الحياةِ لِتغنمِي
ما كانَ رَبُّك جائِرًا في شرعِهِ ... فَاستمسِكي بِعُراه حتَّى تسلمي
ودَعِي هُراءَ القائلين سفاهةً: ... إنَّ التَّقدم في السفورِ الأعجمِي
إيَّاكِ إيَّاكِ الخداعَ بِقولِهم: ... سَمراء يا ذاتَ الجمال تقدَّمي
إنَّ الذين تبرَّءوا من دينهم ... فهُم يَبيعون العفاف بِدرهم
حُلَلُ التبرج إنْ أردت رخيصة ... أمَّا العفافُ فَدُونه سَفك الدَّمِ
بنت الإسلام ما أَرى لكِ شيمة ... هذا التبرُّج يا فتاة تكلَّمِي
حَسناء يا ذات الدَّلالِ فإنَّني ... أَخشَى عليكِ من الخبيثِ المجرمِ
لا تَعرِضي هذا الجمالَ على الوَرَى ... إلَّا لِزوجٍ أوقريبٍ مَحرمِ
لا تُرسِلي الشَّعر الحريرَ مُرجَّلًا ... فالنَّاس حولكِ كالذِّئابِ الحومِ
لا تمنحي المستشرقين تبسُّمًا ... إلَّا ابْتسامةَ كاشِرٍ مُتجهمِ
أنا لا أُحبُّ أن أراكِ طليقةً ... شرقًا وغربًا في الجنوبِ ومشأمِي
أنا لا أريدُ بأنْ أراكِ جَهولةً ... إنَّ الجَهالةَ مُرَّةٌ كالعَلْقم
فتعلَّمي وتثقفِي وتنوَّري ... والحقُّ يا أختاهُ أن تتعلَّمِي
لكِنَّني أُمسِي وأُصبِح قائِلًا ... أختَاهُ يا بِنْتَ الإسلام تَحَشَّمِي

---

(١) من رسالة «أختي المسلمة –من أمرك بالحجاب» دار الدعوة السلفية، القصيدة تحت عنوان «أختاه يا بنت الخليج تحشمي» إلا أنني قمت بتغيير كلمة «الخليج» حتى تجعلها عامة لكل النساء إلى كلمة «الإسلام» وكذا تغيير كلمة «الجزيرة» إلى «الإسلام».

يا ابنة الإسلام(١)

رِسالتي يا ابْنةَ الإسْلام والحَسَب ... إليكِ منْ عقل أستاذٍ وقلبِ أبِ
يا مَن هُديتِ إلى الإسلامِ راضِيَة ... وما ارْتضيتِ سِوَى مِنهاج خَيْر نبي
يا دُرَّةً حفظت بالأمسِ غالية ... واليوم يَبْغونَها لِلَّهو واللَّعبِ
يا حُرةً قدْ أرادوا جَعْلها أَمَةً ... غَريبةَ العقل، لكن اسْمَها عربي
هلْ يَستَوي مَنْ رسُولُ الله قائده ... دَومًا وآخَرُ هاديه أبو لهبِ؟!
وأيْن مَنْ كانت الزَّهراء أُسْوَتها ... ممن تقفَّتْ خُطى حَمَّالة الحطبِ؟!
أختاه لسْتِ ببنت لا جُذورَ لها ... ولستِ مقطوعةً مجهولةَ النَّسبِ
أنت ابنة العَربِ والإسلام عشت به ... في حُضنِ أطهرِ أُمٍّ مِن أعز أبِ
فلا تُبالي بما يُلقون من شُبَهٍ ... وعندكِ العقل إن تدعيه يَسْتجبِ
سَليه: مَنْ أنا؟ ما أَهْلي؟ لمن نَسبي؟ ... للغربِ أَمْ للإسلامِ والعربِ؟
لِمَن وَلائي؟ لِمَن حُبّي؟ لمن عَملي ... للهِ أمْ لِدُعاةِ الإثمِ والكذبِ؟
وما مَكاني في دُنْيا تموجُ بنا ... في موضِعِ الرَّأسِ أمْ في موضِعِ الذَّنَبِ؟
هما سبيلانِ يا أختاه ما لهما ... من ثالثٍ، فاكسبي خيْرًا أو اكتَسِبي
سبيلُ ربِّك، والقرآنُ منهجه ... نورٌ من الله لم يُحجَب ولم يغبِ
في ركبِهِ شرفُ الدُّنيا وعِزَّتُها ... ويوم نُبعثُ فيه خير منقلبِ
فاسْتمسكي بِعُرى الإيمانِ وارْتفعي ... بالنَّفسِ عَنْ حَمْأة الفجارِ واجتنبي
إنَّ الرَّذيلة داءٌ شرُّه خطرٌ ... يُعْدي ويمتدُّ كالطَّاعونِ والجربِ
صوني حَياءَكِ، مِن الإيمانِ فاتَّخِذي ... منه حُلِيَّكِ يا أختاهُ واحتجبي
وبالقُبْح فتاة لا حياءَ لها ... وإن تحلَّت بغالي الماسِ والذهبِ
إنَّ الحِجابَ الذي نَبغيه مَكْرُمةٌ ... لِكلِّ حوَّاء ما عابت ولم تعبِ
نُريدُ مِنها احْتِشامًا، عِفَّةً أدبًا ... وهُمْ يُريدونَ مِنها قِلَّة الأدبِ

(١) نفس المرجع السابق: ص٢٤ .

لا تَحْسبي أنَّ الاستِرْجال مفخرةً ... فهو الهزيمةُ أوْ لونٌ مِن الهربِ
ما بِالأنوثةِ من عارٍ لِتتسلخِي ... مِنها، وتسْعِي وراء الوَهم في سربِ
ولَسْتِ قادرةً أن تُصبِحي رَجُلًا ... فَفِطرةُ الله أَوْلي مِنكِ بالغلبِ
يا رب أنثَى لَها عزمٌ، لَها أدبٌ ... فاقَت رِجالًا بِلا عزمٍ ولا أدب
وإنْ هوَى بِكِ إبليسُ لِمعصيةٍ ... فَأهلِكِيهِ بِالاستغفارِ يَنتحب
بسجدةٍ لَكِ في الأَسحار خاشعة ... سُجودَ مُعترفٍ لله مقتربِ
وخيْر ما يَغسِلُ العاصي مَدامِعُهُ ... والدَّمعُ من تائبٍ أنقَى من السُّحُبِ

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم بشرح النووي.

٤- سُنن أبي داود.

٥- سُنن الترمذي.

٦- سُنن النسائي.

٧- سُنن ابن ماجة.

٨- مُسند أحمد.

٩- مصنف ابن أبي شيبة.

١٠- صحيح ابن حِبَّان.

١١- مجمع الزوائد للهيثمي.

١٢- حلية الأولياء لأبي نعيم.

١٣- رياض الصالحين للنووي.

١٤- الموطأ: مالك بن أنس.

١٥- الترغيب والترهيب للمنذري.

١٦- السلسلة الصحيحة للألباني.

١٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته للألباني.

١٨- صحيح السنن للألباني.

١٩- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني.

٢٠- ميزان الاعتدال للذهبي.

٢١- تهذيب التهذيب.

٢٢- أسد الغابة لابن حجر.

٢٣- تاريخ الإسلام للذهبي.

٢٤- سير أعلام النبلاء للذهبي، بتحقيق الأرناءوط.

٢٥- البداية والنهاية لابن كثير.

٢٦- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي.

٢٧- شذرات الذهب لابن العماد.

٢٨- صفة الصفوة لابن الجوزي.

٢٩- كتاب التوابين لابن قدامة.

٣٠- ربيع الأبرار للزمخشري.

٣١- الكبائر للذهبي.

٣٢- أحكام القرآن لابن العربي.

٣٣- فقه السنَّة: سيد سابق.

٣٤- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، بتحقيقي.

٣٥- طبقات الحفاظ للسيوطي.

٣٦- طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي.

٣٧- مشارع الأشواق لأبي زكريا -المشهور بابن النحاس- تحقيق ودراسة/ إدريس محمد علي، ومحمد خالد اسطنبولي.

٣٨- التخويف من النار لابن رجب.

٣٩- أحكام النساء لابن الجوزي.

٤٠- بحر الدموع لابن الجوزي.

٤١- حياة الصحابة للكاندهلوى.

٤٢- السيرة النبوية لابن هشام.

٤٣- شعب الإيمان أبو بكر البيهقي.

٤٤- أُسد الغابة في معرفة الصحابة ابن الأثير.

٤٥- هدي الساري مقدمة فتح الباري: لابن حجر.

٤٦- اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن قيم الجوزية.

٤٧- جلاء الأفهام: ابن قيم الجوزية.

٤٨- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي.

٤٩- التذكرة الحمدونية: ابن حمدون.

٥٠- تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر الطبري.

٥١- الكامل فى التاريخ: ابن الأثير.

٥٢- وفيات الأعيان: ابن خلكان.

٥٣- بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية.

٥٤- الوافي بالوفيات: الصفدي.

٥٥- نفح الطيب: أحمد بن محمد المقري.

٥٦- النور السافر عن أخبار القرن العاشر: عبد القادر العيدروس.

٥٧- فوات الوفيات: ابن شاكر الكبتي.

٥٨- الفرج بعد الشدة: القاضي التنوخي.

٥٩- سمير المؤمنات: عبد الله بدران، ومحيي الدين بوامبيجى.

٦٠- من أخلاق العلماء: محمد بن سليمان.

٦١- جولة فى رياض العلماء: د/عمر الأشقر.

٦٢- تحفة العروس وبدع الأفراح للمؤلف.

٦٣- النقاب للمؤلف.

٦٤- علو الهمة: د/محمد بن إسماعيل المقدم.

٦٥- عودة الحجاب: د/محمد بن إسماعيل المقدم.

٦٦- صلاح الأمة: د/سيد العفاني.

٦٧- المرأة بين الفقه والقانون: د/مصطفى السباعي.

فهرس

مقدمة ٣
المرأة في الإسلام وعند الآخرين ٧
المرأة عند اليونان ٧
المرأة عند الرومان ٩
المرأة في شريعة حمو رابي ١٢
المرأة عند الهنود ١٢
المرأة عند اليهود ١٣
عند النصارى ١٤
المرأة عند العرب قبل الإسلام ١٦
المرأة في الحضارة الغربية ١٧
المرأة والزوجة المسلمة ٢٢
فضل الزوجة الصالحة ٢٤
زوجة شُريح القاضي ٢٩
الإسلام وكرامة المرأة ٣١
هكذا تكون المرأة ٤٣
حقُّ التعليم للمرأة ٤٥
المرأة عالمة ٤٩
عائشة رضي الله عنها ٥١

نَفِيسة ابنة الحسن بن زيد بن السيد سِبْطِ النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما ٥٦
عمرة بنت عبد الرحمن ٥٨
عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمية ٥٩
عاتكة بنت زيد ٦٠
صفية بنت شيبة ٦٣
زينب بنت أبي سلمة ٦٤
الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذ بن عفراء الأنصارية ٦٥
أزدة بنت الحارث بن كلدة ٦٦
أمُّ الدرداء ٦٧
حفصة بنت سيرين ٧٠
خَولَةُ بِنْتُ الْأَزْوَر ٧١
دُرَّةُ بنت أبي لهب بن عبد المطلب، بنت عمِّ النبي ﷺ ٧٣
بنت سعيد بن المُسَيِّب ٧٤
زوجة الإمام مالك، وابنته ٧٦
جارية الإمام مالك ٧٧
أمة الرحيم ٧٧
فاطمة بنت تقيِّ الدِّين الجعبري ٧٧
ابنة الشيخ أبي علي التستري ٧٨
ستُّ القضاة ٧٨
صفية بنت القاضي عماد الدين إسماعيل ٧٩
بنت البسطامي «عائشة بنت محمد بن الحسين» ٧٩

فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح ٧٩
عائشة بنت حسن ٨١
عين الشمس ٨٢
أمة الواحد ٨٣
فاطمة بنت الشيخ أبي علي ٨٣
فاطمة بنت الحسن ٨٣
عائشة البالسية ٨٤
فاطمة المقدسية ٨٤
أم عيسى ٨٥
رقية بنت العفيف ٨٥
عائشة الدمشقية ٨٦
عائشة الصالحية الحنبلية ٨٦
ستُّ العيش ٨٧
فاطمة بنت يوسف ٨٧
فاطمة بنت عبد القادر ٨٨
ست الركب ٨٨
عائشة الحرَّانيَّة ٨٩
زينب بنت سليمان ٨٩
فاطمة بنت سليمان ٨٩
أمُّ محمد هدية ٩٠
ستُّ الأجناس ٩٠

فاطمة بنت عباس ٩٠
أمُّ أحمد فاطمة بنت النفيس ٩١
كمالية بنت أحمد ٩١
أم الهنا جويرية ٩١
فاطمة بنت الشهاب ٩٢
عائشة بنت السيف ٩٢
فاطمة بنت عمر ٩٢
زينب بنت أحمد ٩٣
زينب بنت الخطيب ٩٣
زينب بنت الكمال ٩٣
زينب بنت محمد الدمشقية ٩٤
زينب بنت عثمان ٩٤
زينب بنت أحمد ٩٤
أم أحمد ستُّ الأهل ٩٤
ستُّ العرب ٩٥
خديجة بنت محمد بن علي ٩٥
فاطمة بنت محمد ٩٥
زيب النساء بنت الملك أورنك زيب عالمكير ٩٦
أمُّ علي بن المديني ٩٧
والدة الفقيه الواعظ المفسر زين الدين علي بن إبراهيم ٩٧
أمة العزيز ٩٨

كريمة بنت أحمد ٩٩
فاطمة بنت أبي علي ١٠١
فاطمة بنت الحسن بن علي البغدادي العطار ١٠٢
خديجة بنت موسى ١٠٢
أخت عبيد بن يعيش ١٠٣
أمُّ علي تَقِيَّة ١٠٣
زينب بنت أبي القاسم ١٠٤
فاطمة بنت الحسن بن علي البغدادي العطار ١٠٤
شهدت بنت المحدث أبي نصر أحمد بن الفرج الدِّينوري ١٠٥
زينب بنت علي ١٠٥
خديجة بنت يوسف ١٠٥
آسية المقدسيَّة ١٠٦
أمة الله بنت أحمد ١٠٦
عفيفة بنت أحمد ١٠٦
عجيبة بنت الحافظ محمد بن أبي غالب ١٠٧
عائشة بنت معمر ١٠٧
ياسمين بنت سالم ١٠٧
كريمة بنت عبد الوهاب ١٠٧
فاطمة ابنة الملك المحسن ١٠٨
فاطمة بنت الحافظ عماد الدين ١٠٨
سعيدة بنت عبد الملك ١٠٨

عائشة بنت محمد ١٠٩
عائشة بنت المجد عيسى بن الشيخ ١٠٩
شامية بنت الحافظ ١٠٩
صفية بنت عبد الرحمن ١٠٩
صفية بنت الواسطي ١١٠
زهرة بنت محمد ١١٠
زينب بنت إبراهيم ١١٠
زبيدة زوجة هارون الرشيد وابنة عمه ١١٠
وقاية ١١١
فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي ١١١
ستُّ العرب بنت محمد بن الفخر علي بن أحمد، البخاري ١١١
عائشة بنت محمد ١١٢
خاتون السفرية ١١٢
فاطمة بنت الإمام الحافظ البرزالي ١١٢
ستُّ الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا ١١٣
ربيعة خاتون بنت أيوب ١١٣
كريمة المروزية ١١٣
فاطمة بنت الحسين بن الحسن ١١٤
عائشة بنت محمد ١١٤
تجني ١١٤
خديجة ١١٥

أمُّ الخير الحجازية ١١٦
سُتَيْتَةِ بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المَحَامِلي ١١٧
فاطمة بنت السمرقندي ١١٧
نفيسة ١١٨
مولاة لأبي أمامة، شامية ١١٩
المرأةُ عابدةٌ ١٢٠
عائشة وأسماء ١٢٠
معاذةُ بنت عبد الله العدوية ١٢٢
كريمة بنت سيرين أختُ حَفْصَة ١٢٤
رابعة بنت إسماعيل العدوية ١٢٤
رابعة العدوية ١٢٧
منية البصرية وابنتها ١٣١
عجردة العمية ١٣٢
حبيبة العدوية ١٣٣
أمُّ الأسود بنت زيد العدوية ١٣٣
مريم البصرية ١٣٤
عفيرة العابدة ١٣٥
جارية حبشية ١٣٦
آمنةُ بنت أبي الورع ١٣٧
ميمونة ١٣٨
عبيدة بنت أبي كلاب ١٣٩

عمرة... امرأة حبيب العجمي ١٤٠
بردة الصريمية ١٤١
أُمُّ طلق ١٤٣
أمة الجليل بنت عمرو العدوية ١٤٤
أُمُّ حيان السلمية ١٤٥
أُمُّ إبراهيم العابدة ١٤٥
بحرية العابدة ١٤٦
أُمُّ الحريش ١٤٦
حسنة العابدة ١٤٧
زجلة العابدة مولاة معاوية ١٤٨
غضنة وعالية ١٤٩
كردويه بنت عمرو البصرية ١٤٩
مسكينة الطفاوية ١٥٠
غنضكة ١٥٠
امرأةُ أبي عمران الجوني ١٥١
امرأةُ رياح القيسي ١٥١
ابنةُ أُم حسان الأسدية ١٥٣
جاريةُ خالد الوراق ١٥٤
شعوانة ١٥٥
طافية ١٥٨
لبابة ١٥٨

خنساء بنت عمرو النخعية ١٥٩
عاتكة المخزومية ١٦١
أُمُّ سالم الراسبية ١٦١
مليكة بنت المنكدر ١٦٢
فاطمة بنت محمد بن المنكدر ١٦٣
حكيمة المكية ١٦٣
نقيش بنت سالم ١٦٤
عائشة المكية ١٦٤
ابنة أبي الحسن المكي ١٦٥
خنساء بنت خدام ١٦٧
سوية ١٦٨
جوهرة العابدة البراثية ١٦٩
زوجةُ أبي شعيب البراثي العابد ١٧٠
أخواتُ بِشْر الحافي ١٧١
امرأةُ عبد الله بن الفرج العابد ١٧٤
أمة الواحد بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي ١٧٤
عصمت الدين خاتون ١٧٥
ميمونة ١٧٥
الماوردية ١٧٦
عابدتان مدنيتان ١٧٦
أختُ بِشْر الحافي ١٧٧

حبيبة العدوية ١٧٨
عفيرة العابدة ١٧٨
راهبة العابدة ١٧٩
بنتُ حاتم الأصم ١٧٩
زمرد خاتون ١٨٠
الشيخة الصالحة فاطمة خاتون ١٨١
ستُّ الشام ١٨١
عائشة بنت أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيرى النيسابوري ١٨٢
ألوف الموصلية ١٨٣
رقية ١٨٣
أمية بنت أبي المورع ١٨٤
موافقة، ويُقال موفقه ١٨٤
عثمامة ١٨٥
عبدة أخت أبي سليمان الداراني ١٨٦
رابعة بنت إسماعيل «زوجةُ أحمد بن أبي الحواري» ١٨٧
أُمُّ هارون ١٩٠
فاطمة بنت عبد الرحمن بن عبد الغفار الحراني ١٩٢
أُمُّ أيمن بنتُ علي ١٩٣
تحية النوبية ١٩٤
عليلة بنت الكميت ١٩٤
هنيدة ١٩٥

فاطمة النيسابورية ١٩٥
المرأة مجاهدة ١٩٧
أُمُّ عُمارَة نَسِيبَةُ بنتُ كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول ١٩٧
الخنساء ٢٠٠
أم سليم ٢٠١
صفية بنت عبد المطلب ٢٠٢
أُمُّ إبراهيم الهاشمية ٢٠٩
أُمُّ الغلام المجاهد ٢١٢
المرأةُ الأم هي صانعة الرجال ٢١٨
أُمُّ عَمَّار بن ياسر ٢١٨
أُمُّ أَنس بن مالك ٢١٩
أُمُّ الزبير بن العوام ٢٢٢
أُمُّ علي بن أبي طالب ٢٢٣
أُمُّ عبد الله بن جعفر ٢٢٣
أُمُّ معاوية بن أبي سفيان ٢٢٣
أُمُّ عبد الله وحبيب ٢٢٤
أُمُّ عبد الملك بن مروان ٢٢٤
أُمُّ عاصم ٢٢٥
أُمُّ عبد الرحمن الناصر ٢٢٥
أُمُّ سفيان الثوري ٢٢٦
أُمُّ أبي عمرو الأوزاعي ٢٢٧

أُمُّ ربيعة الرأي ٢٢٩
أُمُّ إمام دار الهجرة «مالك بن أنس» رحمه الله ٢٣٠
أُمُّ الشافعي ٢٣١
أُمُّ الحسن بن صالح ٢٣٢
أُمُّ البخاري ٢٣٢
أُمُّ المتصدق ٢٣٣
المرأةُ الأم أم العروس ٢٣٤
إلى ابنتي ٢٣٧
أختاه يا بنت الإسلام تَحَشَّمِي ٢٣٨
يا ابنة الإسلام ٢٣٩
المراجع والمصادر ٢٤١
فهرس ٢٤٥

علو الهمة
عند النساء
تأليف
محمد عبد الله الزغبي
مكتبة
سلسبيل
٠١٠٦٧٦١٢١٩ ٢٤٥٢٢٩١٩